

رباعياتُ الخيام

ثلاثُ ترجماتٍ عراقيةٍ رائدة

أحمد الصراف: ترجمة حرّة
الزهاوي: ترجمة حرّة + ترجمة موزونة
أحمد الصافي النجفي: ترجمة موزونة

حرّرها وقَدَّمَ لها بدراسة:

محمد مظلوم

خذ الكتاب مصوراً

منشورات الجمل



رباعياتُ الخيام

ثلاثُ ترجماتٍ عراقيةٍ رائدة

أحمد الصرّاف: ترجمة حرّة

الزهاوي: ترجمة حرّة + ترجمة موزونة

أحمد الصافي النجفي: ترجمة موزونة

حرّرها وراجعها وقَدّم لها بدراسة:

محمد مظلوم

منشورات الجمل

رباعياتُ الخِيَّام - ثلاثُ ترجماتٍ عراقيةٍ رائدة
حرَّرها وراجعها وقَدَّمَ لها بدراسة: محمد مظلوم
الطبعة الأولى ٢٠١٥

كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد - بيروت ٢٠١٥
تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ - ٠١ - ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣ بيروت - لبنان

© Al-Kamel Verlag 2015

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany

www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

خيمة في الأبدية ومرصد مُحترق

دراسة في رباعيات الخيام وترجماتها المتعددة

أكثر من مائة عام مرّت على أوّل ترجمة عربية لرباعيّات «عمر الخيّام النيسابوري ٤٣٩هـ - ٥١٦هـ = ١٠٤٨م - ١١٢٢م»^(١) ولا يزال الجدل متصلاً بكل شيء متعلّق بهذه الشخصية: حياته القلقة، وعلومه المتعدّدة، والأهمّ هنا: رباعيته.

ولأنّ الأمر يتعلّق بالرباعيّات سنجعل هذا المدخل مقتصرّاً على ذلك، وهو بحدّ ذاته شأنٌ شائكٌ جدّاً.

عرفت رباعيّات الخيّام في الثقافة الإنسانية استشرافياً قبل أن تُعرف مشرقياً، وذلك بعد ترجمتها من قبل الشاعر الانكليزي «إدوارد فيتزجيرالد» في العام ١٨٥٩م. وإن كان عمر الخيّام نفسه، قد عُرف لدى الباحثين الأوروبيين شاعراً منذ مستهلّ القرن الثامن عشر، بفضل أحد أبرز الأكاديميين بمجال الدراسات الشرقية بجامعة أكسفورد «توماس هايد».

ومنذ ذلك التاريخ فاقت شهرة الرباعيّات في العالم، شهرة «الشاهنامة» في الآداب العالمية، وإذا كانت الأخيرة ملحمة قومية يتغنّى بها الشعب الفارسي، ويرى صورة أبطاله الأسطوريين من خلالها، لما

(١) هناك اختلاف بين المؤرّخين في تاريخ ولادته، وكذلك تاريخ وفاته، يصلّ أحياناً إلى عشر سنوات، اخترنا منها هنا التواريخ الأكثر ترجيحاً.

تمثله من ذلك التاريخ القومي الجماعي البعيد، فإن هذه السيرة للتاريخ الشخصي الروحي اليومي في الرباعيّات، جعلت الإقبال الفردي المتنوّع عليها من مختلف ثقافات العالم، نوعاً من المرآة الشخصية الذاتية للإنسان، وانعكاساً لصورة قلقه وحيرته في الوجود.

لقد استقرّ «فتيزجيرالد» على مائة رباعيّة ورباعيّة، في الصياغة الأخيرة لتلك الرباعيّات، ولعلّ استقراره على هذا الرقم هنا مقصود، في محاولة لمحاكاة لـ «ألف ليلة وليلة» وأجوائها ومخاطبة المخيلة الأوربية من سحر تلك الأجواء.

كان «فتيزجيرالد» قد حصل على مخطوطتين لرباعيّات الخيّام بواسطة صديقه المتديّن «إدوارد كاول» الذي صوّرها بنسخة مكتبة «بودليان» ونسخة أخرى من مكتبة «كلكتا» وأرسلهما لصديقه الشاعر، وما أن بدأ بترجمتها حتى كتب إلى صديقه المتدين «أخشى أنك ستندم في يوم ما لأنك أعطيتني مخطوطات الخيّام»^(١).

وبتحريفية مقصودة، جنح بعدد من الرباعيّات نحو ضفة أخرى، وهكذا فتح باباً موازياً لتأويلات الخيال، فقد عاد المتخيّل الأوربي عن الشرق، ليفعل فعله في تكريس الصورة القلقة لشخصية الخيّام، مع «هارولد لام» بروايته «حياة عمر الخيّام ١٩٣٤» بما تحمله من متخيل إستشراقي، يعتمد الاستيهام والخيال أكثر من رصانة البحث العلمي، وللأسف، فإنّ هذه المادة الأوربية التخيلية في أجزاء كبيرة منها، أضفت مزيداً من الظلال الكثيفة على هذه الشخصية المحاطة بالألغاز أصلاً، وزادت من تعقيداتها الموجودة في المراجع التاريخية. ومنها تلك الحادثة التراجيدية عن محبوبته «ياسمين» التي أجبرت على

(١) «رباعيّات الخيّام - فتيزجيرالد» ترجمة وتقديم بدر توفيق منشورات أخبار اليوم/ القاهرة ١٩٨٩.

الزواج من تاجر حلبي، واضطرت لمغادرة «نيسابور» معه، ثم طلقها بعد أن مرضت وتركها وحيدة، فلحق بها الخيام واصطحبها عائداً بها إلى «نيسابور» لكنّها توفيت في الطريق، فدفنها تحت إحدى الأشجار، وراح يكتب رباعيّاته التي لا نصادف فيها أيّ أثر لظلال تلك الحكاية المزعومة التي من المفترض أن تكون حاضرة بقوة، وهكذا أصبحت عناصر ذلك المتخيّل مرجعاً آخر لتأويلات وترميزات شعرية عن حياة الخيام وليس فقط الرباعيّات، وانعكست على الأدب العربي، والعربي الفرانكفوني كذلك، كما هو الحال لدى البياتي في مسرحية «محاكمة في نيسابور» وديوان «الذي يأتي ولا يأتي» واكتشافه الأساسي لرمز «عائشة» التي تعيش في كل العصور. وكذلك راوية اللبناني أمين معلوف «سمرقند» التي تدمج الوثيقة بالخيال لترسم صورة ما لشخصية الخيام.

عربياً، كانت مجلة الهلال «لجرجي زيدان» أوّل من أعاد الاهتمام بالخيام شاعراً، وأطلقت سجلاً ثقافياً حوله، لم يخلُ من ابتسار البدايات، وتلعثم الأسئلة والأجوبة معاً حول شخصية الخيام، في سجل كهذا، وذلك عندما نشرت تعريفاً موجزاً بعمر الخيام ورأت أن ترجمة حياته وإنجازه في الثقافة العربية، وكذلك الفارسية، قليلة ونادرة بسبب اتهامه بضعف العقيدة. لكنها أكدت على تنويريته وتمردّه، بوصفه «فولتير المشرق» كما سمته^(١).

ثم عادت لتجيب على تساؤل حول ترجمة «فيتزجيرالد» لرباعيّات الخيام، وقالت أنّ «أبو سعيد بن الخير» أول من أسس لهذا النوع من

(١) مجلة الهلال «العدد الثامن السنة الحادية عشرة في ١٥ / ١ / ١٩٠٣» رداً على تساؤل لأحد المهتمّين، من مدينة الإسكندرية ويدعى «أحمد أفندي سليم» الذي يبدو أنه أطلع على الترجمة الانكليزية لرباعيّات خيام وسأل عن الشاعر وترجمته في التراث العربي.

الشعر وأن الخَيَّام هو أول من تَفَنَّنَ في هذا الفن واشتهر به في الشعر الفارسي^(١).

وفي العدد السادس ١/٣/١٩١٠ نشرت الهلال أول مقالة موسعة نسبياً، مقارنة بتلك الإشارات السابقة في سطور قليلة، لعيسى اسكندر المعلوف وقَّعها من «زحلة» اللبنانية، وعنوانها: «عمر الخَيَّام ما عرفه العربُ عنه» وفيها ترجمة لسِتِّ رباعيَّات، قال أنه ترجمها سنة ١٩٠٤، بعد إطلاعه على مقالة لكاتبة أمريكية يبدو أنها من أصول إيرانية وتدعى عقيلة بورين «w.e boren» كانت نشرتها عام ١٩٠٣ في إحدى المجلات الأمريكية وفيها ترجمة لعدد من تلك الرباعيَّات ونقلها المعلوف بدوره للعربية، في أول ترجمة نظماً للرباعيَّات وهذه الرباعيَّات هي:

- ١ -

إبذلْ قَصارى الجهدِ في عَمَلِ الذي

تبغِيهِ في هذي الدِّيارِ مُشْمُراً

مِنْ قَبْلِ ما داعي الرَّدَى يُبدي الندى

أَنْتَ الثرى ومن الثرى وإلى الثرى

من غيرِ خمرٍ أو مغنٍ أو غنا

وبلا انتهاءٍ سوفَ ترقُدُ في العرا

(١) في إجابة على تساؤل آخر لأحد المهتمين العرب المقيمين في انكلترا ويدعى «محمود أفندي سري» في «العدد الخامس السنة الثامنة عشرة في ١/٢/١٩١٠» وفي عدد لاحق «١/٥/١٩١٠» نشرت المجلة تعقيماً للشاعر الإيراني محمد تقي، يصحح فيه أصل الرباعيَّات مشيراً إلى أنَّ «أبو جعفر الرودكي» هو أوَّل من أسس ذلك الفن وليس «أبو سعيد البخارائي» كما نشرت المجلة خطأ.

- ٢ -

ديوانُ أشعارٍ بظلِّ حديقةٍ
ورغيفُ خبزٍ مغِ نبيذِ الكاسِ
وحبيبتِي تسبي العقولَ بحسنِها
فردوسُ عَذْنٍ ذاكِ بينَ الناسِ

- ٣ -

رأيتُ سرورَ عيشٍ واكتئابِي
سواءً في مَشِيبِي أو شَبَابِي
فَمَنْ يكشفُ لهذا الكونِ سرّاً
يجدُ أنَّ المصيرَ إلى ترابِ

- ٤ -

لماذا للغدِ الآتي تذوُّبُ
وعيشُك لا يروقُ ولا يطيبُ
إذا ما كنتَ تُحسبُهُ بعيداً
«فلان غداً لنأظِرهُ قريبُ»
فلا تصرفِ حياتَكَ في مُحالٍ
فربَّ بقيّةٍ منها تريبُ

- ٥ -

ومحلٌّ ضَمٍّ ورداً أحمرًا
دُمٌ ملكٍ فوقَهُ قذُّ أهريقا

ونبات فيه زهرٌ أزرق
ذاك خدٌ فيه خالٌ أشرقاً

- ٦ -

أيا خيَّامَ كم تبكي بكاء
وتندبُ فيه ذنبك والخطاء
فلستَ تجرُّ نفعاً من عويلٍ
ولو أنَّ العويلَ ملا الفضاء
فلا تقنطُ ولا تجزغُ فإني
أرى الرَّحمنَ مُغنمَ مَنْ أساء

ولا بدَّ من الإشارة إلى أن المعلوف لم يُشر في تلك المقالة إلى أنَّها من رباعيَّاته بل اكتفى بالقول أنَّها من أشعاره، ويلاحظ أنه لم يلتزم تشطيراً واحداً ولا التزم ببحر شعريٍّ موحَّد في المقاطع الستة التي ترجمها.

ثم أعقبتها المجلة بنشرها مقاطع مختارة من ترجمة وديع البستاني^(١)، وهي أول ترجمة موسَّعة للرباعيَّات، وقد ترجمها البستاني عن النص الانكليزي لفيتزجيرالد.

ومع أن هناك ترجمة غير موزونة «لأحمد حافظ عوض»^(٢) ١٩٠١»

(١) عددها في ١٩١٢/٣/١، وكانت تلك المقاطع من ترجمة الرباعيَّات الذي كان البستاني قد أصدرها في كتاب ذلك العام.

(٢) هناك محاولات لاستقصاء أول ترجمة عربية للرباعيَّات، بالذهاب إلى زمن أبعد، إذ يرى عبد الحق فاضل أنَّ ترجمة القاضي نظام الدين الأصفهاني هي أول محاولة في ترجمة الرباعيَّات إلى العربية. وقد ترجم رباعية واحدة. وكذلك رأى يوسف بكار هذا الرأي.

سبقت ترجمتي البستاني والمعلوف، إلا أنَّ ترجمة البستاني، هي أول ترجمة عربية للرباعيَّات منشورة بكتاب، مما يعيد سؤالاً تقليدياً، حول جدوى ترجمة الشعر نظماً أو حراً وأهمية كلٍّ منهما وقربه من الأصل.

إذن فهو قرن كامل انشغلت خلاله الثقافة العربية بهذه الرباعيَّات، كما لم تشغل بأيِّ عمل أدبي عربي أو أجنبي، ترجمة ودراسة وتحليلاً.

وإذا كان هناك من يرى كلَّ ترجمة لنصٍّ أدبي «خيانة»^(١) فإننا أمام قرن مُتصل من الخيانات النموذجية، ولا تزال تلك الخيانة مستمرة. مزدوجة بمستويين: مستوى فني، لأنَّ كل ترجمة هي تشوية بدرجة ما للأصل الشعري، وربما لا تضاهيه بلاغة ومعنى، وأخرى خيانة للخيَّام نفسه، فهو بريء من عدد كبير من هذه الرباعيَّات المنسوبة إليه، لأسباب شتى.

قرن كامل، ظلت خلاله الدراسات المقارنة للترجمات العربية للرباعيَّات، تتركزُ بشكل أساسي، بين الترجمات المنظومة وزناً وقافية، فترجَّح واحدة على الأخرى، بينما أقصيت الترجمات الحرة غير الموزونة، إلى حدٍّ كبير، كان ذلك متأثراً من طبيعة ذهنية التفسير التقليدي لمفهوم الشعر التي كانت سائدة خلال النصف الأول من القرن العشرين، واليوم، بعد أن أصبحت ترجمة الشعر بوزن وقافية منحسرة تماماً، أمام الترجمات الحرة - وما أكثرها - ربما علينا إعادة مراجعة ما علقَ في الذاكرة وكأنه ثوابت، ونضع الترجمات غير الموزونة، في سياق مقارنة فنية ونصية، ننظر إلى الترجمة نظرة أخرى، خارج ثنائية الوزن والقافية التقليدية، طالما أنَّ الخيانات متعدِّدة ومزدوجة كما بيَّنا.

(١) من اللافت أنَّ هذه «الخيانة» مترجمة أساساً عن مقولة إيطالية تقوم على جناس لفظي شبه تام، لكن بمعنى مختلف وربما متناقض «traditore: traduttore» وتعني: «المرجم خائن» وشاعت في الثقافة العربية، وكأنها ارتكاب أصيل.

الخياميات الجوّالة

استقبلت الرباعيّات، كشأن الأعمال العظيمة في تراث الشعوب، مزيداً من الجرعات الإضافية والتَّحُل والتطويل، فأصبحت فضاء نموذجياً لتفريغ المكبوت الجمعي الفارسي في ثلاثة قرون واستيعابه، لذلك لم يكن متاحاً معرفة عددها الحقيقي، وهذا ما يحدث عادةً، بدرجات متفاوتة، في كثير من النصوص الفدّة التي تحرّض الآخرين على الانتساب لها حتى وإن بتهجينها، نلاحظ مثلاً في تراث الشعر العربي، أنَّ قصيدة «مالك بن الريب» في رثاء نفسه كانت في الأصل، تتألف من ثلاثة عشر بيتاً حسب صاحب الأغاني، ولشدة إعجاب الناس بها بلغت بعد أقلّ من قرن أكثر من ستين بيتاً، وكذا الحال في «مرثية الأندلس» لأبي البقاء الرندي وغيرهما من الأشعار الخالدة.

ومن الطبيعي أن تلحق الزيادات والإجراءات الإضافية بهذه الرباعيّات، إذا ما عرفنا أنها بقيت لأكثر من ثلاثة قرون يجري تناقلها شفاهياً في اللغة الفارسية نفسها، قبل أن يجري تدوينها وقد أضحت أضعافاً مضاعفات.

ومن اللافت إن العرب الذين جاؤوا الفرس ثقافياً منذ بدء التاريخ، لم يعرفوا الرباعيّات إلا متأخرين رغم أنهم عرفوا الخيام شاعراً بالعربية، حيث استشهد جلال الدين القزويني في «الإيضاح في علوم البلاغة» بثلاثة أبيات من شعره بالعربية، إلا أن ابن الأثير في «الكامل» يكتفي بوصفه «بالمنجم» أما البيهقي فيضفي عليه في «تتمة صوان الحكمة» صفات «الحكيم» و«الإمام» و«الدستور الفيلسوف».

وأورد له العماد الأصفهاني في «الخريدة»^(١) هذه الأبيات من شعره بالعربية:

(١) عماد الدين الكاتب الأصفهاني المتوفى ٥٩٧ هـ «خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء فارس وهرات» تحقيق وتقديم عدنان محمد آل طعمة. طهران ١٩٩٩ ص ٨٥.

إِذَا رَضِيتَ نَفْسِي بِمِيسُورِ بُلْغَةٍ
 يَحْضُلُهَا بِالْكَدِّ كَفِّي وَسَاعِدِي ^(١)
 أَمَنْتُ تَصَارِيفَ الْحَوَادِثِ كُلِّهَا
 فَكُنْ يَا زَمَانِي مَوْعِدِي أَوْ مَوَاعِدِي
 أَلَيْسَ قِضَا الْأَفْلَاكِ مِنْ دَوْرَهَا بِأَنْ
 تَعِيدُ إِلَيَّ نَحْسَ جَمِيعِ الْمَسَاعِدِ
 فَيَا نَفْسُ صَبْرًا عَنْ مَقِيلِكَ رِثْمًا
 تَخْرُ ذِرَاهُ بَانْقِضَاضِ الْقَوَاعِدِ
 وَنَقْلَهَا عَنْهُ الْقَفْطِي لَاحِقًا ^(٢).

ومع هذا لم يكن الخيام، قبل اكتشاف الرباعيّات، يحتلّ هذه
 المكانة في الشعر الفارسي، كما هو الحال، مع الشيرازيّين: «سعدي
 وحافظ» أو «جلال الدين الرومي» أو «فريد الدين العطار» وكلّهم كتبوا
 الرباعيّات في عصر ازدهارها، بل أنّ مقاطع لهؤلاء، وهم متأخرون
 زمنياً عن الخيام، فوّث من عصرها، وظلّت متشرّدة إلى أن دخلت في
 صميم تلك الرباعيّات، حتى بدت وكأنها للخيام بفعل الذاكرة
 الشفاهية، لكنّ شهرة الرباعيّات جعلت منه الأكثر شهرةً بينهم جميعاً.
 ويؤكّد «ويل ديورانت» في قصة الحضارة أنه «يوجد الآن آلاف من
 الرباعيّات الفارسية، معظمها لا يُعرف قائلها، ومنها ١٢٠٠ تُعزى إلى

(١) البلغة: ما يكفي من العيش ولا يزيد. وقد ورد تضمين الشطر الأول من القصيدة في
 قصيدة للفخر الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠ م) أوردها ابن أبي أصيبعة في
 «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ص ٤٦٨. طبعة مكتبة الحياة بيروت، وشعر الخيام
 العربي المتوفر بضع مقطوعات، لا تتجاوز كلها ثلاثين بيتاً ولعل هذه القطعة أطولها.
 (٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي
 (المتوفى: ٦٤٦ هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
 الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م ص ١٨٧.

عمر الخِيَّام نفسه، ولكنَّ كثيراً منها يُشكُّ في أنَّها من قوله»^(١) مشيراً إلى وجود رباعيَّات أخرى هي «لأبي سعيد بن أبي الخير» إضافة إلى رباعيَّة ثبتت نسبتها فعلاً «لابن سينا» وليس هذا من الغريب، ذلك أن كُتِبَ «ابن سينا» كانت مصدراً أساسياً في التكوين الثقافي للخِيَّام.

غير أنَّ الإشارة الأبرز حول لغز الرباعيَّات جاءت في بحث المستشرق الروسي «فالتين زيوفسكي». عمر الخِيَّام والرباعيَّات الجوّالة» الذي نشره في العام ١٨٩٧ وأثبت فيه أنَّ هناك ٨٢ رباعيَّة ليست للخِيَّام، وإنما لعدد كبير من الشعراء الفرس بينهم هؤلاء الذين ذكرتهم سابقاً.

وجاء من بعده المستشرق الدانماركي «آرثر كريستنسن» ليرفع عدد الرباعيَّات الجوّالة، أو المنحولة التي نسبت للخِيَّام إلى ١٠٨ رباعيَّات.

وإزاء محاولات التنقيح المستمرة لتمييز الأصيل من الدخيل في الرباعيَّات، كان هناك بالمقابل ضخٌّ متوازٍ، لم ينبج منه الخِيَّام حتى في العصر الحديث، لنجد مثقفاً بحجم «عباس محمود العقاد» ينسب له «الرباعيَّة» التالية:

ألا يا أيُّها السّاقِي

أدز كـأسـا ونـاولـهـا

مـتى ما تـلقـ من تـهوى

دع الدُّنيا وأهمـلـهـا

ويكتفي عبد المنعم الحفني وهو باحث في الرباعيَّات، بالقول أنها منحولة على الخِيَّام، «ولم نجد كتاباً مما قرأنا عن الخِيَّام قد رصد أو

(١) ويل ديورانت «قصة الحضارة عصر الإيمان - الحضارة الإسلامية - عظمة المسلمين واضمحلالهم - عصر عمر الخِيَّام» ترجمة محمد بدران دار الجيل بيروت، الجزء ١٣ ص ٣٤٤..

أشار إليها من قريب أو بعيد، الأمر الذي يؤكد أنها منحوالة على الخَيَّام، ولا أدري كيف زل العقاد...

بيد أنَّ هذه الرباعيَّة المزعومة، وما هي برباعيَّة أصلاً إلا بتوزيعها الملقق، هي بيت شعري واحد، من شعر لحافظ شيرازي يشكله شطران هما الأول من القصيدة، والأخير في نهايتها، وليس، أربعة أشطر، كما وزعها العقاد، ولا ندري، نحن بالمقابل، كيف جهل الحفني هذه القصيدة المشهورة في أول ديوان حافظ^(١).

وكان العقاد نفسه قد نشر في ديوانه «أعاصير مغرب» تضميناً لثلاثة أشطر من إحدى رباعيَّات الخَيَّام في قصيدة له بعنوان «جَنَّة الخَيَّام»

رَغِيفٌ خُبِزَ وَوَجَّةُ

خُلُوٌّ وَكَأْسُ مُدَامٍ

(١) عبد المنعم الحفني «عمر الخَيَّام والرباعيَّات» دار الرشد القاهرة ١٩٩٢، ص ١٧٧، والقصيدة كانت قريبة منه وقريبة من العقاد كذلك، فقد ترجمها إبراهيم الشواربي في الأربعينيات وهذا نصها:

ألا أيُّها الساقى، أدز كأساً وناولها	فلاني هانم ووجداً، فلا تُمسكْ وعجلها
بدا لي العشقُ ميسوراً، ولكن دارت الدنيا	فأضحى يسره عُسراً، فلا تبخلْ وناولها
وهل لي في صبا ربح مُضتْ في طرَّة شعنى	بنشر الطيبِ تدعوني: ألا عجلْ فقبَّلها
وذاك المنزلُ الهاني إذا يَمَحُّته، دُقُوا	به الأجراس: أن هُمى رحال السيز واخملها
وشيخي عارفٌ يدري رسوم الدَّارِ فاثْبِغني	وخذ سَجَّادة التَّقوى بماء الكرم فاغسلها
قضيتُ اللَّيلَ في خوفٍ، بَحْوَ الهَمِّ تطويني	فقل للعائب الرَّاري: تعال الآنْ فانزِلها
وأمرى ساءَ من حُبِّي لنفسي، والورى يدري	بسرِّ كنتُ أخفيه ونفسي لَمْ أبذلها
إذا ما شئتُ لقياءَ تذكُر «حافظ» قولاً:	مَتى ما تلقى من نَهوى، دِع الدُّنيا وأهملها

«أغانى شيراز ديوان حافظ الشيرازي» ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي تقديم الدكتور طه حسين طبعة دار الشرق طهران ٢٠٠٤م، ص ٨٦، وانظر كذلك الغزلية الأولى من نفس الكتاب في طبعة مهراندیش طهران عام ١٩٩٩م.

وَتِلْكَ جَنَّةٌ عَذْنٌ

فِي مَذهبِ الخِيَام^(١)

إنَّ اتساع حجم الرباعيَّات في الشعر الفارسي، لم يستغرق وقتاً طويلاً على ما يبدو، ولهذا فإنَّ تلك الرباعيَّات التي تبدو مدسوسةً بمهارة في سياق الرباعيَّات الأصليَّة، تعبِّر بشكل ما عن عصر نهضة شعريَّة كبيرة، في تاريخ الشعر الفارسي، أكثر من كونها محاولة لإضفاء المزيد من السحر على شعريَّة الخِيَام بالذات، فاللغة الفارسية كانت تنهض من جديد بجماليَّاتها وخصوصيَّتها القومية والثقافية، والتمسُّك بهويَّة ثقافية أدبية، وتطلُّعها للانعتاق من الهيمنة، خاصة إذا ما علمنا أنَّ اللغة العربيَّة حتى عصر الخِيَام، كانت لغةً الدين والثقافة، بل هي اللغة الرسميَّة في عموم إيران.

لكن اللافت إنه كلما ازدادَ عددُ الرباعيَّات المترجمة، طفت معضلة «الرباعيَّات الجوّالة» على سطح الترجمة، فبدت شخصيَّةُ الخِيَام من خلالها، شخصيَّة هلامية، فيظهر شاعراً دهرياً مَرَّةً، وزاهداً مرةً أخرى، لذاثياً هنا، وتشاؤمياً هناك، باطنياً في هذه الترجمة، ومتحللاً، في ترجمة أخرى، وكوَّس من هلامية صورته هذه، طبيعة التفسير التاريخي للعصر الذي عاشه، حيث نشأ في عصر الهيمنة السلجوقية، على مركز قرار الإمبراطورية العباسية، بعد اندحار البويهيين، واندلاع الحروب الصليبية، بما تمثَّله من صراع الثقافات، وكذلك احتدام الصراع الداخلي بين الباطنية والسلفية وظهور نزعات التكفير القائمة على جدل ثقافي مثَّله بشكل واضح من الجانب السلفي كلُّ من الغزالي وإمام الحرمين «أبو المعالي الجويني».

إلا أنَّ «باطنية الخِيَام» ظلَّت محلَّ جدل بين الباحثين، فعلى الرغم

(١) عباس محمود العقاد ديوان «أعاصير مغرب» نهضة مصر للطباعة القاهرة ١٩٩٧، ص ٩٩. وكانت الطبعة الأولى من الديوان قد صدرت في العام ١٩٤٢.

من أنه كان معاصراً للحسن الصباح وزميراً دراسياً له في بعض الروايات، وكذلك الوزير نظام الملك، وتوفي قبل ابن الصباح بعام واحد فقط، إلا أن أحمد الصرّاف يؤكد في دراسته القيمة عن الخيّام، إنهما رغم كونهما صديقين في الشباب، إلا أنهما لم يلتقيا بعد أن سافر ابن الصباح إلى مصر، خاصة وأن أفكار هذا الأخير للدعوة الباطنية بدأت تتبلور بعد تلك الرحلة^(١).

ومثلما تبدو الرباعيّات فضاء شعرياً في إهاب فلسفي أبيقوري للمكبوت الإيراني خلال ثلاثة قرون، وليست مجرد صياغة أو سيرة واحدة لشخصية قلقة وحائرة. صارت كذلك في الترجمات العربية، فراح كلّ يترجم عدداً محدداً منها لدوافع وغايات وأهواء متباينة.

وسنجد تقارباً طبعياً بين الترجمات العراقية للرباعيّات، مثلاً، لكننا سنجد فرقاً بينها وبين ترجمة أحمد رامي بالمقابل، وليس السبب هنا لاجتهاد المترجم، أو لطبيعة «الخيانة» التي ارتكبها فالخيانة موجودة في ثنايا النصّ الفارسي نفسه بفعل كثير من الدخيل، مما يشير إلى أن كلّ مترجم اعتمد نسخة فارسية، تختلف عن تلك التي اعتمدها الآخر، فقد اعتمد كلّ من الصرّاف والنجفي على نسختين في الترجمة الفارسية، الأولى مشتركة بينهما هي النسخة التي نشرها المستشرق الألماني «فريدريك روزن» وهي تعدّ أقدم من نسخة «مكتبة بودليان» التي ترجم عنها «فيتزجيرالد» وكذلك أحمد رامي، أما الثانية فكانت نسخة «حسين دانش» بالنسبة للصراف، ونسخة «رشيد الياسمي» المطبوعة بطهران بالنسبة للصافي النجفي.

ويشكل العدد الحقيقي للرباعيّات في تصوّر كلّ مُترجم معضلة

(١) وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك، في نفي تلك العلاقة فيرى «إن العلاقة الباطنية بين نظام الدين والحسن الصباح والخيّام، هي نوع من الأساطير اخترعها مؤرخ يدعى ميرخوند من مؤرخي القرن التاسع الهجري» مجلة الرسالة العدد ٩٧٦ - بتاريخ: ١٧ - ٠٣ - ١٩٥٢ عمر الخيّام بين الحقيقة والأسطورة أحمد مصطفى الخطيب

أخرى، إذ يرى الصرّاف أنها بين ١٢٠ إلى ١٥٠ صحيحة والبقية منحوّلة، رغم أنه ترجم أكثر من هذا الرقم بقليل، حيث ترجم ١٥٤ رباعيّة^(١)، بينما يرى الزّهاوي أنها لا تتجاوز الثلاثمائة من بين أكثر من ألف رباعيّة نسبت للخيام ترجم منها ١٣٠ رباعيّة ترجمة حرة صاحبها بصياغة موزونة لكل رباعيّة.

ومن هنا تصبح ملاحقة النص الأصلي، هي المعضلة الأولى قبل أن نبحت عن دقة الترجمة، بين مترجم وآخر.

لقد جرى تكييف ترجمة الرباعيّات على وفق المزاج الروحي للمترجم نفسه، وثقافته ومعتقداته، خاصة وإن كلّ من تصدى لترجمتها انتقى ما يناسبه من بين الرباعيّات، ولهذا يمكن القول أن لكلّ من مترجمي تلك الرباعيّات «خيّامه» الذي يتوافق مع معتقده، بل أن الصافي النجفي، أعلن براءته مما شاع من تعلّق القراء بالجانب الخمري والدّهري من الرباعيّات، خاصة وأن تلك النماذج أصبحت نديمة السكاري في البارات وجلسات الأُنس في مختلف الأماكن في البلاد العربية كما يقول في إحدى قصائده:

خالوّه، من شِعْرِهِ، في الحانٍ مُنطرحاً
وكنم أساءت إلى الأشعارِ أفهامُ
ففتّشوا عنه في الحانات وانصرفوا
وكلُّ ما عرفوه عنه أوهامُ
وفي مكان آخر يقول:

ترجمتُها للفنونِ خالصةً
تسكّرُ قراءها بِمَغزاهَا

(١) إضافة إلى رباعيّات أخرى ترجمها في سياق دراسته عن شخصية الخيام، ولم يضمها للرباعيّات، وقد أوردناها في ملحق بترجمته في هذا الكتاب.

إذا بها في الحانات ساكنة

تصبغ أوراقها حمياًها

إنَّ الأوهام التي يشيرُ إليها الصافي النجفي، في فهم الخَيَّام، ناتجة، كما يرى، عن سوء قراءة لرباعيّاته، وليس من ذلك الضخُّ للرباعيّات الدخيلة الذي استمرَّ عشرات العقود، ولذلك سنجد أنه يعمدُ أحياناً إلى تخفيف مستويات تلك النبرة الشهوانية، والإنكارية، والتجديفية، في الترجمة، أو يعزف أحياناً عن ترجمتها.

أما الترجمات العربية والتي تعدُّ ترجمة «أحمد رامي» نموذجاً لها، فقد أهداها إلى روح شقيقه الذي رحل بينما كان رامي يبحث عن مخطوطات الرباعيَّات في مكتبات باريس، ولذا وقعت ترجمته تحت هذا التأثير الشخصي، لذلك غلبَ عليها طابع الزهد وبطلان الحياة، وهو ما اعترف به في تصديره للترجمة: «فحسبتي وأنا أترجمها أنظم رباعيَّات جديدة، أودعها حزني على أخي الراحل، في نُصرة الشباب وأصبرُ نفسي بقرضها على فقده»^(١).

ولهذا سنجد أنها لم تبرز الجانب الأبيقوري للخَيَّام في الحياة ونظرته الدَّهرية للوجود إلا لمأماً، والتي تعدُّ ترجمات الصرَّاف والنجفي والزهاوي، برأيي، أفضل تمثيل لهذا الجانب في الرباعيَّات.

فروح الرباعيَّات في جانب واسع، هي «قلندريات وشطحات خليعة» مشحونة بالتمرُّد، تتجاوز المعهود من شعر التصوف، وأناشيد المناجاة التقليدية في الأدب الملامتي بشكل خاص.

والقلندريات في الشعر «أن يأتي الشاعر في شعره بما هو مخالف للعُرف والعادة، ولا يكون مبالياً بما يجب الاحتراز منه، وأن يكون

(١) أحمد رامي «رباعيَّات الخَيَّام» طبعة دار الشروق القاهرة ٢٠٠٠. وقد كتب ذلك عام ١٩٥٠، أي بعد ٢٦ عاماً من نشره الطبعة الأولى من الكتاب في عام ١٩٢٤م.

مجزّداً من أوصاف الصلاح والتقوى، بل يرى مخالفة الشريعة من الكمال، وسبباً في الترقّي»^(١).

ورباعيّات الخيّام في عدد مهمّ منها تنتمي إلى هذا النوع الخاص من الفنّ الشعري وليس في التوزيع الهندسي «للترانة الفارسية» فحسب ولكن في المضمون الأخلاقي التي تنطوي عليه كذلك، من الاحتفال بالفجور والتهتك، والانفلات من العادة والعبادة.

ولكن عندما تسمّى هذه المضامين «قلنديات» فإنها تثير أكثر من إشكالية، لأنّ بدايات ظهور التصوّف القلندري، غير موثّقة تماماً، لكن المؤكد أنها كانت موجودة في القرن السادس الهجري «الثاني عشر الميلادي» وهو القرن الذي توفي الخيّام في العقد الثاني منه، ولعل بداياته، وربما إرهاباته، تعود إلى قبل ذلك التاريخ، وترتبط بتاريخ التصوف نفسه، خاصة في نزعاته الآسيوية الممزوجة بتأثيرات ثقافية خاصّة، ميّزته عن نزعات التصوف الإسلامي في البلاد العربية، وبغداد تحديداً.

بيد أنّ وجود النزعة «القلندرية» الواضحة في الرباعيّات وليس المصطلح بما يثيره من شكوك، يؤكد أنّ التأسيس لهذا النوع من

(١) «موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تحقيق: د. علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ١٩٩٦م. الجزء ٢ ص ١٣٤١. وجاء في تعريف قلندر إنه: «شخص تجرد عن نفسه وعن الأشكال البشرية والأشكال العادية والأعمال التي لا سعادة فيها حتى صار من أهل الصفاء وترقّى إلى مرتبة الروح، وتخلص من القيود والتكليفات الرسمية، والتعريفات الاسمية، والفرق بين القلندر الملامتي والصوفي، هو أن القلندري قد وصل إلى درجة الكمال في التفريد والتجريد. ويسعى في تخريب العادة. وأمّا الملامتي فيجتهد في إخفاء عبادته. وأمّا الصوفي: فهو لا يبالي قلبه بالخلق أصلاً ولا يلتفت إليهم في شيء من أحواله، لذا فهو أعلاهم مرتبة».

الأدب، قد سبق ظهور السلوك الجماعي لتلك الطائفة، وربما انضمت له لاحقاً، وتدخلت بشحن الرباعيات بمزيد من الملامح التي تجعلها في صميم الطريقة القلندرية، في محاولة للتأصيل الجمالي لتلك العقيدة.

في «الدوبيت والرباعي» وإيقاع الترجمات

كُتبت الرباعيات على وزن «الدوبيت» أي بصيغة البيتين الممقطعين، وليس الشطرين المتصلين كما هو في المثنوي المزدوج، والدوبيت أربعة أشطر تُكوّن بيتين متفقين في الوزن والقافية ووحدة المعنى، وللدوبيت ثلاثة أقسام، الأول: بأربع قوافٍ كالمواليا، أي بجناس لفظي في القافية، لكن بمعنى مختلف كقول ابن الفارض:

لَمَّا نَزَلَ الشَّيْبُ بِرَأْسِي وَخَطَا
وَالْعُمُرُ مَعَ الشَّبَابِ وَلَّى وَخَطَا
أَصْبَحْتُ بِسُمْرٍ سَمَرْقَنْدٍ وَخَطَا
لَا أَفَرِّقُ مَا بَيْنَ صَوَابٍ وَخَطَا^(١)

والثاني: «المردوف» وهو بأربع قوافٍ بالأشطر الأربعة أيضاً، لكن بلا جناس لفظي كقول جلال الدين الرومي:

الْخَمْرُ مِنَ الزُّقِّ تُنَادِيكَ تَعَالَى
وَاقْطَعْ لَوْصَالِنَا جَمِيعَ الْأَشْغَالِ
فُزْنَا وَصَفَّقْنَا وَسَبَقْنَا الْأَخْوَالَ
كَيْ نُعْتِقَ بِالنَّجْدَةِ رُوحَ الْأَعْمَالِ

(١) وخطا الأولى: اختلط شعره الأبيض بالأسود، وخطا الثانية: مشى، سمر سمرقند، أي نساء سمرقند السمرات، وخطا الثالثة: مدينة في تركيا، وفي معجم البلدان «خطى» مدينة بين الكوفة والشام، وخطا الرابعة: خطأ أي عكس الصواب.

والثالث: «الخصي» أو «الأعرج» وهو بثلاث قوافٍ ومنه قولُ
الحلاج:

كَمْ يَنْشُرُنِي الْهَوَى وَكَمْ يَطْوِينِي
يَا مَالِكَ دُنْيَايَ وَمَوْلَى دِينِي
يَا مَنْ هُوَ جَنَّتِي وَيَا رُوحِي أَنَا
إِنْ دَامَ عَلَيَّ هَجْرُكُمْ يُغَيِّبُنِي
وكذلك «دوبيت» العتابي بين القرنين الثاني والثالث الهجري:

يَا سَاقِيَا خُصَّنِي بِمَا تَهْوَاهُ
لَا تَمْزِجْ أَقْدَاحِي رَعَاكَ اللَّهُ
دَغَهَا صِرْفًا فَإِنِّي أَمْزُجُهَا
إِذَا اشْرَبُهَا بِذِكْرِ مَنْ أَهْوَاهُ

وقد كتبت معظم رباعيَّات الخيّام على هذا النوع الأخير من
«الدوبيت» أي «الأعرج» أو «الخصي» مع وجود رباعيَّات كُتِبَتْ وفق
نسق النوعين السابقين.

ويرى التهانويُّ أنَّ الرباعي، يعني أيضاً «الأغنية - ترانه» ويشترط
بالبيت الثاني من الرباعي، أن لا يخلو، حسب التهانوي أيضاً، من
اللطيفة أو النكتة أو المثل.

وبهذا المعنى الأخير لا تتحدَّد الرباعيَّات بشروط وضوابط شكلية
فحسب، وإنما تستلزم، في الوقت عينه، خصائص في المحتوى
تميَّزُها عمَّا سواها من أشعار، إنها أشبه ببيت القصيد في الشعر
العربي، وثقارب مقطوعة «الهايكو الثلاثية» في الشعر الياباني، ويكون
البيت الأول منها عادة، تمهيداً وتوطئة لذروة سريعة ومفاجئة في
صعود المعنى واحتشاده في البيت الثاني بما يخلق نوعاً من التنافر
الدلالي، وهو ما يسمى في لغة النقد الحديث: الضربة، أو المفارقة.

و«الدوبيت» البحر الشعري لكتابة الرباعيَّات لدى الخيّام، بحرٌ

مستحدث خارج بحور الخليل الخمسة عشر ومتداركها على يد الأخفش. وقد ظلَّ أصل بحر «الدوبيت» ودخوله على الشعر العربي، محلَّ جدل لدى المهتمِّين بتأصيل العروض، فهناك من يعزّوه إلى تأثر العرب بالفرس، لأنَّه يفترض أنَّ تاريخ أقدم قصائد «الدوبيت» تعود إلى الشاعر الفارسي «أبو جعفر الرودكي» المتوفى ٣٠٢هـ، ويعُدُّ الرودكي آدم الشعر الفارسي، لأنَّه أوَّل من وضع أسس الشعر الكلاسيكي الإيراني، فكتب «المثنوي» و«الرباعيَّات» و«الأنشودة» وصاغ «كليلة ودمنة» شعراء، وجزءاً من «ألف ليلة وليلة» المتعلِّق برحلات السندباد، لكن على غير هذا الافتراض نجد أنَّ هناك قصائد في الشعر العربي، خاصة لدى الشعراء الصوفيِّين قد طرقت هذا البحر قبل «الرودكي»، كما قدمنا من مقطوعات للحلاج، وللعنابي الشاعر العباسي، كما نقرأ لشعراء آخرين، سبقوا الخيَّام في الكتابة على هذا البحر، كأبي الفتح البستي، وبكر بن علي الصابوني.

وخلال مائة عام، منذ أوَّل ترجمة لها، بلغ عدد الترجمات العربية للرباعيَّات العشرات، حتى أنَّ الدكتور يوسف بكار أحصى خمساً وستين ترجمة إلى العربية^(١) بينما رصد عبد المنعم الحفني، أكثر من اثنتين وخمسين ترجمة، وقد ازداد هذا العدد منذ تاريخ صدور الدراساتين، إذ ظهرت ترجمات عربية إضافية حتى تجاوزت بمجموعها الترجمات الانكليزية والفرنسية مجتمعة! ووصل عدد طبعات ترجمة أحمد رامي لها إلى خمسة وعشرين طبعة حتى عام ٢٠٠٠.

وأمام هذا الحضور المكثف لرباعيَّات الخيَّام في اللغة العربية سيكون من الطبيعي أن نجد لها وقد تركت أثراً واضحاً على البناء المقطعي، والموسيقى، للشعر العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين، ناهيك عن تأثيرات مضامينها، فمع أنَّ الموشحات الأندلسية، وتغيير القافية وتنويعها كانت موجودة في الشعر العربي، إلا

(١) في كتابه «عمر الخيَّام والرباعيَّات في آثار الدارسين» الصادر عام ١٩٨٨،

إنه يمكن ملاحظة التأثير القوي لشكل التوزيع الهندسي لأبيات الخيَّام على الشعر العربي في تلك الفترة، خاصة لدى شعراء «مجلة أبولو» وبشكل خاص لدى إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وأحمد زكي أبو شادي وغيرهم^(١).

ولم يكن التأثير مقتصرأ على التوزيع الهندسي وإنما تجسد كذلك في تكثيف المعنى، والاقتصاد في التعبير عن الفكرة في أربعة أشطر، والانتقال إلى تمفصل آخر عبر التحوُّل إلى مقطعية جديدة، وقافية مختلفة.

ناست الترجمات العربية للرباعيَّات بين الشعر الموزون، وما يمكن أن نسميه اليوم «قصيدة نثر» رغم أن الدارسين لتلك الترجمات يميزونها على أساس: ترجمات «شعرية» وأخرى «نثرية» وكأنَّ الوزن والقافية هما معيار مفصلي للشعرية.

وسنحاول هنا إضاءة هذا الجانب، أقصد: الموزون وغير الموزون، من وجهة نظر أخرى، ففي الترجمات الموزونة المقفأة التي بين يدينا، ثمة تباينٌ واضح في طبيعة الوزن المستخدم في الترجمة، ففي ترجمة

(١) انظر مثلاً قصيدة إبراهيم ناجي «رباعيَّات» في ديوان «الطائر الجريح»، وهنا نموذج من نماذج كثيرة من شعره ولعله الأكثر تأثراً بروح تلك الرباعيَّات:

وَقُمْ نَسْخَرُ مِنَ الدُّنْيَا وَقُمْ نَلْهُ مَعَ الْإِلَهِ
طَوِيْتُ صَحِيفَةَ الْأَمْسِ فَدَعَهَا فِي يَدِ اللَّهِ

هِيَ الدُّنْيَا كَمَا كَانَتْ وَمَاذَا يَنْفَعُ الْوَعْظُ
وَمَا عَتَبْتُ وَلَا خَانَتْ وَلَكِنْ خَائِكَ الْحِظُّ

أَرَدْنَا الْجَاءَ وَالذَّمَّ بَا فَلَمْ يَتَلَطَّفِ الْقَوْلَى
وَهَذَا الْعَمْرُ قَدْ ذَهَبَا وَأَحْسَنُ مَا بِهِ وَلَى

وديع البستاني، ١٨٨٦ - ١٩٥٤، يستخدم «البحر الخفيف» لكنه يغير
في التوزيع الهندسي للرباعيَّات فيجعلها «سباعيَّات»:

واضطراًراً قدْ جئتُ هذي الدِّيارا
وسأُضطرُّ للرحيلِ اضطراًرا
واختياري إنْ استطعتُ اختيارا
أَنْ أُسرِّي عن الفؤادِ الهُموما
في حياةٍ ملأى أَسَى وغموما
فأدرها سِلافةً واسقنيها
نعمةً فالورودُ كانَ مصابا

وعلى إيقاع البحر نفسه، ينظم الشاعر العراقي محمد الهاشمي،
١٨٩٨ - ١٩٧٣ صياغة موزون لترجمة أحمد حامد الصرَّاف عن
الفارسية لكنه يجعلها هذه المرة متكوَّنة من خمسة أشطر، وهي صياغة
لا ترقى فنيّاً إلى الترجمة الحرّة للصرَّاف ونورد هنا ستة مقاطع عدة منها
نظراً لندرتها وعدم نشرها في كتاب:

يَا إِلَهِي إِذَا جَنَيْتُ فإِثْمِي
يَا إِلَهِي عَلَى شَبَابِي وَجِشْمِي
وعلى نَفْسِي الحزينةِ جُرْمِي
أنا جانِ رجوتُ غُفْراً وَصَفْحاً
منكَ قدْ غَرَّه رِضَاكَ فجاز

جيئتي في الدُّنيا أذَى واضطرابُ
وبقائي تحيُّرٌ وارتيابُ

وبقسرٍ يكونُ منِّي ذهابٌ
أيُّ قصدٍ من جيئةٍ وبقاءٍ
وذهابٍ؟ قد ملّت الألبابُ

من حضيضِ الثرى إلى حيثُ يبدو
زُحلٌّ كلُّ مشكلٍ فيه عقدُ
لاخ منه في حيلتي لي رشدُ
كلَّ سرٍّ حللتُ ثَمَّةً إلا
أجلًا ما كَشَفْتُهُ عَن خفاءٍ

لَمْ يَزِ الخلدُ واحدٌ والسعيرا
من أتى مِنْ وراءِ موتٍ صغيرا
أَفْزَعِ المموتُ والرجاءُ صُدورا
نازعَتْ ما يَغِيبُ عنها وَيُخْفِي
غَيْرَ ذِكْرِ الأسماءِ والأوتارِ

بيدِ مصحفٍ وكأسٍ بأخرى
تارةً بالجلالِ آتي وطورا
بحرامٍ آتي فأحملُ وزرا
لستُ تحتَ السماءِ بالكافرِ الملحِ
ولا كنتُ كاملَ الإسلامِ

يا ألهي أوعدتني عذاب
أنا منه في حيرة واضطراب
أين قل يا رب مكان العذاب؟
حيثما كنت لا عذاب فإني
هو إذ أنتم بكل مكان

أما ترجمة أحمد رامي ١٨٩٢ - ١٩٨١ فقد حافظت على التوزيع
الرباعي، لكنها ذهبت إلى وزن آخر هو «البحر السريع»:

هات اسقنيها إيهذا النديم
أخضبت من الوجه اصفرار الهموم
وإن أمث فاجعل غسولي الطلى
وقد نعشي من فروع الكروم.

ويأتي جميل صدقي الزهاوي ١٨٦٣ - ١٩٣٦ فيقدم ترجمتين:
إحدهما حرة غير موزونة، ستكون مادة أولية لصياغات موزونة عدة
لاحقة، كما لدى أحمد زكي أبي شادي، والأخرى موزونة تلتزم
التشطير الرباعي، وتتخذ من «البحر الخفيف» وزناً لها:

لعبوا بالتراب دُهرًا إلى أن
جبلوا منه في النهاية طيني
أنا ما أن أكون أحسن مني
فمن الكور هكذا أفرغوني

أما أحمد الصافي النجفي ١٨٩٦ - ١٩٧٧، فاختار موسيقا أخرى
مغايرة تماماً لجميع من سبقوه، فقد ذهب في ترجمته إلى التنويع بين
البحور الشعرية العربية، وإلى ترتيب الرباعيَّات، بقواف حسب
الحروف الأبجدية كما هو الحال في الأصل الفارسي، فنظمها على

بحور الشعر العربي كله، وجاءت قوافيها على جميع حروف الروي،
حسب الأبجدية العربية.

وإليك ترجمته لرباعية رامي ذاتها وهي هنا من «الخفيف»:

إجعلوا قُوْتِيِ الطلى وأحيلوا
كهرباء الخدود للياقت
وإذا متُ فاجعلوا الرّاح غُسلِي
ومن الكرم فاصنعوا تابوتي

إلا أنّ هذا التّجوال في البحور وخلق موسيقا متعدّدة النبرات
والمستويات، شكّلت مادة لانتقاد «محمد خان القزويني» لترجمة
النجفي، لما تشكّله من ابتعاد عن الأصل لناحية الوزن «بحر الدوبيت»
رغم ثنائه على الترجمة المضمونية للرباعيّات كما جاء في رسالته
للنجفي والتي نشرها الأخير في مقدمته لترجمة الرباعيّات.
وهنا الترجمة الحرة لأحمد حامد الصرّاف ١٩٠٠ - ١٩٨٥ للرباعية
ذاتها:

يا رفقتي! أقيتوني بالخُمرة،
واجعلوا وجهي المُصفرّ اصفرارَ الكهرباء.. أحمر كالياقوت
وإذا متُ فاغسلوني بالمُدّامة
وانحتوا تابوتي من أعوادِ الكرم.

وترجمها البحريني إبراهيم العريّض على «بحر المتقارب» وهنا
ترجمته للرباعية ذاتها:

إذا آذنت بانخمادِ حياتي
فشيع بمشوبة الرّاح ذاتي

وتحت ظلال الكروم لقبري
بأوراقها هي كفن رُفاتي

فيما ترجمها عبد الحق فاضل على «الرمل» بجعله أربع تفعيلات،
أي المجزوء، فجعلها بمنزلة أربعة أبيات مدمجة في أربعة أشطر. وهذا
نموذج لترجمته إحدى الرباعيَّات:

يتظنني الشاني الواهم أني فيلسوف
علم الله بأنني لا كما قال السخيف
بيد أني وأنا في وكر أتراح وبؤس
لا أقل الآن أن أعرف فيه كنه نفسي!

وظلت المقارنات تدور بين الترجمات التي اعتمدت النظم الموزون
المقفى، إذ أصدر الشاعر البحريني إبراهيم العريض كتاباً بهذا الصدد
ب عنوان «اللمسات الفنية عند مترجمي الخيام - دراسة في سبع
ترجمات».

من هنا نجد أن جميع البحور الشعرية العربية، استخدمت لنقل
الرباعيَّات المكتوبة على بحر فارسي واحد، فإلى أي مدى التزمت هذه
الترجمات «الشعرية» بالأصل الفارسي لناحية الموسيقى؟

تعدُّ ترجمة وديع البستاني عند صدورهما في العام ١٩١٢، أول
ترجمة للرباعيَّات، من حيث المعيار الفني والكمي «بلغ عدد الرباعيَّات
التي ترجمها ثمانين رباعيَّة» رغم أن عيسى اسكندر المعلوف، سبقه إلى
ترجمة ست منها، كما أشرنا، كما استشهد البستاني نفسه بمقاطع من
أشعار الخيام العربية، أوردها المعلوف نفسه.

ومن الواضح أن البستاني قد ترجمها قبل ذلك التاريخ، حيث يؤرخ
«مصطفى لطفي المنفلوطي» في تقديمه لتلك الترجمة، تاريخ ٣٠ كانون
الأول/ ١٩١١، وعلى الرغم من الجمالية الفنية النسبية التي تتمتع بها

ترجمة البستاني، إضافة إلى مكانتها الريادية، لكنها تبقى مفتقرة إلى الدقة والأصالة، ذلك أنها اعتمدت ترجمة «فيتزجيرالد» أصلاً لها والتي يؤكد الكثير من دارسي الرباعيَّات أنَّه تصوَّف بها، إلى حدٍّ ما، حتى أن أحمد زكي أبو شادي الذي سبق له صياغتها عن ترجمة الزَّهاوي الحرة عام ١٩٣١، عاد في العام التالي ونشر في العدد الثالث من «مجلة أبولو» صياغة شعرية أخرى لعشر رباعيَّات سماها «عُمريَّات فيتزجيرالد» لأنه رأى أن فيتزجيرالد تصوَّف بترجمتها على نحو يجعل منه شريكاً في صياغة أخرى لتلك الرباعيَّات لذلك تحاشاها إلى تسمية «عمریات» لا «رباعيَّات».

أما ترجمة أحمد رامي الصادرة في طبعتها الأولى في القاهرة عام ١٩٢٤، فقد شاع أنها أول ترجمة عن الأصل الفارسي، إلا أنها ليس كذلك كما سنوضح، كما أنها بفعل قوة ترجمة «فيتزجيرالد» لم تنج من تلك الظلال الكثيفة لتصرفات الشاعر الإنكليزي وتدخُّله في توجيه النص، ومنذ قراءة الرباعيَّة الأولى تلمس تلك الظلال القوية، كما أنه التفت «بنظرة ما» إلى الترجمة الفرنسية على ما يبدو، وتحديدأ إلى مقدمة مترجمها المستشرق المسيو نيكولاس، الذي كان يرى في الخيام: شاعراً صوفيّاً مشغولاً بالعشق الإلهي، وسكران بالخمرة المقدسة.

إنَّ أوَّل ترجمة لرباعيَّات الخيَّام عن الأصل الفارسي، ترجمها الأديب العراقي أحمد الصراف، ترجمة حرة غير موزونة عام ١٩٢١، وقام بصياغتها العروضية ونظمها الشاعر محمد الهاشمي في العام ١٩٢٣.

وستكون لهذه الترجمة حكاية ذات فصول عديدة، وظلالاً طويلة في الترجمات العراقية اللاحقة للخيَّام، تضاهي ترجمة «فيتزجيرالد» التي ألقت بظلالها على كثير من ترجمات الخيَّام العربية.

فهناك أكثر من عشرين صياغة «موزونة» اتكأت على الترجمة الحرة، أغلبها على ترجمة «الصرَّاف» لكنها برأبي لم تضاهِ الترجمة الأصلية

للصراف، التي ينبغي الآن إعادة الاعتبار لها، بعيداً عن التعصّب للوزن والقافية في النظر إلى جمالية الترجمة وأصالتها.

وهناك ترجمات موزونة أو حرة أخرى أقلّ رصانة، كترجمة محمد السباعي ١٨٨١ - ١٩٣١م، وهو والد الروائي المصري يوسف السباعي، وقد جاءت على «بحر الرمل» لكنها حملت مفارقة غريبة، صارت مصدر تشنيع متواتر ضد ترجمته، حين أورد أربعة أبيات لشاعر عربي عباسي هو «ابن وكيع» على أنها ترجمة لإحدى رباعيّات الخيّام. وكذلك الترجمة الحرة للشاعر الأردني مصطفى وهبي التل «عرار» وهي ترجمة تعاني كثيراً من المشكلات، ولا أهميّة فنية لها، إلا بمكانتها التاريخية بين الترجمات. مع أن يوسف بكار بالغ في الثناء على ما تحوزه من أثرٍ فني^(١).

المعرفة «العراقية» بالرباعيّات!

وإذا كان اكتشاف الخيّام عربياً قد جاء عن طريق شاعر إنكليزي، فمن أين جاءت معرفة العراقيين بجارهم الفيلسوف الشاعر؟

البداية يرويها أحمد الصراف، في كتابه عن عمر الخيّام، الصادر عن المكتبة العربية ببغداد عام ١٩٣١. والبداية، من عجوز فارسية هي «بي بي جان»^(٢) كانت أميرة فارسية، وقد سكنت مدينة كربلاء بعدما أزرى بها الدهر، أنشدته في العام ١٩١٧، قصة عن شاعر قلندري «صوفي» اسمه: عمر الخيّام.

ولأن حكاية الخيّام برواية العجوز الفارسية تستحق أن تُروى، مع الرباعيّتين، لما تنطوي عليه من تلخيص بليغ للصورة الشعبية لشخصية الخيّام الملتبسة وإشكالية الرباعيّات نفسها، نعود إلى قرن من الزمان لتلك

(١) في مقدمة تحقيقه لرباعيّات الخيّام بترجمة مصطفى وهبي التل دار الجيل بيروت ١٩٩٠م.

(٢) اسمها: «زن آغا» كما جاء في الطبعة الثانية، وكلمة «بي بي» تعني الجدة.

الحكاية: «صعد الخيَّام ذات يوماً إلى قَمَّة جبل، وأخذ معه أبريقاً مترعاً بالمشعشة، وبينما كان يشرب الكؤوس هبت ريحٌ شديدة فحطَّمت إبريقه، فانسكبت الخمرة، فثارَ وغضب، وخرجت منه هذه الرباعيَّة:

حَطَّمتَ يا إلهي إبريقَ خَمري
وأوصدتَ بابَ الأُنسِ بوجهي
وسكبتَ على الأرضِ خَمرتي الوردِيَّة
تراثٌ في فَمي.. فهل أنْتَ سَكْرانٌ مثلي؟

وما أن أنتمَّ إنشاد هذه الرباعيَّة حتى اسودَّ وجهُه وصار كأنَّه فحمةٌ، فندمَ وشعر بأنَّ الله غضب عليه، فأنشد رباعيَّة جديدة:

يا إلهي، قُلْ: من الذي لَمْ يَأْثُمَ في الدنيا
وكيفَ يلبثُ فيها مَنْ لَمْ يَأْثُمَ؟
فإذا كنتَ تقابلني على سَيِّئتي بِمثلها.
إذا فما الفرقُ بيني وبينك؟

وما أن انتهى من إنشاد هذه الرباعيَّة حتى عاد وجهه كما كان!

هذه الميثيا الشعبية، ذات المرجعية الشفوية التي تعيد تنقيح الأساطير باستمرار، تنعكس في مرايا الزمن ظلالاً محتشدة، لتروي سيرة ملتبسة لشاعر، ينوس بين التهكُّم والتوبة، بين الجنون والحكمة، بين الإيمان والتجديف، وبين العرفان والتخليط.

وإذا كان لكل حصَّته وفضله في حكاية الرباعيَّات: فضل اللغة الفارسية في إنجاب شاعرها أولاً، وفضل الخيَّام بتعريفنا بشاعر انجليزي اسمه «فيتزجيرالد» الذي لم تصلنا أشعاره كما وصلتنا ترجمته للرباعيَّات.. وفضل «فيتزجيرالد» بتعريف العرب بجارهم الشاعر، فما هو فضل العرب في هذه الحكاية؟

قد نجد الجواب في سؤال آخر: هل تنتمي روح الرباعيّات إلى ثقافة «عصر الخيّام» أم لعصر عربي هو «عصر المعري؟» فما بين وفاة المعري ووفاة الخيّام أكثر من نصف قرن، لكنهما ينتسبان إلى ثقافة عصر واحد على ضفتين. فقد توفي المعري وكان الخيّام في العاشرة من عمره، أم تنتمي للعصرين معاً؟ وتعبّر بهما نحو عصر آخر، ثالث، متأخّر بقرون عنهما معاً؟

وفكرة المقارنة بين الشاعرين، قديمة قدم ترجمة الرباعيّات فقد أشار لها البستاني في مقدمته، كما أشار «أديب التقي» في تقديمه لترجمة الصافي النجفي إلى ما اسماء الفلسفة الانقلاية التي تجمعهما، مشيراً كذلك إلى مقارنات مع تشاؤمية شوبنهاور وتهكمات فولتير الدينية، ونظرة جوته الفلسفية للكائنات.

غير أن كلّ هذه الإشارات لا ترقى إلى المقارنة الرصينة، والدراسة الجادة التي قدمها الصرّاف في كتابه عن الخيّام. ليس لناحية مقارنة الخيّام بالمعري وحده، وإنّما بابن الشبل البغدادي، وعدد آخر من معاصريه العرب.

ويؤكّد أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» إنه وجد عند زيارته للعراق عام ١٩٢٢، أن عمر الخيّام كان موضوعاً أثيراً لدى المثقفين العراقيين خلال تلك الفترة، ويشير إلى أنّ نقاشاً واسعاً ومهماً كان يدور بين هؤلاء المثقفين، ويتركّز على مقارنة شعر الخيّام وشخصيته من شعر المعري وفلسفته^(١).

(١) خاصة في حواراته مع الأديب والشاعر المغموّر عبد المجيد الشاوي. أمين الريحاني «ملوك العرب» الجزء الثاني: الملك فيصل والعراق، دار الجيل بيروت الطبعة الثامنة ١٩٨٧، ص ٨٩٥ وكان الشاوي وزيراً في الوزارة النقيية ١٩٢٢، ومحافظاً لبغداد ١٩٢٤، وتوفي في بيروت خلال رحلة العلاج عام ١٩٢٧ راجع: مير بصري «أعلام الأدب في العراق الحديث» دار الحكمة لندن ١٩٩٤م ص ٢٦٣.

وللمعري، كما هو معروف، عشرات الأبيات في الموت والوجود
وفلسفة الحيرة والتهيه، نكتفي بأشهرها مقارنة بإحدى رباعيات الخيام:
يقول المعري:

خَفَّفَ الوَطءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ
ويقول الخيام في إحدى رباعيَّاته عن ترجمة الصراف:

كَانَ قَبْلِي وَقَبْلَكَ لَيْلٌ وَنَهَارٌ
وَكَانَ الْفَلَكَ يَدُورُ لِأَجْلِ غَايَةٍ
إِحْذَرْ وَخَفَّفِ الوَطءَ عَنِ الثُّرَابِ
فَإِنَّهُ كَانَ حَذَقَةً لَعَيْنٍ حَبِيبٍ.
وهنا ترجمة الزَّهاوي للرباعيَّة نفسها:

كَانَ لَيْلٌ مِنْ قَبْلُنَا وَنَهَارٌ
وَنَجُومٌ تَلُجُّ بِالدُّورَانِ
رُبَّ أَرْضٍ وَطَأَتْهَا هِيَ كَانَتْ
عَيْنٌ حَسَنَاءُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
وهذه ترجمة رامي:

وَكَمْ تَوَالَى اللَّيْلُ بَعْدَ النَّهَارِ
وَطَالَ بِالْأَنْجَمِ هَذَا النَّهَارُ
فَامْشِ الْهُوَيْنَا إِنَّ هَذَا الثَّرَى
مِنْ أَعْيُنِ سَاحِرَةِ الْآحُورِ
وهنا ترجمة النجفي:

كَانَ يَبْدُو قَبْلِي وَقَبْلَكَ صَبَحٌ
وَدَجَى وَالسَّمَاءُ تَدُورُ لِأَمْرِ
طَائِفٍ بِرَفْقٍ هَذَا التُّرَابَ فَقَدْماً
كَانَ إِنْسَانٌ عَيْنِ ضَبِي أَعْرَ.

ويتكرَّرُ هذا المعنى في رباعيَّة أخرى مما يدلُّ على قدرة الرباعيَّات
على الاستضافة والترحيب بالإدخالات الجديدة جاء في ترجمة
الصافي:

كُلُّ ذَرَاتِ هَذِهِ الْأَرْضِ كَانَتْ
أَوْجَهَا كَالشُّمُوسِ ذَاتِ بَهَاءٍ
أَجَلٌ عَنْ وَجْهِكَ الْغُبَارَ بِرَفْقٍ
فَهُوَ خَذُّ لِكَاعِبٍ حَسَنَاءٍ.

وقد لاحظتُ أَنَّ الإشارات لترجمة الصرَّاف قليلة في الدراسات
الخاصة بترجمة الرباعيَّات للعربية وأغلب الظنُّ أن هؤلاء الدارسين لم
يطلعوا عليها مباشرة، فاكتفوا بتلك الإشارات العابرة، رغم أنَّها تعدُّ
الترجمة العربية الأولى عن الأصل الفارسي، عدا عن كونها الترجمة الأمُّ
لعددٍ لا يُستهانُ به من الصياغات الشعرية اللاحقة للرباعيَّات. كما أنَّها
أوَّلُ دراسة عربية جدية لشخصيَّة الخيام، وفلسفته، وسيرته الملتبسة.

مائة عام على ظهور الرباعيَّات بالعربية، وربما مائة ترجمة ودراسة
عنها، لم تكن كافية لاكتشاف الخيام الحقيقي، وسط هذا الحشد من
التناقضات، بل ربَّما زادت هذه التناقضات حدَّة. لكن أسوأ ما في
الرحلة كُلِّها، هو أن نعود إلى التوصيف القديم للخيام في كتب التراث
العربي، فيلسوفاً مثالياً وعالم رياضيات، وإمام حكمه، وليس شاعراً
ماجنأ مشرّداً في الحانات، ونادماً تائباً على ذنوب لم يثبت تماماً أنه
اقتربها.

وإذا كانت الرباعيَّات كلها للخَيَّام فعلاً، فكيف حياة متخيلة له في رباعيَّاته المشوَّدة؟ هل كان الخَيَّام يسكنُ صومعة؟ أم يُنفق وقته في الحانات؟ أم يأوي إلى عزلةٍ في مرصده الفلكي بأصفهان؟

إنَّ تقديم الرباعيَّات لخلائط متعدِّدة من النزعات الذهنية والروحية: إنكار البعث، الصوفية، التفاؤل، التشاؤم، الشهوانية الأبيقورية، التناسخ، الماديَّة، الزهد، التدين، ومحاكمة الآلهة. تريد أن تقول لنا: هذا هو الخَيَّام: خليطٌ لكيان بشري غير متجانس بل متناقض.

الترجمات الثلاث هنا، تعزَّز هذا الأسئلة حول من هو الخَيَّام، فلكلُّ من المترجمين الثلاثة خَيَّامه.. وللمقارئ كذلك، أن يعيدَ صياغة خَيَّامه من بين هذه الرباعيَّات المتنوعة حدَّ التناقض الداخلي أحياناً، والتي تمثِّلُ تاريخاً من الأخطاء الإنسانية الطبيعية في تجربة حياة، وتجربة وجود قلقة حقاً.

كما أنَّ هناك خصوصية في الترجمات العراقية الثلاث للرباعيَّات هنا، في كونها تخلَّصت وبشكل كامل من عبء ترجمة «فيتزجيرالد» وهو الأمر الذي حدث في ترجمات عراقية أخرى لاحقة كترجمة طالب الحيدري ١٩٥٠ ومهدي جاسم الشماسي ١٩٦٨ وعبد الحق فاضل ١٩٥١.

وقد ذكر لي المرحوم «محمود العبطة» في أوائل الثمانينيات أنَّ هناك ترجمة لم تنشر لرباعيَّات الخَيَّام للجواهري، كان قد ترجمها عن الفارسية في الثلاثينيات^(١)، لكنني لم أتوصل إلى تلك الترجمة أو أية معلومة أخرى حول ترجمته للرباعيَّات أو لعدد منها.

الترجمات الثلاث هنا أنجزت جميعها في العشرينيات: الصرَّاف

(١) وكان العبطة نفسه قد نشر هذه المعلومة في مجلة «الرسالة» المصرية لأحمد حسن الزيات «العدد ٥٣٧ - بتاريخ: ١٨/١٠/١٩٤٣» مشيراً إلى أنها ترجمة لم تطبع في كتاب.

١٩٢١، وربما قبل ذلك حيث يقول إنها بدأها بعد شتاء ١٩١٨،
والصافي النجفي كان قد أرسل ٨٦ رباعية منها إلى «محمد القزويني»
في باريس ليطلع عليها عام ١٩٢٦. ونشر قبل ذلك عدداً من تلك
الرباعيَّات في مجلة «أرمغان» الإيرانية.

أمّا الزّهاوي فقد نشر ترجمته للرباعيَّات في كتاب عام ١٩٢٨. في
بغداد وانتهى من ترجمتها في بغداد في ٨ كانون الثاني ١٩٢٥م.

تصلح هذه الترجمات الثلاث لعقد مقارنة، ليست فنيّة فحسب،
وإنّما لمستوى تلك «الخيانات» المقصودة التي تحدّثنا عنها، وهي
تحاكي نوعاً من الرقابة الأخلاقية الداخلية أحياناً، أو خضوعاً لرقابة
الخارج، ومحاولة تحاشي الاصطدام بالموروث الأخلاقي الديني أو
القومي في انتقاء المفردات. يقول الزّهاوي في ترجمة إحدى
الرباعيَّات:

إلى متى أعرّضُ جَهالةَ نَفْسي

ضاقَ قلبي من هذا الشّتاتِ

أريدُ أنْ أشدَّ بوسْطِي زَناراً مجوسِيَّةً

أندري لماذا؟ للحياءِ من إسلامي!

أما ترجمة الصرّاف للبيت الثاني من الرباعية نفسها فجاءت كالتالي:

«أريدُ أنْ أشدَّ في وَسْطِي زَنارَ المجوسِ!

أندري لماذا؟ مِنْ خِزْيِ إسلامي!!»

وواضح تماماً الفرق الأخلاقي بين مفردتي «الخزي» في ترجمة
الصرّاف و«الحياء» في ترجمة الزهاوي، ويلاحظ كذلك أن الزّهاوي قد
حذف في صياغته الموزونة للرباعية ذاتها كلمة «مجوسية» ولولا أنّ
الصياغة الموزونة مسبقة بصياغة حرّة تردّ فيها كلمة: مجوسية، لما

كان يمكن أن يدلّ المعنى على ما قصده الخيّام أو من «وَضَعَ» تلك
الرباعيّة عليه.

وفي ترجمة الصافي النجفي نقرأ هذه الرباعيّة المرقمة بـ ٧٤:

لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ مِلْتُ تَنَشُّكَأ
فَتَيَقَّنْتُ نَفْسِي غَدًا بِنَجَاحِي
أَسْفًا فَقَدْ نُقِضَ الْوُضُوءُ بِنَسْمَةٍ
وَالصَّوْمُ زَالَ بِنِصْفِ جُرْعَةٍ زَاحِ
أما الصرّاف فيترجم الرباعيّة على هذا النحو:

«عندما مالَ طَبْعِي إلى الصَّلَاةِ والصَّوْمِ
قلْتُ لنفسي: لقد حصلَ مُرَادِي
لكنَّ أسفًا لقد بَطَلَ ذلكَ الوُضُوءُ «بضرطة»
وَبَطَلَ الصَّوْمُ بنصفِ جُرْعَةٍ من الخمر!»

وقد عمد الصرّاف نفسه إلى حذف هذه الرباعيّة ورباعيّات أخرى
تسم بالتجديف من الطبعات اللاحقة لكتابه عن الخيّام. بل إنه اضطرَّ
أحياناً إلى تكييف المفردات لحال مستجدٍّ على ما يبدو بعد نشر طبعته
الأولى: فيعدل عن «الوضوء بالخمر في الحانة» إلى «التطهر» ويغيّر
«مؤدّن الفجر الذي ينادي بالشرب» إلى «المنادي»

وبشكل عام فإنّ كلّاً من الزّهاوي والصرّاف أظهرَا روحاً متهتكةً
لِلرباعيّات، وإن ظهرت تلك الروح، بوضوح أكثر، في ترجمة
الصرّاف، على الرّغم أنّ الزّهاوي أهدى ترجمته: «إلى فرع الشجرة
الهاشميّة الأعلى والحامي الأكبر للنهضة المباركة الملك فيصل الأول»
ومع هذا ثمة تقاربٌ ملحوظٌ بين ترجمة الصرّاف والترجمة الحرّة
للزّهاوي تحديداً، بل إن هذا التقارب يبدو في كثير من المواضع أقرب
حتى من صياغة المقطع ذاته، حين يعيد الزّهاوي صياغته موزوناً:

كَثُرَتْ فِي صَحْوِي وَشُكْرِي الظَّنُونُ
 ورموني بالكُفْرِ والكُفْرُ دِينُ
 لَا أَبَالِي بِظَنُّهُمْ بِي فَإِنِّي
 مِلْكُ نَفْسِي كَمَا أَشَاءُ أَكُونُ
 بينما ترجمته الحرة:

«إِنْ كُنْتُ سَكَرَانٌ مِنْ خَمْرَةِ الْمَجُوسِ فَأَنَا ذَاكَ
 أَوْ كَافِرًا أَوْ مُلْحِدًا أَوْ وَثِنِيًّا فَأَنَا ذَاكَ
 لِكُلِّ طَائِفَةٍ ظَنُّ فِيَّ.. أَمَّا أَنَا
 فَمِلْكُ نَفْسِي أَكُونُ كَمَا أَشَاءُ»

إذن سنجدّه عمْدَ، مرَّةً أُخْرَى، إِلَى حَذْفِ كَلِمَاتٍ مَعِينَةٍ مِنَ الصِّيَاغَةِ
 الْمُوزُونَةِ: مَجُوسِي، كَافِرٌ، مُلْحِدٌ، وَثْنِي، وَاخْتِزَلَهَا بِمُفْرَدَةٍ وَاحِدَةٍ:
 الْكُفْرُ.

وَلَعَلَّ وَجُودَ الصِّيَاغَتَيْنِ لِلنَّصِّ ذَاتَهُ: الْحُرَّةُ وَالْمُوزُونَةُ، يَكْتَسِبُ
 أَهْمِيَّتَهُ حِينَ يَبِينُ إِلَى أَيِّ حَدٍّ تَنَالُ التَّرْجُمَةُ الْمُوزُونَةُ الْمَكْتِيفَةُ لِمُوسِيقَى
 الشَّعْرِ، مِنْ أَصَالَةِ النَّصِّ الْأَصْلِيِّ وَرُوحِهِ، وَتَبْتَعِدُ بِمَسَافَاتٍ إِضَافِيَّةٍ
 عَنْهُ، رَغْمَ أَنَّ الْمُرْجَمَ وَاحِدٌ فِي كِلْتَا الصِّيَاغَتَيْنِ.

لَكِنَّ هَذَا التَّهْتُّكَ الْمُتَفَاوَتَ، بَيْنَ تَرْجَمَتِي الصَّرَافِ وَالزَّهَاوِيِّ،
 سَنَجِدُهُ لَدَى الصَّافِي يَصَاحُ بَنُوعٍ مِنَ التَّمَرُّدِ الرَّصِينِ، يَتَنَاسَبُ مَعَ رِصَانَةِ
 الصِّيَاغَاتِ «الشَّعْرِيَّةِ» أَنَّهُ بِمَعْنَى مَا تَهْتُّكُ مُلَغَّزٌ، وَمَحْجَبٌ بِبِلَاغَةٍ
 خَاصَّةٍ، وَلَيْسَ مَكْشُوفًا تَمَامًا كَمَا لَدَى الصَّرَافِ مَثَلًا.

كَمَا أَنَّ تَرْجَمَتَهُ هِيَ الْأَكْبَرُ مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الرِّبَاعِيَّاتِ «٣٥٢ رِبَاعِيَّةٍ»
 وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَى هَذَا الْعَدَدِ، فَتَرْجُمَةُ أَحْمَدَ رَامِي بَلَّغَتْ «١٦٨
 رِبَاعِيَّةٍ» وَوَدِيعَ الْبُسْتَانِيِّ «٨٠ رِبَاعِيَّةٍ» وَتَعَدُّ تَرْجُمَةُ الصَّافِي النُّجْفِيِّ ثَانِي
 أَكْبَرَ تَرْجُمَةٍ مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الرِّبَاعِيَّاتِ الْمُرْجَمَةِ بِشَكْلِ عَامٍ، بَعْدَ تَرْجُمَةِ

عبد الحق فاضل ذات الـ «٣٨١ رباعيّة» والتي نشرها في العام ١٩٥١ ضمن كتابه «ثورة الخيام» وتمتاز ترجمة الصافي كذلك بالرصانة والجمالية، ولا غرابة في ذلك فهو أغنى المترجمين شاعريّة، على الأقلّ من بين من ترجموا رباعيّات الخيام شعراً موزوناً. إضافة إلى أنه الوحيد، ممّن ترجموا «رباعيّات الخيام»، أنجزها في الموطن الأصلي لشاعر الرباعيّات، في ذات البيئة التي نتجت عنها: إيران. وأمضى ثماني سنوات في الإطلاع العميق على روافد الشعر الفارسي، وأصوله الفنية. بينها ثلاث سنوات في تفرّغ تام لترجمة الرباعيّات، حيث كان «يفرغ الرباعيّة الواحدة في أكثر من عشرين سبكاً قبل أن يختار واحداً منها هو الأكثر تمثيلاً للنص الأصلي كما يقول» لكنه يقرّ، بالمقابل، إنّ هناك رباعيّات جميلة، استعصت على الترجمة، فأثّر أن يتركها بجمالها الأصلي كي لا تفقد بهاءها في الترجمة.

وقد نالت ترجمة الصافي ثناء الأدباء الفرس العارفين باللغتين العربية والفارسية، حتى أن أحدهم وصف جمالية ترجمة الصافي للرباعيّات وقربها حدّ التطابق من الأصل الفارسي بالقول مخاطباً الصافي: «أكادُ أعتقد أنّ الخيام نطّم رباعيّاته بالعربية والفارسية معاً وقد فُقدَ العربيُّ منها فتعثّرت عليه وانتحلته لنفسك» كما أنّه ربّها على القوافي وحسب الحروف الهجائية العربية من الألف إلى الياء.

أما الزهاوي الشيخ الضليع بالفارسية، فقد ربّب ترجمته للرباعيّات حسب الموضوع فقسّمها إلى ثمانية أقسام الأول: «في الخمرة» والثاني: «في الكوز» والثالث: «في التذثّر» والرابع: «في العظة والأخلاق» والخامس: «في الحكمة والشكّ» والسادس: «في العشق» والسابع: «في ما خاطب به الله» والثامن: «في مطالب شتى»

من جانبي، قمت بترتيب الترجمات الثلاث بادئاً بترجمة الصرّاف، لأنّها أول ترجمة حرّة للرباعيّات عن الفارسية، ولعلّها الأولى عن الفارسية بالمطلق، واختتمتها بترجمة الصافي النجفي لأنّها أوسع الترجمات الثلاث، وهي مصاغة بالوزن الشعري الذي على ما هو

واضح لم يفقدها الكثير من تماثلها مع النص الأصلي، سوى ما أشرنا إليه من تقصّد الصافي تحاشي بعض الكلمات في الترجمة للأسباب التي ذكرناها في هذه المقدمة، فيما جعلتُ ترجمة الزهاوي بين الترجمتين، لأنّ مكانها هكذا حيث جاءت ترجمة مزدوجة: حرّة وموزونة، وبهذا يمكن للقارئ والمهتمّ على حدّ سواء الانتقال بسلاسة في أجواء الرباعيّات بين الترجمات الثلاث.

أما الخيّام المتشرّد كرباعيته بعد أن غادر مرصده الفلكيّ في أصفهان، فربما سيظهر متشظيّاً في مشهد متسع، وهو يسكنُ رباعيته كما تسكن الأبدية في خيمة، في العراء، لتروي حكاية ستبقى ملتبسة كتلك الروح غير القابلة للتقويض تماماً:

«أَيُّ خِيَّامٍ إِنَّ جَسَدَكَ يُمَاطِلُ الْخِيْمَةَ حَقًّا

وَالرُّوحُ الَّتِي مَنْزَلُهَا دَارُ الْبَقَاءِ

تُشَبُّهُ السُّلْطَانُ

أَفَلَا يَقْوِضُ الْخِيْمَةَ فِرَاشُ الْأَزَلِ»

رباعيات الخيام^(١)

ترجمة أحمد الصرّاف

الطبعة الأولى مطبعة دار السلام بغداد ١٩٣١

الطبعة الثانية مطبعة الشعب دار الأخبار بغداد ١٩٤٩

كما صدرت طبعة ثالثة من الكتاب عن مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦١

يختلف ترتيب الرباعيات بين الطبعتين الأولى والثانية، وهنا اعتمدنا ترتيبها كما ورد في الطبعة الثانية، مع إضافة الرباعيات التي عمد الصرّاف إلى حذفها من الطبعة الثانية، وأشرنا في هوامشها إلى ترتيبها في الطبعة الأولى ولمواضع التنقيح في الترجمة بين الطبعتين.

(١) ترجم أحمد الصراف رباعيات الخيام أساساً في عام ١٩٢١، بطلب من الشاعر محمد الهاشمي الذي صاغها موزونة، وبهذا تكون أول ترجمة عربية لرباعيات الخيام عن الفارسية، ثم نشرها الصرّاف لاحقاً في كتابه «عمر الخيام الطبعة الأولى ١٩٣١» و«عمر الخيام الحكيم الفلكي النيسابوري - الطبعة الثانية ١٩٤٩» و«عمر الخيام الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري الطبعة الثالثة ١٩٦١».

- ١ -

يَا «إلهي»^(١) ليس لعقلي من قُدرةٍ لإثباتِكَ
وما تفكيري إلا مُناجأتُكَ،
كيفَ أعرفُ ذاتَكَ كما ينبغي
فلا يَعْرِفُ ذاتَكَ إلا ذاتُكَ^(٢).

- ٢ -

نحنُ ألعيبُ أطفالٍ، واللاعبُ بنا هو القَلَكُ
«وذلك في الحقيقة لا في المجاز»^(٣)
لَقَدْ لَعِبْنَا مَدَّةً في «رُقعة»^(٤) الوجود
ثُمَّ ذَهَبْنَا إلى صندوقِ العَدَمِ واحِداً بَعْدَ واحِدٍ.

(١) في الطبعة ١ ربي.

(٢) كانت هذه الرباعية آخر ما قاله الخيام حين حضرته الوفاة.

(٣) في ط ١: ذلك أمر حقيقي غير مجازي.

(٤) في ط ١ ساحة.

- ٣ -

لَوْ كَانَ الْمَجِيءُ إِلَيَّ ، مَا جِئْتُ ،
وَلَوْ كَانَ إِلَيَّ إِنْسَائِي مَا أَرَدْتُهُ ،
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ فِي هَذَا الدَّيْرِ الْخَرِبِ وَلَمْ آتِ إِلَيْهِ ،
وَلَمْ أُخْلَقْ فِيهِ ، وَلَمْ أَتُبَّ فِيهِ^(١) .

- ٤ -

إِنِّي عَبْدُكَ الْعَاصِي فَأَيْنَ رِضَاكَ ؟
و«إِنَّ قَلْبِي مُظْلَمٌ»^(٢) فَأَيْنَ نَوْرُكَ وَصَفَاؤُكَ ؟
إِنْ كُنْتَ تُعْطِينَا الْجَنَّةَ بِالطَّاعَةِ لَكَ
كَانَ ذَلِكَ بَيْعًا ، فَأَيْنَ لُطْفُكَ وَعَطَاؤُكَ ؟

- ٥ -

صَاحٍ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ عَلَيْكَ الِهْمُومُ بَيِّنَاتًا^(٣)
مُرُّهُمْ يَأْتُوكَ بِخَمْرَةٍ وَرَدِيَةٍ
أَيُّهَا الْجَاهِلُ الْغَرُّ لَسْتَ ذَهَبًا
فَإِذَا وَارَوْكَ فِي التَّرَابِ أَخْرَجُوكَ مَرَّةً أُخْرَى^(٤)

(١) في ط ١ لو كان مجيئي باختيارى. ولو كانت خلقتى بيدي لما رغبت أن أخلق.

(٢) في ط ١ : أنا المظلم قلبه.

(٣) أتاها بياتاً: أتاها في جوف الليل وجاء في القرآن سورة الأعراف الآية ٩٧ : «أَفَأَمِنَ

أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ»

(٤) جاءت ترجمة هذه الرباعية في الطبعة الأولى كالآتي: =

- ٦ -

تسيرُ قافلةُ العُمرِ سيراً عَجيباً
فاغتَنمَ وقتاً تَطْرُبُ فيه
ما لكَ مهموماً من يومِ القيامةِ في الغد؟
هاتِ الزجاجةَ فإنَّ الليلَ سينْقُضي^(١)

- ٧ -

أنا إن كنتُ سكرانَ بخمرةِ المجوسِ فأنا ذاكُ
وإن كنتُ كافراً أو مجوسياً أو وثنياً فأنا ذاكُ
لِكُلِّ طائفةٍ ظنُّ فيَّ، أمّا أنا
فملكُ نفسي أكونُ كما أريد.

- ٨ -

تضع الإِشراكَ، يا إلهي، في أَلِفِ مكانٍ من سبيلي
وتقولُ لي: إذا وَقَعْتَ فيها فإِنِّي مُردِكُ
لا تخلو ذرَّةً في العالمِ من حُكْمِكَ
أنتَ تحكمُ عليَّ، وأنتَ تسمِّيني بالعاصي

= «قَبْلَ أَنْ تُهْلِكَ هُمُوكَ

مُزْهِمَ أَنْ يَأْتُوكَ بِمُدَامَةٍ وَرَدِيَةِ

أَيُّهَا الْجَاهِلُ الْغَرُ

أَنْتَ لَسْتَ ذَهَباً لِيَدْفَنُوكَ فِي التُّرَابِ ثُمَّ يُخْرِجُوكَ!

(١) في ط ١ «فَإِنَّ اللَّيْلَ عَلَى وَشِكِ الْفَنَاءِ»

- ٩ -

لَمَّا كَوَّنَ اللَّهُ وجودنا من الطَّيْنِ
كَانَ يَعْلَمُ بالأفعالِ التي ستصدرُ مِنَّا
لَيْسَ خَارِجاً مِنْ حُكْمِهِ كُلُّ ذَنْبٍ نَقْتَرِفُهُ
فَلِمَاذَا يُضِلُّنَا فِي السَّعِيرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

- ١٠ -

لَوْ كُنْتُ مُهَيِّمناً عَلَى الْفَلَكَ هَيِّمَةً خَالَتِي لَنَقَضْتُهُ.
وَلَخَلَقْتُ فَلْكَاً غَيْرَهُ
يَبْلُغُ بِهِ الْأَحْرَارُ أَمَانِيهِمْ
مِنْ دُونِ عَنَاءٍ

- ١١ -

لَيْتَ لِلرَّاحَةِ مَحَلًّا.
وَلَيْتَنَا بَلَّغْنَا آخَرَ هَذَا الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ.
وَيَا لَيْتَ لَنَا أَمَلًا فِي الْعُودَةِ لِلْحَيَاةِ بَعْدَ مِثَاتِ أَلُوفِ
السَّنِينَ
كَمَا يَعُودُ الْعُشْبُ مِنْ قَلْبِ التُّرَابِ.

- ١٢ -

أُولَئِكَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ بِطَرِيقِ الْعَقْلِ
هِيَهَاتَ فَإِنَّهُمْ يَخْلِيُونَ ثَوْرًا
هُمْ أَجْدَرُ بِأَنْ يَتَقَمَّصُوا الْبَلَاهَةَ

إِذْ لَا يُشْتَرَى، الْيَوْمَ، بِالْعَقْلِ بَاقَةً مِنْ «كَوَاثِ»^(١)!

- ١٣ -

قَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ فِي الْمَذْهَبِ وَالذِّينِ
وآخَرُونَ خِيَارَى بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ
وَإِذَا هُمْ بِهَاتِفٍ يَهْتَفُ بِهِمْ:
أَيُّهَا الْغَافِلُونَ.. الطَّرِيقُ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ.

- ١٤ -

نَحْنُ يَا مُفْتِي الْمَدِينَةِ أَصْلَحُ مِنْكَ عَمَلًا
وَمَعَ كُلِّ هَذَا الشُّكْرِ أَصْحَى مِنْكَ
إِنَّا نَشْرَبُ دَمَ الْعَنْبِ، وَأَنْتَ تَشْرَبُ دَمَ النَّاسِ
فَانْصِفْ وَتَأْمَلْ.. أَيُّنَا السَّافِكُ لِلدِّمَاءِ؟^(٢)

- ١٥ -

قَالَ شَيْخٌ لِمُوسَى: أَنْتَ سَكْرَى
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَتَعَلَّقِينَ بِأَذْيَالِ آخِرٍ
فَقَالَتْ: أَيُّهَا الشَّيْخُ إِنَّ الَّذِي قَلْتَهُ صَحِيحٌ.
لَكِنَّكَ، أَنْتَ أَنْتَ كَمَا تَظْهَرُ لِلنَّاسِ؟^(٣)

(١) فِي ط ١: حَشِيش.

(٢) فِي ط ١: أَيْنَا أَشَدَّ سَفَكًا لِلدِّمَاءِ.

(٣) فِي ط ١: قَالَ شَيْخٌ لِفَاحِشَةٍ أَنْتَ سَكْرَى.

وَفِي كُلِّ لِحْظَةٍ مُتَعَلِّقَةٌ بِشَخْصٍ

- ١٦ -

لو عرف القلب سرَّ الحياة كما هي
لعرف أيضاً في الموت الأسرارَ الإلهية
أنت لا تعلم شيئاً اليوم وأنت مع نفسك
فماذا تعلم غداً إذا تجرّدت منها؟

- ١٧ -

حيث أنك تموت مرةً واحدة.. مت
ما هذا الذلُّ؟ دمٌ ونجاسةٌ وصمٌّ من عظمٍ وجلدٍ
ليتها لم تكن
فما هذه المِحنة^(١).

- ١٨ -

جاء بي إلى الوجود بالرَّغم مني
ولم أزدُ غيرَ الحيرة في هذه الحياة
ذهَبنا مُكرهين ولم نعرف الغرض من مَجيئنا
وبقائنا وذَهَابنا...؟

(١) في ط ١: «لما كان موتك مرة واحدة،

مت مرة واحدة.

ما هذه المسكنة؟ دمٌ ونجاسةٌ وحفنةٌ من عظمٍ وجلدٍ،
فما هذه المحنة من أجل شيء تافه حقير».

- ١٩ -

ما أَصْنَعُ يا إلهي وقد جَبَلْتَنِي من ماءٍ وَطِينٍ
وَعَزَلْتَ صُوفَتِي
أَنْتَ كَتَبْتَ عَلَيَّ كُلَّ ما يَصْدُرُ مِنِّي من خَيْرٍ وَشَرٍّ في هذا
الوجودِ
فما جِئْتَنِي؟^(١)

- ٢٠ -

حَتَّى مَ يَمُرُّ عُمرُكَ في عِبَادَةِ نَفْسِكَ؟ أو التَّفَكُّيرِ في
الوجودِ وَالْعَدَمِ؟
أَشْرَبِ الخَمْرَ
فإنَّ العُمَرَ الذي يَعْقِبُهُ الموتُ
يَخْسُنُ أَنْ يَنْقُضِي في النَّوْمِ أو الشُّكْرِ...

- ٢١ -

مَنْذُ ظَهَرَتِ الزَّهْرَةُ والقَمَرُ في السَّمَاءِ
ما رَأَى أَحَدٌ أَحْسَنَ من الخَمْرَةِ الصَّافِيَةِ
يا عَجَبِي من باعَةِ الخَمْرِ
أَيَّ شَيْءٍ سَيَشْتَرُونَ أَحْسَنَ مِمَّا يَبِيعُونَ؟

(١) في ط ١: فما أصنع بدل ما جيلتي. والفخ بدل الشرك.

- ٢٢ -

لا تذكرِ اليومَ الذي مَضَى
ولا تجزغِ من غَدٍ لم يأت بعدُ
ولا تفرغِ ممَّا يأتِي، ولا تأسفِ عمَّا مَضَى
طِبْ نَفْسًا ولا تدغِ عُمرَكَ يمضي سُدى.

- ٢٣ -

وقعنا في هذه الحياةِ وقوعَ الطَّيرِ في الشَّركِ
مَفْؤدين من الدَّهرِ
تأنهينَ في هذه الدَّائرة التي لا سطحَ لها ولا بابَ
لا جُننا مُختارين، ولا ذَهَبنا مُريدين^(١).

- ٢٤ -

لا سبيلَ لي إلى الطَّرَبِ ما دمْتُ صَاحِبًا
وإذا ما ثملتُ نَقَصَ عقلي
إنَّ حالَةَ بين الصَّخْرِ والشُّكْرِ حالَةٌ
هي عندي وحدها صفو الحياة^(٢).

- ٢٥ -

يقولونَ لي: إنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةٌ بِحُورِها
وأنا أقولُ: إنَّ ماءَ العنبِ هو الطَّيِّبُ

(١) في ط ١: مَفْؤدين من الدَّهرِ، طائشين على الدوام.

(٢) في ط ١: لذة الحياة بدل صفو الحياة.

خُذْ هَذَا التَّقْدَ وَذَرْ ذَلِكَ النَّسِيءَ^(١)
فصوتُ الطَّيْلِ مِنْ بَعِيدِ أَحْسَن!

- ٢٦ -

إِنْ سَقَيْتَ الْجِبَلَ خَمْرًا رَقَصَ الْجِبْلُ
ناقصٌ من ينتقص قدرها
أَتَطْلُبُ مِنِّي أَنْ أَتُوبَ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ؟
وهي الرُّوحُ التي تَرْبِي الْإِنْسَانَ؟

- ٢٧ -

اشْرَبِ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ
وهي وحدها مزيةُ الدُّنْيَا
هذا أَوَانُ الْوَرْدِ وَالطَّرِبِ، وَالْأَخْلَاءُ سُكَارَى
فاسعدْ لحظةً، هذه هي الحياة.

- ٢٨ -

إِنَّ هَذِهِ السَّمَاءَ كَطَاسَةٍ مَقْلُوبَةٍ
وفيها الأذكىاءُ جميعهم قانطون
أنظروا إلى صَدَاقَةِ الْإِبْرِيْقِ وَالْكَأْسِ
الشُّفَاءُ فَوْقَ الشُّفَاءِ، وَبَيْنَهُمَا الدَّمُ!^(٢)

(١) في ط ١ الوعد بدل النسيء

(٢) في الطبعة الثانية «والدم بينهما» واخترت صياغة الطبعة الأولى.

- ٢٩ -

حتَّى مَ تَبْقَى أُسِيرَ اللّوْنِ والرَّائِحَةِ؟
وَكَمْ تَجْرِي وَرَاءَ كُلِّ طَيِّبٍ وَخَبِيثٍ
سَتَغُورُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ
حتَّى لَوْ كُنْتَ مَاءَ زَمْزَمَ أَوْ مَاءَ الْحَيَاةِ!

- ٣٠ -

حَيْثُ أَنَّ الْعُمَرَ سَيَنْقُضِي، سَيَّانَ عِنْدِي حُلُوهُ وَمَرْهُ
وَإِذَا طَفَحَتِ الْكَأْسُ فَسَوَاءٌ أَنْ تَطْفَحَ فِي «بَغْدَادَ» أَوْ
«بَلْخَ»

اِخْسُ يَا صَاحِبِ كُؤُوسِ الْحَمِيَّاتِ،
فَإِنَّ الْقَمَرَ سَيَنْتَقِلُ مِنْ بَعْدِي وَبَعْدَكَ مِنَ السَّلَاحِ إِلَى الْغُرَّةِ
وَمِنَ الْغُرَّةِ إِلَى السَّلَاحِ كَثِيرًا^(١).

- ٣١ -

غَلَطَ الْعَدُوُّ بِقَوْلِهِ: إِنِّي فِلَسْفِيٌّ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ
وَلَكِنِّي إِذْ وُجِدْتُ فِي دَارِ الْغَمِّ . الدُّنْيَا.
فَلَا أَقْلًا أَنْ أَعْرِفَ مَنْ أَنَا؟

(١) السِّلَاحُ: آخر الشهر، والغُرَّةُ أوَّلُهُ.

- ٣٢ -

لا تسلك غير سبيل «قلندرية»^(١) الحانة
ولا تطلب غير الخمر والسماع والحبيب
ضع القدح على كفك والذن على مثبك
واشرب أيها الجميل ولا تقل «لغوا»^(٢)

- ٣٣ -

مع أن الفضّة لا تكون ذخيرة العقلاء
لكن روض الحياة سجن للمفلسين
ها هي البنفسجة نكست رأسها لخلو جوفها
وها هي الوردة باسمّة في كيسها الذهبي.

- ٣٤ -

سواء في نظر «المحقّقين»^(٣) الحسن والقبح

(١) القلندرية: فرقة من فرقة الصوفية نشأت قرية من الملامتية وامتازت عنها بأقوال القلندريين كانوا يحلقون رؤوسهم ولحاهم ولا يتقيّدون بأداء الفرائض، والواقع إن هذه الرباعية أثارت كثيراً من الشكوك في نسبتها إلى الخيام، لأنّ هناك شكوكاً حول بداية نشوء الطريقة القلندرية، ومن شيوخ الطريقة في منتصف القرن السادس «مسعود بن محمد بن الدلال الهمداني» الذي كان كثيراً ما يقول: الماضي لا يذكر. فقل إنه رُوي في المنام، فقل له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال لي: يا مسعود الماضي لا يذكر، انطلقوا به إلى الجنة» توفي في سنة ٥٦٧. راجع ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي الجزء ٤٢ ص ٣٢٧ والوافي بالوفيات جزء ٢٥ ص ٢٧٠.

(٢) في ط: ١: هجرأ.

(٣) في ط ١: المحققين العقلاء.

وسواءٌ للعاشقينِ مِثْوَاهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَمِثْوَاهُمْ فِي النَّارِ
وسواءٌ عَلَى الْمَسْلُوبِ. قَلْبُهُ الْحَرِيرُ وَالْبَلَّاسُ^(١)
وسواءٌ عِنْدَ الْعَاشِقِينَ تَوْشُدُ الرِّيشِ أَوْ الْحِجَارَةِ.

- ٣٥ -

لَيْسَتْ الدُّنْيَا بَدَارٍ قَرَارٍ لَكَ وَلَا هِيَ دَارُ إِقَامَةٍ
أَحْسَنُ لِلْحَكِيمِ فِيهَا أَنْ يَكُونَ ثَمَلًا «مَسْطُولًا»^(٢)
أَسْكَبِ الْمَاءَ عَلَى نَارِ الْغَمِّ
قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ بِكَ إِلَى الْقَبْرِ صِفَرُ الْيَدَيْنِ.

- ٣٦ -

مَا الْغَايَةُ إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ مِنَ الدُّنْيَا الْمُرَادَ؟
وَمَا الْغَايَةُ إِذَا قَرَأَ الْإِنْسَانُ كِتَابَ أَعْمَالِهِ؟
فَلْنَحْسِبْ أَنَّكَ نِلْتَ مَرَامَكَ مِائَةَ عَامٍ
وَعِشْتَ بَعْدَهَا مِائَةَ عَامٍ.. فَمَا الْعَاقِبَةُ؟

- ٣٧ -

حِينَ تَخْرُجُ مِنَ الْجَسَدِ رُوحِي، وَرُوحَكَ الطَّاهِرَتَانِ
يَضَعُونَ لَبَتَيْنِ فِي لَحْدِي وَلَخْدِكَ
ثُمَّ لَصْنَعِ لَبْنَةٍ لِقَبْرِ آخَرَ
يَضَعُونَ ثُرَابِي وَثُرَابَكَ فِي الْقَالِبِ!

(١) البلاس: المنسوج الخشن. كما في ط ١ .

(٢) في ط ١ : مصروعاً.

- ٣٨ -

انتبه - إعلم - أنك ستفارق رُوحك
وستكون وراء ستار الأسرار
اشرب الخمر إنك لا تدري من أين أتيت
واسعد، إنك لا تعلم إلى أين تذهب.

- ٣٩ -

يا إلهي ملكت وجودي وضيق صدري وفراغ يدي.
يا من يجعل من العدم وجوداً
أخرجني من عَدَمي
بحُرمة وجودك! ^(١)

- ٤٠ -

وقَعَ الخيَّامُ الذي كَانَ يَخِيطُ خِيَمَ الْحِكْمَةِ
فِي كُورِ الْغَمِّ واحترقَ فجأةً
وقد قطعَ مقرَّاضَ الأجلِ أطنابَ عُمرِهِ
وباعَهُ دلالُ الأملِ رخيصةً.

(١) كانت هذه الرباعية آخر ما قاله الخيام عندما حضرته الوفاة، كما جاء في حواشي «جهار مقالة» لأحمد بن عمر بن علي النظامي، وكان تلميذاً للخيام، ولم يذكرها القفطي في كتابه «حكماء الإسلام».. الصراف «عمر الخيام.. الحكيم الفلكي النيسابوري - حياته علمه، رباعياته» ط ٢ ص ١٠.

- ٤١ -

إِنْ تَشْرَبِ الْخَمْرَ فَاشْرَبْهَا مَعَ الْعُقَلَاءِ
أَوْ مَعَ بَاسِمَةٍ مُورِدَةِ الْخَذَّيْنِ،
لَا تَشْرَبْ كَثِيراً، وَلَا تُجَاهِزْ بِشَرِبِهَا وَلَا تُلَهِّجْ بِهَا
أَشْرَبَ قَلِيلاً، وَبَيْنَ أَوَانٍ وَآخَرَ - وَفِي الْخَفَاءِ .

- ٤٢ -

إِذَا شَرَبَ الشَّحَّاذُ الْخَمْرَ رَأَى الْإِمَارَةَ فِي نَفْسِهِ
وَإِذَا شَرِبَهَا الثَّعْلَبُ رَأَى السَّبْعِيَّةَ فِي نَفْسِهِ
وَإِذَا شَرِبَهَا الشَّيْخُ جَدَّدَ لِنَفْسِهِ عَهْدَ الشَّبَابِ
وَإِذَا شَرِبَهَا الْفَتَى رَأَى عَهْدَ الشَّيْخُوخَةِ - طَالَ عُمره -

- ٤٣ -

الْعِشْقُ عِنَاوَانُ عَالَمِ الْمَعَانِي وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ الشَّبَابِ
فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ عَالَمِ الْعِشْقِ
هَذِهِ النِّكْتَةُ :
إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْعِشْقُ !

- ٤٤ -

إِنْ وَجَدَ الْمَرْءُ رَغِيفاً فِي يَوْمِهِ
أَوْ وَجَدَ جُرْعَةً مَاءٍ بَارِدٍ فِي كُوزٍ مَثْلُومٍ
فَلِمَاذَا يَكُونُ تَحْتَ إِمْرَةٍ غَيْرِهِ
أَوْ فِي خِدْمَةِ مَنْ يُضَاهِيهِ؟

- ٤٥ -

يا إلهي حَطَّمْتُ إِبْرِيْقَ خَمْرِي
وأَوْصَدْتُ بَابَ الْأَنْسِ بوجهي
وسكبت على الأرضِ خَمْرِي الوردية
ترابٌ في فَمِي.
فهل أَنْتَ سَكْرَانٌ مثلي^(١)؟

- ٤٦ -

يا إلهي، من الذي لَمْ يتركبْ خطيئته في الدنيا
وكيف عاش فيها مَنْ لَمْ يخطأ؟
إِنْ قابلتني على سَيِّئِي بسيئةٍ مِثْلِهَا.
إِذَا فما الفرقُ بيني وبينك؟

- ٤٧ -

أباهي بِحاناتِ الْخَمْرِ لَأَنَّ أَهْلَهَا أَكْفَاءُ
وَإِذَا أُمَعَنْتُ النَّظَرَ فِي طَالِحِهِمْ وَجَدْتُهُ رَضِيئاً
«لَمْ تَخْرُجِ الْمَدْرَسَةُ»^(٢) أَحَدًا مِنْ ذَوِي الْقُلُوبِ النَّيِّرَةِ
فَلْتُنْذِرْ هَذِهِ الْخَرَابَةَ فَإِنَّهَا دَارُ جَهْلٍ.

(١) في ترجمة الرباعية «هل أَنْتَ سَكْرَانٌ يا ربي وهي حرفية كما هو واضح» بدل «فهل أَنْتَ سَكْرَانٌ مثلي» التي جاءت مترجمة بهذه الصيغة في مقدِّمة الكتاب، وقد اعتمدنا هنا الترجمة التي أوردها الصراف في المقدمة.
(٢) في ط ١: لم ينبغِ أَحَدٌ في المدرسة.

- ٤٨ -

أني خيَّامٌ إنَّ جَسَدَكَ يُماثلُ الخِيمَةَ حَقًّا
والرُّوحُ التي منزلُها دارُ البقاءِ
تُشبهُ السلطانَ
أفلا يَقَوِّضُ الخِيمَةَ فراشُ الأَزَلِّ؟

- ٤٩ -

إشربِ الصَّهْبَاءَ فَإِنَّهَا راحَةُ رُوحِكَ
وأمانٌ لِنَفْسِكَ وَقَلْبِكَ الجَرِيحِينَ
وإذا دَهَمَكَ طُوفانُ الهَمِّ من ورائِكَ وأمامَكَ
فَلْذُ بالخمرِ فَإِنَّهَا سَفِينَةُ النِّجاةِ.

- ٥٠ -

أرسلتِ الشمسُ أنوارَها في الأعالي.
وقد صَبَّ ملكُ النَّهارِ صَهْبَاءَهُ في الجامِ
أشربِ المدامةَ فَقَدْ نَبَذَ مُنادي السَّحَرِ^(١)
كَلِمَةً: «اشربوا» في أجوازِ الأَيَّامِ!

- ٥١ -

أرى فوقَ فراشِ الأرضِ ناساً عَرَقى في سُبَاتِهِمْ
وأرى تحتَ أطباقِ الثَّرَى ناساً مُخْتَفِينَ

(١) في ط ١: مؤذَن بدل منادي.

أَنَا كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى بِيْدَاءِ الْعَدَمِ
رَأَيْتُ نَاسًا يَذْهَبُونَ مِنْ غَيْرِ إِيَابٍ.

- ٥٢ -

يَا قَلْبُ لِمَ يَزِ أَحَدُ الْخُلْدِ وَالْجَحِيمِ
يَا قَلْبُ أَيْنَ الَّذِي جَاءَ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ
إِنَّ رَجَاءَنَا وَخَوْفَنَا مِنْ شَيْءٍ
لَمْ يَظْهَرْ اسْمُهُ وَلَا رَسْمُهُ!

- ٥٣ -

أَيُّ نَفْعٍ مِنْ مَجِيئِنَا وَذَهَابِنَا؟
لَمْ تُجِدْ سُدَى لَحْمَةٍ الْأَمَلِ مِنْ عُمْرِنَا
فِي دَائِرَةِ الْفَلَكَ تَشْتَعِلُ أَرْوَاحُ كَثِيرٍ مِنَ الطَّيِّبِينَ
وَتَصِيرُ رَمَادًا فَأَيْنَ دُخَانُهَا؟

- ٥٤ -

يَقُولُونَ: هُنَاكَ - فِي الْآخِرَةِ - جَنَّةٌ وَحُورٌ وَكُوثُرٌ
وَفِيهَا خَمْرٌ وَلَبَنٌ وَعَسَلٌ مَصْفَى...
نَاوَلْنِي أَيُّهَا السَّاقِي كَأْسًا عَلَى ذِكْرِهَا
فَإِنَّ النِّقْدَ الْوَاحِدَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ نَسِيئَةٍ!

- ٥٥ -

حَاسِبْ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتُ وَاعِيًا لَبِيًّا
مَا الَّذِي جِئْتُ بِهِ وَمَاذَا سَتَأْخُذُ مَعَكَ؟

تقول: لا أشرب الخمر لأنني سأموت!
يا هذا سوف تموت، شربتها أو لم تشربها.

- ٥٦ -

إنَّ صورةَ هذا الكونِ كلّهُ نقشٌ وخيالٌ
ليسَ عارِفاً مَنْ لا يعلمُ هذا الحالَ
أجلسُ وأحسُّ قَدْحاً من الخمرِ واسعدُ
ولا تشغلُ نفسكَ بهذهِ النقوشِ والخيالاتِ المستحيلة!

- ٥٧ -

نَحْنُ خَلَعْنَا رِداءَ الزُّهْدِ على دَنِّ الخَمْرِ
وتيمّمنا بترابِ الحاناتِ
لعلّنا نجدُ في أبوابِها
ذلكَ العمرَ الَّذي أضعناهُ في المَدارسِ.

- ٥٨ -

لا أستطيعُ العيشَ بلا خمرٍ صافيةٍ
ولا أقدرُ أنْ أحملَ عبءَ جسدي بغيرِهما
أنا عبدُ تلكَ اللحظةِ التي يقولُ فيها الساقى:
«خُذْ كأساً أخرى..» وأنا لا أقدرُ من شدّةِ سُكري!

- ٥٩ -

رأيتُ شيخاً في دارِ الخَمَارِ
فقلتُ له: ألا تخبرني عن الذاهبين؟

قَالَ: اشْرَبِ الْمُدَامَةَ
فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنْ أَمْثَالِنَا ذَهَبُوا وَمَا عَادَ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

- ٦٠ -

أَيُّهَا الْحَبِيبُ خُذْ كَأْساً وَإِبريقاً
وَتَنَزَّهْ حَوْلَ الرَّوْعِ الْأَخْضَرِ فِي جَانِبِ النَّهْرِ
فَإِنَّ هَذَا الْفَلَكَ قَدْ صَنَعَ مِنْ قُدُودِ الْفَاتِنَاتِ
مِائَةَ مَرَّةٍ، كُؤُوساً، وَمِائَةَ مَرَّةٍ، أَبَارِيقَ!

- ٦١ -

خُذْ نَصِيبَكَ مِنْ تَدَاوُلِ الْأَيَّامِ
وَأَجْلِسْ عَلَى سَرِيرِ الطَّرَبِ وَخُذْ كَأْساً بِيَدَيْكَ
إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ
فَخُذْ فِي الْأَقْلُ لَذَّتِكَ مِنَ الْحَيَاةِ.

- ٦٢ -

إِنَّ الْقَصْرَ الَّذِي كَانَ يَسَامِي الْفَلَكَ كَتِفاً إِلَى كَتِفِ
وَكَانَ الْمُلُوكُ يَضَعُونَ عَلَى عَثَبَاتِهِ الْجَبَابَةَ
قَدْ رَأَيْنَا الْفَاحِشَةَ تَسْجُعُ عَلَى شُرْفَاتِهِ قَائِلَةً:
كو؟ كو؟ كو؟ أي: أين؟ أين؟ أين؟

- ٦٣ -

إِنْ كُنْتَ تَجْرِي وَرَاءَ شَهْوَتِكَ وَهَوَاكَ

فإني أخبرك بأنك ستذهبُ بائساً يائساً
أنظر مَنْ أنت؟ وَمِنْ أَيْنَ أتيت؟
وماذا تعملُ وإلى أَيْنَ تذهب؟

- ٦٤ -

مَرَرْتُ البارحةَ بالحانةِ ثَمَلًا
فرايتُ شَيْخًا سكرانَ حَامِلًا دَنَّ خمرٍ على مَتْنِهِ
قلتُ لَهُ: ألا تستحي من اللهِ يا شَيْخُ؟
فأجاب: إِنَّ الكَرْزَمَ مِنَ اللهِ فاشرب واسكت.

- ٦٥ -

سَارِعٌ فَقَدْ طَلَعَ الصَّبَاحُ وَتَمَزَّقَ جِلْبَابُ اللَّيْلِ وَقَمَ بِاِكِرِ
ضَبُوحَكَ

ما لك مَغْمُومًا إِشْرَبِ الخمرَ يا حَبِيبِي
فإِنَّ الصُّبْحَ سَيَطْلُعُ كَثِيرًا عَلَيْنَا
مُؤَلِّيًا وَجْهَهُ نَحُونًا وَنَحْنُ مُؤَلُّونَ وَجُوهَنَا لِلتُّرَابِ.

- ٦٦ -

أنا أَشْرَبُ الخمرَ وَيَشْرِبُهَا كُلُّ مَنْ هُوَ مِثْلِي أَهْلُ لَهَا
فإِنَّ شُرْبَهُ لَهَا يَسِيرٌ عِنْدَ الْعَقْلِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْلَمُ مِنْذُ الْأَزَلِ بِأَنِّي سَأَشْرِبُهَا
فَأَنَا إِنْ لَمْ أَشْرِبْهَا فَعَلِمَهُ إِذَا يَكُونُ جَهْلًا!

- ٦٧ -

تَفَضَّلْتَ فَقُلْتُ : إِنِّي سَأَعَذُّبُكَ !
وَأَنَا لَمْ أَخَفْ ، قَطُّ ، مِنْ هَذَا الْقَوْلِ
فَالْمَكَانُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ لَا يَكُونُ فِيهِ عَذَابٌ
وَأَيُّ الْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ لَسْتَ فِيهِ ؟

- ٦٨ -

كَأْسٌ وَخَمْرٌ وَسَاقٍ فِي جَنْبِ رَوْضَةٍ
خَيْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَتْهَا
لَا تَسْمَعُنَ مِنْ أَحَدٍ حَدِيثَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
مَنْ ذَا ذَهَبَ إِلَى الْجَحِيمِ وَمَنْ ذَا جَاءَ مِنَ الْجَنَّةِ ؟

- ٦٩ -

إِنَّ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ تَعْدِلُ أَلْفَ قَلْبٍ وَدَيْنٍ
وَإِنَّ جُرْعَةً مِنْهَا تُسَاوِي مَمْلَكَةَ الصَّيْنِ
لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ غَيْرُ الْخَمْرِ الصَّافِيَةِ
وَهِيَ الْمُرَّةُ الَّتِي تَفْضِلُ الْحَلَوَ أَلْفَ مَرَّةٍ !

- ٧٠ -

أَيُّهَا الْقَلْبُ أَنْتَ لَا تَصِلُ إِلَى كَشْفِ الْأَسْرَارِ الْمَعْمَاةِ
وَلَا تَفْقَهُ نَكَاتِ الْأَذْكَيَاءِ
أَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا جَنَّةً مِنَ الْخَمْرِ وَالْكَأْسِ
فَإِنَّكَ لَا تَعْلَمُ أَتَنَالُهَا فِي تِلْكَ أَمْ لَا ؟

- ٧١ -

أَشْرَبِ الْخَمْرَةَ الصَّافِيَةَ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ
فَإِنَّ هَذَا الْعَمَرَ الْقَصِيرَ لَا يَعُودُ إِلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى
أَنْتَ تَدْرِي أَنَّ الْكُونَ صَائِرٌ إِلَى الْخَرَابِ
فَكُنْ أَنْتَ أَيْضاً خَرَاباً لَيْلاً وَنَهَاراً.

- ٧٢ -

يَا مَنْ هُوَ نَتِيجَةُ أَرْبَعَةِ عُنَاصِرٍ وَسَبْعِ سَمَاوَاتٍ
لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسَكَ فِي شُغْلٍ فِيهَا.. أَشْرَبِ الْخَمْرَ^(١)
فَلَقَدْ قَلْتُ لَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ: مَا لَكَ مِنْ أُوْبَةٍ
فَإِذَا مَا ذَهَبْتَ فَقَدْ ذَهَبْتَ!

- ٧٣ -

إِنَّ هَذِهِ الْأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ الْمَائِلَةَ فِي هَذَا الْإِيوَانِ
قَدْ جَعَلْتَ الْعُقْلَاءَ حَيَارَى مُتَرَدِّدِينَ
فاحذِرْ أَنْ تُضَيِّعَ رُشْدَكَ
فَإِنَّ الْمُدَبِّرِينَ لِهَذَا الْعَالَمِ حَيَارَى مُطْرَقُونَ!^(٢)

- ٧٤ -

لَمْ يَكُنْ مُحْصُولُ الْإِنْسَانِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا ذَاتِ الْبَابَيْنِ
غَيْرَ أَلَمِ الْقَلْبِ وَزُهْوَ الرُّوحِ

(١) في ط ١: أنت تتألم في الفكر فيها بدل لقد جعلت نفسك في شغل فيها.

(٢) في ط ١: في تردد وذهول بدل حيارى مطرقون.

فالمسرورُ مَنْ عاشَ لحظةً
والمستريحُ هو الذي لم تلذه أُمُّهُ^(١)

- ٧٥ -

هذا البلاطُ القديمُ المسمَّى بالعالم
ومستقرُّ الصباحِ الوضاءِ والليلِ الدَّامِسِ
مجلسٌ فتحَ بابُهُ لِمائِهِ «جمشيد»^(٢)
وقصرٌ اتكأَ على الأرائكِ فيه مائة بهرام^(٣).

- ٧٦ -

حسنٌ أَنْ تسرَّ قلبك بكأسِ المُدَمَّةِ
وَأَنْ لا تذكرَ كثيراً ما كَانَ وما يكونُ . الماضي والآتي .
وَأَنْ تُطلقَ سَاعَةً
مُهجَّتَكَ المُستعارَةَ السَّجِينَةَ من قَيْدِ العَقْلِ

- ٧٧ -

إِنَّ الفَلَكَ لا يُقبَلُ يدي وقدمي مائة مرَّة
ما لم يَشَقِنِي الحبيبُ صهباءَ مُفرحةً
يقولون لي : ثُبْ من شربها فقد حَانَ وَقْتُ التَّوْبَةِ

(١) لم ترد ترجمة هذه الرباعية في ط ١ .

(٢) جمشيد : أحد الأبطال الأسطوريين في التاريخ الفارسي ، وهو من شخصيات الشاهنامة : ومعنى إسم جمشيد : شعاع القمر .

(٣) بهرام : أشهر ملوك الدولة الساسانية في إيران ، وهو الذي حارب الديانة المانوية وقتل نبيها ماني .

وكيف أتوب ولم يشأ الله أن أتوب؟

- ٧٨ -

كم من فتنة أثاروا من طيبتني
لَمَّا وضعوها في القالبِ
أنا لا أستطيع أن أكون خيراً ممّا أنا عليه
فأنّهم هكذا أفرغوني في الكور^(١)!

- ٧٩ -

لا بداءة ولا نهايةً للدائرة
التي جئنا منها وسنذهب إليها
لا يستطيع أحد أن يقول من أين هذا المنجيء
والى أين هذا الذّهاب؟

- ٨٠ -

لا تؤذ أحداً ما استطعت
ولا تُجلس أحداً على نار غضبك
وإذا كنت تطمع في راحة دائمة
فاقبل الأذى ولا تؤذ أحداً

(١) الكور: التنور. ويستخدم عادة للفخار، والصهر.

- ٨١ -

لا تَغْزُوا إِلَى الْفَلَكَ ، الْخَيْرَ وَالشَّرَّ الَّذِينَ هُمَا مِنْ غَرِيزَةِ
البشر
ولا الفَرْخَ والغَمَّ الَّذِينَ هُمَا مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ
لَأَنَّ الْفَلَكَ - بِنَظَرِ الْعَقْلِ .
أَعْجَزُ مِنْكَ أَلْفَ مَرَّةٍ !

- ٨٢ -

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا يَجْنِيهِ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ذَاتِ الْفِتَنِ
غَيْرِ الْأَلَمِ وَعَذَابِ النَّفْسِ
فَالْمَسْرُورُ الْقَلْبِ مِنْ خَرَجَ مِنَ الْحَيَاةِ
وَالْمُسْتَرِيحُ مَنْ لَمْ يَزْجَعْ إِلَيْهَا^(١) .

- ٨٣ -

أَنْظُرْ إِلَى الصَّبَا وَقَدْ مَزَّقَتْ جِلْبَابَ الْوَرْدِ
وَقَدْ طَرَبَ الْبُلْبُلُ بِجَمَالِ الْوَرْدِ
أَجْلَسَ فِي ظِلِّ الْوَرْدِ فَطَالَمَا
نَبَتْ هَذَا الْوَرْدُ فِي التَّرَابِ وَعَادَ إِلَيْهِ .

- ٨٤ -

سَأَشْرَبُ ، هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، مَدَامَةَ فِي جَامٍ يَسْتَوْعِبُ رَطْلًا

(١) في ط : فطوبى لمن خرج منها أو لم يحن إليها بدل من فالمسرور القلب من خرج
من الحياة والمستريح من لم يزجج إليها.

وَأَغْنِي نَفْسِي بِجَامِينِ مِنَ الْخَمْرِ
وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَطْلُقُ عَقْلِي وَدِينِي
ثَلَاثًا ثُمَّ افْتَضُّ بِنْتَ الْكَزْمِ! ^(١)

- ٨٥ -

إِذَا كُنْتَ تَمْلِكُ خَمْرًا فَلَا تَتَبْ مِنْ شُرْبِهَا
فَإِنَّ لَكَ سَعَةً لَتَتُوبَ أَلْفَ مَرَّةٍ تَوْبَةَ النَّدَمِ
صَاحٍ لَقَدْ تَفَتَّحْتُ أَكْمَامُ الْوَرْدِ وَغَرَّدَتْ الْبَلَابِلُ
فَهَلْ يَجُوزُ التَّوْبَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ؟

- ٨٦ -

أَيُّهَا الْقَلْبُ قَدْ غَمَّكَ الدَّهْرُ
وَسَيَفَارِقُ رَوْحَكَ الطَّيِّبَةَ جَسَدُكَ عَلَى غِرَّةٍ
فَاجْلِسْ عَلَى الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ وَعِشْ رَغَدًا بِضَعَةِ أَيَّامٍ
قَبْلَ أَنْ يَنْبَتَ الْعُشْبُ مِنْ تُرَابِكَ.

- ٨٧ -

أَغْسِلُونِي إِذَا مِتُّ بِالصَّهْبَاءِ
وَلَقِّنُونِي بِالْخَمْرِ وَالْجَامِ
وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَجِدُونِي يَوْمَ الْحَشْرِ
فَتَحَرُّونِي فِي تَرَابِ حَانَةِ الْخَمْرِ

(١) في ط ١ : انكح بدل افتض.

- ٨٨ -

يا أسفأ ! فقد انطوى سفرُ الشبابِ وانطوى الربيعُ الغضُّ
آه لا أدري متى جاءَ الشبابُ
- وهو ذلك الطائرُ الطروب - ومتى ذَهَبَ؟

- ٨٩ -

يا رفقتي ! أقتوني بالحُمْرةِ،
واجعلوا وجهي المُصفرَّ اصفرارَ الكهربا.. أحمرَ كالياقوتِ
وإذا متُّ فاغسلوني بالمُدَّامةِ
واصنعوا تابوتي من أعوادِ الكُزْمِ^(١).

- ٩٠ -

أنا ذلك الذي ظَهَرَ إلى عالمِ الوجودِ بِقُدْرَتِكَ
وربِّي بدلالٍ في نعمتكِ
سوفَ أَكْثُرُ من الذُّنوبِ مائةَ عامٍ
لأعلمَ أيُّما أعظمُ: ذُنوبي أم رَحْمَتُكَ!

- ٩١ -

أي ساقِي المُدَّامِ
أولئك الذين رَحَلُوا قَبْلَنَا قَدْ نَامُوا في ترابِ الغُرورِ
اذهب واشرب الخمرَ واسمع مِنِّي الحقيقةَ:

(١) في ط ١: واجعلوا وجهي المُصفرَّ كالورس أحمر كالياقوت،
وانحتوا تابوتي بدل اصنعوا تابوتي

فَإِنَّ كُلَّ مَا قَالُوهُ لَغَوٌّ فِي هَوَاءٍ^(١).

- ٩٢ -

إِلَى مَتَى أَعْرَضُ جَهَالَةً نَفْسِي
ضَاقَ قَلْبِي مِنْ هَذَا الشَّتَاتِ
أُرِيدُ أَنْ أَشَدَّ فِي وَسْطِي زَنَارَ الْمَجُوسِ!!
أَتَدْرِي لِمَاذَا؟ مِنْ خِزْيِ إِسْلَامِي!!

- ٩٣ -

يَا أَسْفَاهُ! فَقَدْ ذَهَبَ رَأْسُ الْمَالِ مِنْ أَيْدِينَا
وَكَمْ مِنْ أَكْبَادٍ أَذْمَتَهَا يَدُ الْمُنُونِ
لَمْ يَرْجِعْ أَحَدٌ مِنَ الْآخِرَةِ
لَأَسْأَلَهُ: كَيْفَ حَالُ الَّذِينَ سَافَرُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَيْهَا

- ٩٤ -

أَيُّهَا الْفَلَكَ! أَنَا غَيْرُ مَسْرُورٍ بِدَوْرَانِكَ
أَطْلُقُ سِرَاحِي فَإِنِّي غَيْرُ خَلِيقٍ بِأَنْ أُقَيَّدَ
فَإِنَّ كُنْتُ تَمِيلُ إِلَى الْحَقِيقِ وَالَّذِينَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلْفَضْلِ
فَأَنَا أَيْضًا لَسْتُ بِالْعَاقِلِ الْكَافِي!

- ٩٥ -

إِنَّ الْقَصْرَ الَّذِي تَعَاطَى فِيهِ «جَمَشِيد» الْأَقْدَاحِ

(١) فِي ط ١ : هَوَاءٌ كُلُّ مَا قَالُوا.

قد وُلدت فيه الغزاةً واطمأنَّ فيه الثعلبُ
و«بهرام» الذي يصيدُ حمارَ الوحشِ طوالَ عُمرِهِ
أرأيتَ كيفَ صَادَ القَبيرُ «بهرام»!

- ٩٦ -

لا تَخْشَ من حادثِ الدنيا
ومن كُلِّ ما يصيبُكَ منه لأنَّهُ لا يدومُ
وانتهزْ هذا العُمُرَ القصيرَ
ولا تفكِّرْ بما مَضَى ولا تَخَفْ من الآتي

- ٩٧ -

إِنِّي وإنْ كَانَ لوني بديعاً وعَرَفِي ذَكِيّاً
ومَحَيَّاي كالشَّقِيقِ وقامتي كالسَّرْوَةِ
لَمْ يَعْلَمْ لِمَاذَا زَانِي النَّقَّاشُ الْأَزْلِيّ
في هذه الْأَرْضِ دَارِ الشَّرُورِ؟

- ٩٨ -

قَالَ الْوَرْدُ: لَا وَجَةَ أَنْضُرُ مِنْ وَجْهِ
فِيَا عَجَباً لِمَ يَجُورُ عَلَيَّ كُلُّ هَذَا الْجَوْرِ عَاصِرُ الْوَرْدِ؟
فَأَجَابَهُ الْبَلْبَلُ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلاً:
مَنْ الَّذِي ضَحَكَ يَوْماً وَاحِداً وَلَمْ يَبْكْ عاماً؟

- ٩٩ -

دَهَبْنَا وَبَقِيَ الزَّمَانُ بَعْدَنَا مُضْطَرِياً

وَلَمْ تُثَقِّبْ إِلَّا جَوْهَرَةً وَاحِدَةً مِنْ مَائَةٍ
وَأَسْفَاءَ، فَقَدْ بَقِيَثُ مِثَاثُ الْأَلُوفِ مِنَ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ
غَيْرِ مَذْكُورَةٍ حَذَرًا مِنْ حَقْمِ النَّاسِ.

- ١٠٠ -

قَدْ فَلَقَ الْقَمَرُ بُثُورَهُ أَهْدَابَ اللَّيْلِ
فَاشْرَبَ فَلَيسَ فِي الْوَشْعِ أَنْ تَحْظِيَ بِعَدَّهَا بِمِثْلِ هَذِهِ
اللَّحْظَةِ

طِبَّ نَفْسًا! فَإِنَّ الْقَمَرَ سَيَسْطَعُ كَثِيرًا
عَلَى حَافَةِ قَبْرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا.

- ١٠١ -

اضْحَبِ الْخَمْرَ فَإِنَّهُ مُلْكُ مُحَمَّدٍ^(١)
وَاسْتَمِعْ إِلَى الْقِيثَارَةِ فَإِنَّهُ لَحْنُ دَاوُودَ
لَا تَذْكُرِ الْآتِي وَالْمَاضِي وَطِبَّ نَفْسًا
فِي سَاعَتِكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَذَلِكَ هُوَ الْمَقْصُودُ!

- ١٠٢ -

إِنَّ هَذَا الْفَلَكَ الَّذِي لَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ عَلَى أَسْرَارِهِ
قَدْ قَتَلَ أَلْفَ «مُحَمَّدٍ وَآيَاز»^(٢) عِدْوَانًا

(١) في ط١: عايشو بدل صاحب.

(٢) محمود هو: السلطان محمود الغزنوي، أشهر ملوك الغزنوية ويعرف كذلك بفاتح الهند، امتدت هيمنته لتشمل بخارى وسمرقند، وخراسان ومعظم مناطق ما وراء =

اشرب الصَّهْبَاءَ إِنَّكَ لَا تُعْطَى الْعُمَرُ مَرَّتَيْنِ!
والذي يفارقُ الحَيَاةَ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا تَارَةً أُخْرَى!

- ١٠٣ -

إِنْ كُنْتُ لَا تَشْرِبُ الْخَمْرَ فَلَا تَطْعُنْ فِي السَّكَارَى
لَوْ كَانَ إِلَيَّ أَمْرِي لَتُبْتُ إِلَى اللَّهِ
أَنْتَ تَفْتَخِرُ بِأَنَّكَ لَا تَشْرِبُ الْحَمِيَّ
وَأَنْتَ تَعْمَلُ مِثَالَ الْأَعْمَالِ أَشْنَعُ مِنْهَا!

- ١٠٤ -

لَا تَفْكُرْ أَبَدًا فِي الْمَحَالِ
وَاشْرِبِ الصَّهْبَاءَ كُلَّ الْعَامِ بِأَكْوَابِ مُتْرَعَةٍ
عِشْ رَغْدًا مَعَ ابْنَةِ الْعُنُقُودِ
فَإِنَّ لِقَاءَ الْبَنَاتِ بِحَرَامٍ، خَيْرٌ مِنْ لِقَاءِ الْأُمِّ بِحَلَالٍ!

- ١٠٥ -

فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ عَهْدُ صِبَايَ
أَشْرَبُ الْخَمْرَ لِأَنَّ فِيهَا نَيْلُ أَمْنِي
لَا تُنْقِصُوهَا فَهِيَ لَذِيذَةٌ عَلَى مَرَارَاتِهَا
أَجَلُ هِيَ مُرَّةٌ لِأَنَّهَا حَيَاتِي!

=النهر، ووصلت إلى الهند شرقاً، وازدهرت في عصره العلوم والفنون، وكان
الفردوسي وابن سينا والبيهقي وسواهم قد عاشوا خلال عهد السلطان محمود أما
«أياز» فهو غلامه ومستشاره الذي أسهم في صعوده.

- ١٠٦ -

سَمِعْتُ نَدَاءَ فِي السَّحْرِ مِنْ حَانَاتِنَا يَقُولُ:
يَا أَخَا الشَّرْبِ الْمُسْتَهْتَرِ الْمَفْتُونُ
قُمْ لِنَمْلَأَ كَأْساً مِنَ الْخَمْرِ
قَبْلَ أَنْ يَمْلَأُوا كَأْسَنَا - قَبْلَ أَنْ تَذْهَبَنَا الْمَنِيَّةُ!

- ١٠٧ -

انْظُرْ إِلَى الْكَأْسِ فَإِنَّهَا حُبْلَى بِالرُّوحِ
أَوْ أَنَّهَا كِيَا سَمِيمِينَ حَبِلَ بِالْأَزْجَوَانِ.
لَا لَا! فَقَدْ أَخْطَأْتُ الْقَوْلَ بَلْ هِيَ مِنْ شِدَّةِ لُطْفِهَا:
مَاءٌ حَلٌّ فِي نَارٍ ذَائِبَةٌ!

- ١٠٨ -

لَا يُمَكِّنُ التَّطَهُّرُ فِي الْحَانَةِ إِلَّا بِالْمُدَامَةِ^(١)
وَهَذِهِ الشَّمْعَةُ الَّتِي تَرَدَّدَتْ لَا يَتَيَسَّرُ تَحْسِينُهَا
عَاطِنِيهَا فَإِنَّ سِتَارَ عَفَافِنَا قَدْ تَمَزَّقَ
حَتَّى لَيْسَتْ حِيلَ تَرْقِيعُهُ.

- ١٠٩ -

مَا كَانَ لِلْكَوْنِ نَفْعٌ مِنْ مَجِيئِي
وَلَمْ يَزِدْ مِنْ ذَهَابِي جَمَالُهُ وَجَاهُهُ

(١) في ط ١: الوضوء بدل التطهر.

ولم تسمع أذناي أيضاً من أحد
ما الغاية من مجيئي وذهابي!

- ١١٠ -

قُمْ وتعالِ أَيُّهَا الحبيبُ رعايَةَ لِقَلْبِنَا
وحلَّ بِجَمَالِكَ مُشْكَلَنَا
هَاتِ كُوزاً من الخمرِ لِنُحْسِنَهَا
قَبْلَ أَنْ يَصْنَعُوا أَكْوَازاً من طِينَتِنَا^(١).

- ١١١ -

طالَمَا هَدَرَ الفَلَكُ دِمَاءَ النَّاسِ
وطالَمَا نَبَتَ الوردُ وتناثرَتْ أَوْرَاقُهُ على الثَّرى
أَيُّهَا الفتى لا تغترِّ بِحَسَنِكَ وشَبَابِكَ
فقد طالما تساقطَ الوردُ على الثُّرابِ قَبْلَ أَنْ تَتَفَتَّحَ
أَكْمَامُهُ^(٢).

- ١١٢ -

غَلَّ الفَلَكُ النَّذْلُ يَدَيَّ
مذُ صرْتُ أَفَرَّقُ بين رِجْلَيَّ وَيَدَيَّ
واغْمَأْهُ فسيحسبونَ من عُمْري زَماناً
مرّاً لي بغيرِ مُدامَةٍ ولا معشوقَةٍ.

(١) في ط ١ : أَيُّهَا الصنم بدل أَيُّهَا الحبيبُ

(٢) في ط ١ : ياما بدل طالما.

- ١١٣ -

جاء السحابُ وبكى ثانيةً فوقَ العُشبِ
فلا يجوزُ أنْ نعيشَ من غيرِ مُدامةٍ أرجوانيةٍ
إنَّ هذا العُشبَ مسرحٌ لأنظارنا اليومَ
فلمنْ يا ترى سيضبحُ عشبُ تُرابنا مسرحاً؟

- ١١٤ -

حسنٌ أنْ تهربَ من دروسِ العلمِ كُلِّها
وحسنٌ أنْ تتعلَّقَ بطُرةِ الحبيبِ
وقبلَ أنْ يسفَحَ الدهرُ دَمَكِ
فاسفَحْ دَمَ الإبريقِ في القدحِ!

- ١١٥ -

لَمَّا كَانَ الغدُ غيرَ مضمونٍ لأحدٍ
أدخلِ السرورَ على قلبِكَ المَشغوفَ وأشربِ الخمرَ على
ضوءِ القمرِ
لأنَّ القمرَ يا أيُّها القمرُ
سيطلعُ كثيراً ولا يجدُنَا!

- ١١٦ -

كَانَ قَبْلِي وقبلَكَ لَيْلٌ ونهارٌ
وكانَ الفَلَكُ يدورُ من أجلِ غَايَةٍ
فترقُّ وخفَّفِ الوطءَ عَنِ التُّرابِ

فَإِنَّهُ كَانَ حَدَقَةً عَيْنٍ لِحَبِيبٍ.

- ١١٧ -

أَيُّهَا الْفَلَكُ الدَّوَّارُ، الْخَرَابُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ حَقْدِكَ
وَالظُّلْمُ عَادَتُكَ الْقَدِيمَةُ
وَيَا أَيَّتُهَا الْأَرْضُ إِنَّ فَتَحُوا صَدْرَكَ وَجَدُوا فِيهِ
كَثِيراً مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ.

- ١١٨ -

أَنَا أَشْرَبُ الْمُدَامَةَ وَلَكِنِّي لَا أَعْرِبُدُ
وَالِىَ غَيْرِ الْكَأْسِ لَا أَمْدُ يَدِي
أَتَعْلَمُ مَا غَرَضِي مِنْ عِبَادَةِ الْخَمْرِ؟
ذَلِكَ لَثَلَا أَعْبَدَ نَفْسِي مِثْلَكَ.

- ١١٩ -

أَمَرَنِي أَنْ أَتَحَبَّبَ وَافَرَ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي لَا مَحِيصَ لِي فِيهِ
وَقَدْ بَقِيتُ عَاجِزاً حَيْرَاناً بَيْنَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ
فَهُوَ كَمَنْ يَقُولُ:
أَقْلِبِ الْكَأْسَ وَلَا تَسْكُبْ مَا فِيهَا!

- ١٢٠ -

كَانَ هَذَا الْكَوْزُ مِثْلِي صَبَّأً
كَثِيباً مَفْتُوناً بِفَرْعِ مَلِيحَةٍ
وَهَذِهِ الْعُرْوَةُ الَّتِي تَرَاهَا فِي جَنِيدِهِ

كَانَتْ يَدًا عَلَى عُتْقِ حَبِيبَةٍ!

- ١٢١ -

انهَضْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ
وِطْبَ نَفْسًا وَاقْضِ وَقْتُكَ مَسْرُورًا
لَوْ كَانَ الْوَفَاءُ مِنْ شِيْمَةِ الدُّنْيَا
لَمَا انْتَقَلْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْآخِرِينَ.

- ١٢٢ -

لَمَّا رَكَّبَ الْخَالِقُ الطَّبَائِعَ
لِمَاذَا جَعَلَهَا بَيْنَ التَّقْصِ وَالزِّيَادَةِ
فَإِنْ جَاءَتْ رَدِيئَةٌ فَالْعَيْبُ عَلَيْهِ
وَإِنْ جَاءَتْ جَيِّدَةٌ فَلِمَاذَا يَخْرُبُهَا؟!

- ١٢٣ -

أُولَئِكَ الَّذِينَ ثَقَبُوا دُرَرَ الْمَعَانِي بِأَفْكَارِهِمْ
تَكَلَّمُوا كَثِيرًا فِي ذَاتِ الْبَارِي
لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَبْدَأَ الْأَسْرَارِ
إِنَّمَا هَرَفُوا أَوَّلًا وَنَامُوا آخِرًا!

- ١٢٤ -

لَا يُعْرِفُ بِمَعْيَارِ الْعَقْلِ
وَلَا يَقَاسُ بِالْمَقَايِسِ
مَبْدَأُ دَوْرَانِ هَذَا الطَّاسِ - الْفَلَكِ - الْمَذْهَبِ

ومنتهى خرابِ هذا الأساسِ الجيّد

- ١٢٥ -

نحنُ نشترى كلتا المُدامتينِ المعتقّةَ والجديدةَ
ونحنُ الذينَ نبيعُ الفردوسَ بشعيرتينِ
قلتَ لي: إلى أينَ أذهبُ بعدَ الموتِ؟
هاتِ لي الصهباءَ وأذهبُ إلى حيثُ تشاء!

- ١٢٦ -

هذا العقلُ الذي يسيرُ في طريقِ السَّعادةِ
يقولُ لي كلّ يومٍ مائةَ مرّةٍ:
أنتهزُ هذهَ الفرصةَ فلستَ ذلكَ «الكِراثُ»
الذي إذا حصدوه نبتَ مرّةً أخرى!

- ١٢٧ -

لقدُ حلَلْتُ جميعَ مشاكلِ الكائناتِ الموجودةِ بينَ الأرضِ
ورُحُلِ
ونجوتُ من عُقدةٍ كُلِّ مَكْرٍ وَحِيلَةٍ
وقد انحلَّتْ كُلُّ عُقدةٍ في الحياةِ
سوى عُقدةِ الأَجَلِ!

- ١٢٨ -

يا وردُ أنتَ تُحاكي مُحيا الحُسناءِ
ويا خمرُ أنتَ كياقوتةٍ تُبهجُ الرُّوحَ

ويا أيُّها الحَظُّ «العائر»^(١) أنتَ في كلِّ وقتٍ خصمٌ لي
وتَظهرُ لي بمظهرِ الصِّديق.

- ١٢٩ -

«أوقعني»^(٢) غرائمك في شَرِكِهِ ورأسي مُشتعلٌ بالشَّيْبِ
وإلا فما أنا وكأسُ الحميا؟
لقد عَبَثَ الحبيبُ بالتوبةِ التي وهبها لي العقلُ
ومزَّقَتِ الأيَّامُ ذلكَ القميصَ الذي خاطَهُ الصَّبْرُ!

- ١٣٠ -

وضعَ صَيَّادُ الأزلِ حَبَّةً في «الفخ»^(٣) واضطَّاد
وسَمَّى صَيْدَهُ آدَمَ
أنَّهُ هو الذي يعملُ كلَّ قبيحٍ وحَسَنِ في العالمِ
ويُحْمِلُ النَّاسَ تَبِعَةً ذَلِكَ.

- ١٣١ -

سأطوي غداً «راية»^(٤) التَّفَاقِ
وسأَقصِدُ الخمرَ ورأسي مُشتعلٌ بالشَّيْبِ
بلغتُ من العمرِ سبعينَ عاماً

(١) في ط ١ : المعاكس.

(٢) في ط ١ : اصطادني.

(٣) في ط ١ : الشرك

(٤) في ط ١ : علم.

فإن لم أنشط الآن للطرب فمتى أعمل ذلك؟

- ١٣٢ -

إنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي «الثرى»^(١) هي من وجهٍ حسناء زهراء
الجبين

يا هذا انفضِ الغبارَ من أزدانِكَ «برقي»^(٢) وأدبِ
فإنَّهُ كَانَ أيضاً وجهَ حسناء أخرى.

- ١٣٣ -

يا أيُّها الساقِي قُمْ من «النَّومِ»^(٣)
و«ناولني»^(٤) خمرأ رائقةً

وقبلَ أَنْ يصنعوا من جماجِمِنَا أكوازاً
فاسكبِ الخمرَ من الكوزِ في الكأسِ واشقِنَا يا ساقِي

- ١٣٤ -

لا تظنَّنْ أَنِّي «أخشى الدنيا»^(٥)
أو أخافُ الموتَ وفراقَ الرُّوحِ
الموتُ حقيقةٌ فلا أعبأ به

ولكنِّي أخشى أَنْ لا أكونَ قَدْ عِشْتُ سعيداً

(١) في ط ١ : على وجه الثرى.

(٢) في ط ١ : بلطف.

(٣) في ط ١ : من فراش النوم.

(٤) في ط ١ : واعطني.

(٥) في ط ١ : أخاف الكائنات.

- ١٣٥ -

العالمُ كُلُّهُ مِحْنَةٌ وَالْأَيَّامُ غَمٌّ
وَالْفَلَكَ كُلُّهُ آفَةٌ وَالدُّنْيَا ظَلَمٌ
أَنِي أَنْظِرُ إِلَى أَعْمَالِ الْحَيَاةِ، فَلَا أَجِدُ فِيهَا مُسْتَرِيحِينَ
سُعْدَاءَ
وَأَنْ وَجِدُوا «فَهُمْ قَلِيلٌ»^(١).

- ١٣٦ -

اسْعُدْ فَإِنَّ الدُّنْيَا سَتَنْقُضِي
وَسَوْفَ تَنْوُحُ الرُّوحُ «بَعْدَ»^(٢) الْجَسَدِ
وَهَذِهِ الْجَمَاجِمُ الَّتِي تَرَاهَا الْآنَ
سَتَطَّأُهَا أَقْدَامُ الْكَوَازِينِ غَدًا

- ١٣٧ -

لِمَ هَذَا الْغَمُّ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلِمَ هَذِهِ الْحَسْرَاتُ مِنْ
أَجْلِ الدُّنْيَا
أَرَأَيْتَ أَحَدًا خَلَدَتْ لَهُ الْحَيَاةُ
هَذِهِ أَنْفَاسُكَ فِي جَسْمِكَ عَارِيَّةٌ
فَعِشْ مَعَ الْحَيَاةِ الْعَارِيَّةِ... كَالْعَارِيَّةِ

(١) في ط ١: فترز قليل.

(٢) في ط ١: خلف

- ١٣٨ -

أَيْهَا السَّاقِي عَاطِنِي كَأْساً فَالْعَالَمُ «نَفْسٌ»
وَحَسْبُ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّرُورِ نَفْسٌ وَاحِدٌ أَيْضاً
طِبُّ نَفْساً مِنْ كُلِّ مَا تَلَاقِيهِ فِي الْحَيَاةِ
لَأَنَّ الْحَيَاةَ لَنْ تَكُونَ عَلَى وَفْقِ رَغْبَةِ أَحَدٍ

- ١٣٩ -

تَعْمُرُ الْحَانَةَ بِشَرْبِنَا الْخَمْرَ وَفِي أَعْنَاقِنَا دُمُ الْفِي تَوْبَةٍ
أَنَا إِنْ لَمْ أَذْنَبْ
فَمَاذَا تَصْنَعُ الرَّحْمَةُ
إِنَّمَا الرَّحْمَةُ تَزْدَانُ بِأَثَامِنَا

- ١٤٠ -

كَلَّمَا انْفَلَقَ الصَّبَاحُ
وَجِبَ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَفِّ كَأْسُ خَمْرٍ مَرْوَقَةٍ
يَقُولُونَ: إِنَّ الْخَمْرَ مُرَّةٌ فِي الْفَمِ
إِذَنْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْخَمْرَةُ هِيَ الْحَقُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ

- ١٤١ -

أُولَئِكَ الَّذِينَ ظَهَرُوا إِلَى الْوُجُودِ و«جَاشُوا»^(١)
قَدْ شَغِفُوا بِالشَّرْبِ وَالْغَنَجِ وَالذَّلَالِ

(١) فِي ط ١ : وَفَارُوا.

وقد شربوا كأساً ودُهِشُوا
ثُمَّ احتَضَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي نَوْمِ الْعَدَمِ.

- ١٤٢ -

اشْرَبِ الْحُمَيَّا إِنَّكَ سَتَرْقُدُ طَوِيلًا تَحْتَ الثَّرَى
حَيْثُ لَا أُنَيْسُ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا رَفِيقٌ وَلَا زَوْجٌ
اخْذَرْ أَنْ تَفْشِيَ هَذَا السِّرَّ لِأَحَدٍ:
الزَّهْرَةُ الذَّابِلَةُ لَا تَتَفَتَّحُ «لَا يَعُودُ إِلَيْهَا زَهْوَاهَا وَرَوْنَقُهَا»

- ١٤٣ -

مَنْ يَمْلِكُ مِنْ دُنْيَاهُ يَصِفَ رَغِيفٌ
وَعِشًّا حَقِيرًا لِسَكْنَاهُ
لَا يَكُنْ خَادِمًا وَلَا مَخْدُومًا
فَلْيَعِشْ سَعِيدًا فَإِنَّ عَيْشَهُ رَغْدٌ.

- ١٤٤ -

قَبْلَ أَنْ يُصَيَّبَنَا «شَوَاطِلُ الزَّمَانِ»^(١)
تَعَالَوْا نَشْرَبِ الْخَمْرَ مَعًا
فَإِنَّ هَذَا «الْفَلَكَ»^(٢) سَاعَةٌ ارْتِحَالِنَا لَا يُمَهِّلُنَا
أَنْ نَشْرَبَ جُرْعَةً مِنَ الْمَاءِ.

(١) في ط ١ : من الزمان التواء.

(٢) في ط ١ : الفلك الدوار.

- ١٤٥ -

أَيْهَا السَّاقِي إِنَّ الزَّهَرَ وَالْعُشْبَ فِي طَرَبٍ كَثِيرٍ
انْتَبَهْ فسيكونانِ تُرَاباً بَعْدَ أُسْبُوعٍ
اشْرَبِ الصَّهْبَاءَ واقطفِ الوردَ ففي طَرْفَةِ عَيْنٍ
يستحيلُ الوردُ تُرَاباً والعشبُ غُثَاءً أَحْوَى^(١).

- ١٤٦ -

لا تحزنْ فالحزنُ عَبَثٌ، وعِشْ فَرِحاً
وفي طريقِ الظلمِ «سِرٌّ»^(٢) عَادِلًا
«لَمَّا كَانَتْ»^(٣) نهايةُ الحياةِ هي العدمُ
فاحسبْ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ وعِشْ حُرّاً.

- ١٤٧ -

ذَهَبَتْ أَيَّامُ العَمْرِ قَلِيلَةً كَالْمَاءِ فِي الوَادِي
أو كَالرَّيْحِ فِي البَيْدَاءِ
أَنَا لَا أَغْتَمُّ لِيَوْمَيْنِ مِنَ الْأَيَّامِ
اليَوْمِ الَّذِي لَمْ يَأْتِ واليَوْمِ الَّذِي مَضَى.

(١) غناء أحوى: يابس أسود جاء في سورة الأعلى الآية ٥. «فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى» وفي مجاز القرآن لابن المعمر «فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى» هيَّجه حتى يبس فجعله أسود من احتراقه غناء هشيمًا.

(٢) في ط ١ كُنْ.

(٣) في ط ١ : ما دامت.

- ١٤٨ -

إِذَا مِتُّ فَاغْسِلُونِي بِالْخَمْرِ،
وَلَقِّنُونِي بِالشَّرَابِ وَالْعَاجِ
وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَلْقَوْنِي يَوْمَ الْحَشْرِ
فَشِمُّوا تَرَابَ الْحَائَةِ عَنِّي.

- ١٤٩ -

حَتَّى مَ «تَشْغُلُ نَفْسَكَ»^(١) فِي الْمَسْجِدِ وَالصَّلَاةِ وَالصُّومِ؟
اسْكُزْ فِي الْحَائَاتِ وَلَوْ بِالشَّحَاذَةِ
يَا حَيَّامُ اشْرَبِ الْخَمْرَ فَسَيَجْعَلُونَ مِنْ «بَدَنِكَ»^(٢) هَذَا
مِرَّةً جَامِأً وَمِرَّةً دَنَّاً وَمِرَّةً كُوزاً

- ١٥٠ -

يَقُولُونَ: قَدْ أَتَى شَهْرُ رَمَضَانَ^(٣)
وَلَيْسَ لِأَحَدٍ بَعْدَ هَذَا أَنْ يَحُومَ حَوْلَ الْمُدَامِ
أَمَّا أَنَا فَسَأَشْرَبُ مِنْهَا فِي آخِرِ شَعْبَانَ

(١) فِي ط ١: تَحْدُثُ.

(٢) فِي ط ١: تَرَابِكَ.

(٣) الرِّبَاعِيَّاتُ الْأَرْبَعُ التَّالِيَةُ: ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣، نَشَرَهَا الصَّرَافُ فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى مِنْ كِتَابِهِ الْمَطْبُوعِ فِي بَغْدَادِ مَطْبَعَةِ دَارِ السَّلَامِ عَامَ ١٩٣١، وَتَحْتَ الْأَرْقَامِ ٦٦ - ٨٧ - ١٤٠ - ١٤٣، لَكِنَّهُ اسْقَطَهَا مِنَ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ الصَّادِرَةِ عَامَ ١٩٤٩ عَنْ مَطْبَعَةِ الشَّعْبِ «دَارُ الْأَخْبَارِ بِبَغْدَادِ» وَمُضَامِينَ هَذِهِ الرِّبَاعِيَّاتِ الَّتِي تَحَاشَى تَرْجُمَتَهَا أَغْلَبُ الْمُتَرْجِمِينَ، أَوْ فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ التَّفَوُّا عَلَيْهَا بِالتَّرْجُمَةِ فَخَفَّفُوها عَمْدًا، تَفَسَّرُ بِشَكْلِ وَاضِحٍ سَبَبِ إِسْقَاطِ الصَّرَافِ لَهَا فِي الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ كِتَابِهِ.

ما أبقى به سكرانَ طوالَ شهرِ رَمَضانَ حتَّى يومِ العيدِ.

- ١٥١ -

اخدِمِ النَّدامى - إخوانَ الشُّربِ - ما استطعتَ
واهْدِمِ أركانَ الصَّلَاةِ والصَّيامِ
اسْمَعْ القولَ الصَّحيحَ من عُمرِ الخِيَّامِ:
اشربِ الخمرَ، واقطعِ الطُّرُقَ، وأحسنِ إلى الغَيرِ!

- ١٥٢ -

عندما مالَ طَبْعِي إلى الصَّلَاةِ والصَّوْمِ
قلتُ لنفسي: لقدَ حصلَ مُرادِي
لكنْ أسفاً لقدَ بَطَلَ ذلكَ الوضوءُ بضرطِةٍ
وبَطَلَ الصَّوْمُ بنصفِ جُرعةٍ من الخمرِ!

- ١٥٣ -

ثورٌ في السماءِ واسمُهُ الثَّريَّا
وثورٌ آخَرٌ مخفيٌّ تحتَ الأرضِ
فافتَحْ بصيرةَ عَقْلِكَ إِنْ كُنْتَ من أهلِ اليقينِ
وانظُرْ إلى ما بينَ الثَّورينِ من الحميرِ!^(١)

(١) للبهائي العاملي بيتان بهذا المعنى أوردهما في كشكوله، هما:

وثورينِ حاطا بهذا الوري فثورُ الثَّريَّا وثورُ الثَّرى
وهم تحتَ هذا ومن فوقَ ذا حميرٌ مسرَّجَةٌ في قُرى
وقال الشيخ الأميني في «الغدير» الطبعة الرابعة دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان =

- ١٥٤ -

أنا لا أشربُ الخمرَ للطربِ
ولا للفسادِ وتركِ الدينِ والأدبِ
إنِّي أريدُ أنْ أتَنفَسَ الصُّعداءَ وأنا ذاهلٌ عن نفسي
فلهذا أشربُ الخمرَ، وأثمل.

- ١٥٥ -

بمجيءِ الربيعِ وذَهَابِهِ تنطوي أوراقُ وجودنا طيًّا
أشربُ الخمرَ ولا تبتسئ
فَقَدِّمًا قالَ الحكيمُ:
غُموُمُ الدُّنيا سُمومٌ ودرياقُها الخمرُ^(١).

- ١٥٦ -

رأيتُ أُمسٍ خَزَّافًا في الشُّوقِ
يركلُ قطعةً من الطِّينِ
وكانَ لسانُ حالِها يقولُ للخزَّافِ:

= ١٩٧٧ م، ج ١١ ص ٢٧٤: نظم بهذين البيتين ما في شعر الحكيم عمر الخيام بالفارسية...، وتبنى صديقنا «جلال زنگبادي» «ديوان عمر الخيام دار الجمل بيروت ٢٠١٠» هذا الرأي ليشير إلى أن هذين البيتين من الترجمات القديمة لرباعيات الخيام إلى العربية، لكنَّ البهائي نفسه لم يشر لذلك، بل جاء البيتان تسبقهما عبارة: لكَاتب الحروف. «الكشكول» محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمداني، بهاء الدين «المتوفى: ١٠٣١هـ» تحقيق: محمد عبد الكريم النمري دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٨ م جزء ١ ص ١٤.

(١) درياق: تعريب للترياق. أي دواء للعلاج.

لَقَدْ كُنْتُ يَا هَذَا مِثْلَكَ فَعَامِلْنِي بِالْحَسَنِ!

- ١٥٧ -

عَادَتِي أَنْ أَشْرَبَ الْحُمَيْئَا وَأَسْرَّ بِهَا
وَدِينِي أَنْ أَهْجَرَ الْكُفْرَ وَالذِّينَ!
قَلْتُ لَعُورِسِ الدَّهْرِ مَا صَدَاقُكَ؟
قَالَتْ: قَلْبُكَ الْجَذْلَانِ صَدَاقِي.

- ١٥٨ -

يَا خَيَّامُ مَا هَذَا الْمَأْتَمُ؟ مِنْ أَجْلِ الْخَطِيئَةِ؟
وَمَا الْجَدْوَى مِنَ الْغَمِّ؟ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا
لَيْسَ الْغُفْرَانُ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرْتَكِبُوا الْخَطِيئَةَ
أَتَمَّا الْغُفْرَانُ وَجِدَ لِلْخَطِيئَةِ، فَمَا الْغَمُّ؟

رباعيات مُلحقة

هذه الرباعيات ترجمها الصراف في سياق دراسته لحياة الخيام وفلسفته، لكنه لم يضمها إلى ترجمة الرباعيات، ورأيت أن أضفها كملحق.

- ١٥٩ -

أولئك الذين هَرَمُوا، والذين لا يزالون أخذائاً.
سيذهب كلٌ منهم فرداً فرداً بعدَ مجيئه
لا يخلدُ في هذه الدنيا أحدٌ.
ذهبوا ويذهبون ويأتي غيرُهم... ثمَّ يذهبون!

- ١٦٠ -

إنِّي وإن كنتُ لم أثقُبْ جوهر طاعتك،
ولم أنفضْ غبارَ الإثمِ عن وجهي،
لستُ قانطاً من كرمك،
لأنِّي لم أجعل قطَّ عِوَضَ الواحدِ اثنين.

- ١٦١ -

لا أستطيعُ أن أبوحَ بسرِّي لكلِّ طيّبٍ وخبيثٍ
أنا قاصرُ الكلامِ لا أستطيعُ أن أطيله

لي حال لا أستطيع أن أشرحها
وسر لا أستطيع أن أقوله.

- ١٦٢ -

يا أيُّها الذي ذَهَبَ، وعادَ مرَّةً أخرى، وصارَ كالأنعام^(١)
لقد ضاعَ اسمُكَ بينَ الأسماءِ،
وقد اجتمعَت أظافيرُكَ وصارت حوافِرُ،
وظهرتَ لحيتُكَ في عجزِكَ ذِيلاً.

- ١٦٣ -

هؤلاءِ الكَوَّازونَ الذينَ في الطينِ أيديهمُ.
ومنحصرةٌ عقولُهم وأفكارُهم فيه
إلى متى يَركلونَ الطينَ ويصفعونَهُ؟
هذه أجسامُ، حتَّى م هذه الظنونُ؟

(١) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة الفرقان: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَفْقَهُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقد عثر المستشرق الروسي زيوفسكي المختص بالبحث في تاريخ الرباعيات، على راوية غربية في «التاريخ الألفي» لأحمد بن نصر الله السندي «واستدلَّ بها على ما قال إنه عقيدة الخيام بالتناسخ - المسوخية هنا - تقول تلك الراوية التي لا تخلو من ظُرف: «كانت في نيسابور مدرسة قديمة بحاجة للترميم، وكان قطع من الحمير يحمل الآجر إلى تلك المدرسة، وبينما كان الخيام يتمشى في فناء المدرسة مع مجموعة من التلاميذ، رأى أحد الحمير يرفض الدخول إلى المدرسة، فابتسم الخيام واقترب من الحمار وهمس في أذنه هذه الرباعية، فدخل الحمار وسط استغراب الموجودين، فقال الخيام، يبدو أن روح أستاذ قديم في هذه المدرسة، قد حلت في جسد الحمار، ولما علم أن الأصدقاء عرفوه دخل!».

- ١٦٤ -

أَيُّهَا الْخَزَّافُونَ اسْمَعُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُتَّبِعِينَ
حَتَّى مَ تَظْلَمُونَ طِينَةَ ابْنِ آدَمَ؟
أَنْتُمْ وَضَعْتُمْ أَصْبَعَ «أَفْرِيدُونَ» وَكَفَّ «كَيْخَسَرُو» عَلَى
الدُّوْلَابِ
فَمَاذَا تَظُنُّونَ؟^(١)

- ١٦٥ -

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَحَاطُوا بِالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ،
بِجَمْعِ الْكَمَالَاتِ أَصْبَحُوا شَمَوْعَ الْمَجَالِسِ وَالْأَصْحَابِ
لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الطَّرِيقِ فِي هَذَا اللَّيْلِ الدَّامِسِ،
وَأَتَمَّا فَاهُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْخَرَافَاتِ وَنَامُوا.

- ١٦٦ -

لَوْ عَرَفَ الْقَلْبُ سِرَّ الْحَيَاةِ كَمَا هِيَ
لَعَرَفَ أَيْضاً فِي الْمَوْتِ الْأَسْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ
أَنْتَ تَعْلَمُ شَيْئاً وَمَعَكَ نَفْسُكَ
فَمَاذَا تَعْلَمُ غَدًا إِذَا تَجَرَّدَتْ عَنْهَا؟

(١) وردت ترجمة الرباعية بصيغة أخرى هي:

«أَيُّهَا الْكَوَّازُ إِنْ كُنْتَ وَاعِيًا فَحَتَّى مَ تَهَيِّنُ طِينَةَ الْإِنْسَانِ؟
إِنَّ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الدُّوَارِ
هُوَ أُنْمَلَةٌ «إَفْرِيدُونَ» وَكَفَّ «كَيْخَسَرُو»
فَمَاذَا تَظُنُّ؟»

- ١٦٧ -

لَمْ يَكُنْ مَحْصُولُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ذَاتِ الْفِتَنِ
إِلَّا الْأَلَمَ وَعَذَابَ النَّفْسِ
فَطُوبَى لِمَنْ خَرَجَ مِنْهَا
أَوْ لَمْ يَجِئْ إِلَيْهَا.

- ١٦٨ -

أَشْرَبُ الْخَمْرِ لِأَنَّهَا الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ،
فَهِيَ وَحْدَهَا مَزِيَّةُ الدُّنْيَا
الْوَقْتُ وَقْتُ وَرْدِ وَطَرٍ، وَالْأَخْلَاءُ سُكَارَى
أَسْعَدُ لَحْظَةً فَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ.

رباعيات الخيام

ترجمة الزهاوي

الطبعة الأولى مطبعة الفرات ١٩٢٨

ثَبَّتَ الزهاوي الأصلَ الفارسيَّ لكلِّ رباعيةٍ، ثُمَّ ترجمته «نشرًا»
فترجمته «نظمًا» كما وَرَدَ في الأصل، لكنَّنا آثرنا هنا أَنْ نضعَ ما سَمَّاهُ:
«ترجمة نثرية» تحت مُسمًى: «ترجمة حرة» وما سَمَّاهُ: «ترجمته نظمًا»
تحت تسمية: «صياغة حرة» اتساقاً مع ما طرحناه في المقدمة حول
مسألة الترجمات «الحرة» أو «الموزونة».

القسم الأول: في الخمرة

- ١ -

الترجمة الحرة:

إِنَّ هَذَا الْفَلَكَ الدَّوَّارَ لَهُ قَصْدٌ سَيِّئٌ
بروحي وروحك، يريدُ إزهاقَهُمَا
فتَبَوَّأَ الْعُشْبَ واشرب فوقه الخمرة
إِذْ لَا يَبْطِئُ الْعُشْبُ أَنْ يَنْبَتَ مِنْ تُرَابِي وَتُرَابِكَ.

الصياغة الموزونة:

اغْنِمِ الْعُشْبَ فَهُوَ أَخْضَرُ غَضٌّ
وَتَرَشَّفْ كَأْسَ الْحَمِيَّا عَلَيْهِ
قَبْلَمَا يَبْدُو الْعُشْبُ أَخْضَرَ غَضًّا
مِنْ تَرَابٍ يَوْمًا تَصِيرُ إِلَيْهِ

- ٢ -

الترجمة الحرة:

تَعْدِلُ كَأْسٌ مِنَ الْخَمْرِ أَلْفَ قَلْبٍ وَدَيْنٍ
وَتَسَاوِي جُرْعَةً مِنْهَا مَمْلَكَةَ الصَّيْنِ
لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ مُرَّةٌ

هي تفضل ألف حلٍ سوى الخمرة.

الصياغة الموزونة :

اسقني خُمراً فَنُهي تَغْدِلُ عِنْدِي
ألفَ دِينَ وألفَ مُلْكٍ وَطِيذُ
لَيْسَ مِنْ مُرَّةٍ سِوَاهَا تُساوي
ألفَ حلٍ في كلِّ هذا الوجودُ

- ٣ -

الترجمة الحرة :

انظر إلى الكأسِ فإنَّها جسمٌ قد حَبَلَ بِالرَّوْحِ
أو يَاسمينٌ قد حَبَلَ بِالوَرْدِ
بل هي من لُطْفِهَا
ماءٌ حَبَلَ بِنَارِ سَيَّالَةٍ.

الصياغة الموزونة :

إنَّما الرَّاحُ وهي في الكأسِ تُبْدِي
لَمَعَاناً، رَوْحٌ بِجِسْمٍ تَجَلَّى
وكانَ الكأسُ التي قَدْ حَوَّثَهَا
ماءٌ بِالنَّارِ الْمُضِيئةِ حُبلى

- ٤ -

الترجمة الحرة :

سأطربُ على الوجهِ الجميلِ ما استطعتُ
وأعيشُ رغداً بجانبِ النَّهْرِ

حيثُ الخمرُ والزَّهرُ
شربتها في الماضي وأشربها اليومَ وسوفَ أشربها..
الصياغة الموزونة:

لا أعافُ السلافَ ما دُمْتُ حيًّا
قد أصابَ ارتياحهم شاربوها
إنني قد حَسَوْتُها قبلَ هذا
وكما قد حَسَوْتُها أخسوها

- ٥ -

الترجمة الحرة:

عادتني أنْ أشربَ الخمرَ وأسرَّ بها
وديني أنْ أفرغَ من الكُفرِ والدينِ
سألتُ عروسَ الدَّهرِ: ما هو صُداقُك؟
فأجابت: قلبُك الجدلان.

الصياغة الموزونة:

أشربُ الرِّاحَ مُذْمِناً ثمَّ أنِّي
لا أبالي كُفُراً ولا إيمَاناً
قلْتُ للدُّنيا: ما صِداقُك قالتِ:
هُوَ أنْ تستمرَّ بي جدلانا

- ٦ -

الترجمة الحرة:

نحنُ رَهَنًا رِداءِ التَّقوى بالدُّنْ

وتيممنا بترابِ الحاناتِ
راجينَ أنْ نجدَ في أبوابِها
ما أضعناه من عُمرنا في المَدارسِ.
الصياغة الموزونة :

عَفْتُ زُهْدِي وَكُلَّ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ
وَلَزِمْتُ الْحَانَاتِ بَعْدَ الْمَجَالِسِ
وَعَسَى أَنْ أَعِيدَ فِيهِنَّ عُمْرًا
كَنتُ قَبْلًا أَضَعُّهُ فِي الْمَدَارِسِ^(١)

- ٧ -

الترجمة الحرة:
أنا لا أقدرُ أنْ أَعِشَ
فأحملُ عبءَ جسدي بدونِ خمرٍ صافيةٍ
ما أحلى الساعةَ التي يقولُ لي فيها السَّاقِي:
خُذْ كَأْسًا أُخْرَى وَأَنَا لَا أَشْتَطِيعُ!
الصياغة الموزونة :

بِالْحُمَيَّا أَحْيَا فَيَا طِيبَ يَوْمٍ
فِيهِ عَقْلِي مِنَ الْحُمَيَّا يَضِيعُ
وَيَقُولُ السَّاقِي أَلَا هَاكَ أُخْرَى
وَأَنَا لِلْعَيَاءِ لَا أَشْتَطِيعُ

(١) هذه الرباعية نموذج لتقصير الصياغة الموزونة عن جمالية الترجمة الحرة.

الترجمة الحرة:

الأحسنُ أنْ نُفرِّحَ نفوسَنَا بكأسِ الحميا
وأنْ لَا نلهجَ بما كَانَ وما يَكُونُ
وأنْ نُطلقَ سَاعَةً
أزواخنا السَّجِينَةَ من قُيُودِ الْعَقْلِ.

الصياغة الموزونة:

حبِّذا خمرةٌ تُحرِّرُ نفسي
من همومٍ تَعْضُّها كالكُبولِ
حيهِّلِ يا صَحبِي على الرَّاحِ كَيْمَا^(١)
نُطلقَ الرُّوحَ من قُيُودِ الْعَقُولِ

الترجمة الحرة:

إنْ سَكَبْتَ الخمرَةَ على الجبلِ رَقَصَ الجبلُ
والذي يَنْتَقِصُها هو الناقِصُ
أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَتُوبَ مِنْهَا
وهي تِلْكَ الرُّوحُ التي تُرَبِّي الإنسانَ؟

(١) حيهِّل: مركبة من حي هلا.. وتعني: عجل

الصياغة الموزونة :

إِنْ نَضَخْتَ الطَّوْدَ الْأَشْمَّ بِخَمْرِ
رَقَصَ الطَّوْدُ نَاشِئاً جَذْلَانَا
إِنِّي لَا أَتُوبُ ، مَا عَشْتُ، مِنْهَا
فَهِيَ رَوْحٌ يُهْدَبُ الْإِنْسَانَا

- ١٠ -

الترجمة الحرة :

منذُ ظهرتِ الزَّهْرَةُ والقمرُ في السَّمَاءِ
ما رأى أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنَ الْخَمْرِ الصَّافِيَةِ
لي العجبُ من بائعِها
ماذا سيشترُونَ خَيْراً مِمَّا يَبِيعُونَ؟!

الصياغة الموزونة :

ما على هذه البسيطة خَيْرٌ
من عَقَارٍ يَلْدُهَا الشَّارِبُونَ
عجبٌ لي من بائعِها فهمُ أَفْضَلُ مِمَّا باعوه لَنْ يَشْتَرُونَا

- ١١ -

الترجمة الحرة :

لا يجوزُ الرِّضْوُ في الحانةِ إلا بالخمرِ
وَإِذَا سَاءَتِ الشَّمْعَةُ لَا يَتَسَرُّ تَحْسِينُهَا
إِسْقِنِهَا فَإِنَّ سِتَارَ عِفَافِنَا
قَدْ تَمَزَّقَ بِصُورَةٍ لَا تَقْبَلُ الرَّفْعَ.

الصياغة الموزونة :

لا يتمُّ الوضوءُ إلا بخمرٍ
للذي للشُّعارِ في الحانِ يزعى
إشقنيها فإنَّ ثوبَ عفا في
شُقَّ حتَّى لا يقبلُ الشَّقُّ رَقْعاً

- ١٢ -

الترجمة الحرة :

أيُّها الرفاقُ اتخذوا لي من الخمرة قُوتاً
واجعلوا وجهي المصفراً كالكهرباءِ أحمرَ كالياقوت
وإذا مِتُّ فاغسلوني بها
وانحتوا تابوتي من خَشَبِ الكَرَمَةِ.

الصياغة الموزونة :

إمْنَحُونِي مِنَ الشَّلَافَةِ قُوتاً
واجعلوا وجهي يُشْبِهُ الياقُوتاً
وإذا مِتُّ فاغسلُونِي بِخَمْرٍ
وانحَتُوا لِي مِنْ كَرَمَةِ تَابُوتِ

- ١٣ -

الترجمة الحرة :

اشربِ الخمرةَ فهي العَيْشُ السرمديُّ
وهي وحدَها ما يبقى لك من أَيَّامِ الشَّبابِ
هو زَمَنُ الوردِ والرفاقِ سُكاري

فَطَبَ بِهَا هَنِيئَةً لِأَنَّهَا هِيَ الْحَيَاةُ.

الصياغة الموزونة :

إِنَّمَا الْعَيْشُ أَنْ تُعَاقِرَ خَمْرًا
مَا لِهَذَا الشَّبَابِ فِيكَ ثَبَاتُ
هُوَ ذَا الْوَرْدُ وَالرَّفَاقُ سُكَارَى
فَاغْتَنِمْ شَرِبَهَا فَفِيهَا الْحَيَاةُ

- ١٤ -

الترجمة الحرة :

فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ عَهْدُ شَبَابِي
أَشْرَبُ الْخَمْرَ لِأَنَّ فِيهَا مَسَرَّتِي
لَا تَعْيِبُوهَا عَلَى مَرَارَتِهَا فَهِيَ طَيِّبَةٌ
هِيَ مُرَّةٌ لِأَنَّهَا حَيَاتِي.

الصياغة الموزونة :

أَنَا فِي مَتَاعِ الشَّبَابِ سَاخِسُو
خَمْرٌ عَرَفُهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
لَا تَعْيِبُوا تِلْكَ الْمَرَارَةَ فِيهَا
إِنَّهَا مُرَّةٌ كَمَثَلِ حَيَاتِي

- ١٥ -

الترجمة الحرة :

لَا طَرَبَ لِي مَا كُنْتُ صَاحِبًا
وَإِذَا سَكَرْتُ نَقَصَ عَقْلِي

إِنَّمَا بَيْنَ الصَّخْرِ وَالشُّكْرِ حَالَةٌ
هِيَ، وَحَدَّهَا، لَذَّةُ الْحَيَاةِ.

الصياغة الموزونة:

إِنِّي إِنْ صَحَوْتُ يَزْدَادُ هَمِّي
وَإِذَا مَا سَكَرْتُ يَنْقُصُ عَقْلِي
إِنَّمَا بَيْنَ الصَّخْرِ وَالشُّكْرِ حَالٌ
أَنَا مِنْ غَمَّتِي بِهَا مُتَسَلِّي

- ١٦ -

الترجمة الحرة:

سَمِعْتُ فِي السَّحْرِ مُنَادِيًا مِنْ جَانِبِ النَّهْرِ يَقُولُ:
أَيُّهَا الظَّرِيفُ الَّذِي دَلَّاهُ بَنَاءَ الْغَرَامِ
قُمْ نَمْلًا كَأَسًا مِنَ الْخُمْرَةِ
قَبْلَ أَنْ يَمْلَأُوا مِنْهَا الْكَأْسَ الْمَجْبُولَةَ مِنْ طِينَتِنَا.

الصياغة الموزونة:

قَدْ أَتَانِي مِنْ حَانَةِ الْقَوْمِ صَوْتُ
فِي بَيَاضِ الصَّبَاحِ يُغْرِي الثُّفُوسَا
قَائِلًا: قُمْ نَشْتَفْ كَأْسَ الْحُمِيَّا
قَبْلَمَا يَصْنَعُونَ مَثَا كَوْسَا!

- ١٧ -

الترجمة الحرة:

لَا يَخْضَعُ الْفَلَكُ لِي،

ما لَمْ يَسْقِنِي الْحَبِيبُ خَمْرَةً مُفْرَحَةً
يَقُولُونَ لِي: تُبُّ مِنْهَا فَقَدْ جَاءَ الْوَقْتُ
وَكَيْفَ أَتُوبُ إِذَا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ أَتُوبَ؟

الصياغة الموزونة:

أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسُ السُّلَافَةَ يَوْمًا
كَانَ لِلْهَمِّ فِي فُؤَادِي دَبِيبٌ
قِيلَ لِي: تُبُّ فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ رَبِّي
لَمْ يَشَأْ تَوْبَتِي فَكَيْفَ أَتُوبُ؟

- ١٨ -

الترجمة الحرة:

قَبَّلَ أَنْ تُبَيِّتَكَ الْهَمُومُ
مُرْهَمٌ أَنْ يَأْتُوكَ بِخَمْرَةٍ وَرَدِيَةٍ
أَنْتَ لَسْتَ ذَهَبًا أَيُّهَا الْجَاهِلُ الْغَرُّ
لِيَدْفِنُوكَ فِي التَّرَابِ ثُمَّ يَخْرِجُوكَ!

الصياغة الموزونة:

ازْتَشِفْهَا وَلَا تَوَمِّلْ وَرَاءَ الْمَوْتِ نَشْرًا مَنَعُ الطَّبِيعَةِ دُونَهُ
أَنْتَ يَا غِرُّ لَسْتَ بِالسُّبْرِ حَتَّى
يَخْرِجُوهُ مِنْ بَعْدَمَا يَدْفَنُونَهُ

- ١٩ -

الترجمة الحرة:

يَقُولُونَ لِي: الْجَنَّةُ وَالْحَوْرُ طَيِّبَتَانِ

وَأَنَا أَقُولُ: عَصِيرُ الْعِنَبِ هُوَ الطَّيِّبُ
خُذْ هَذَا التَّقَدَّ وَذَرْ ذَلِكَ الْوَعْدَ
فَإِنَّ صَوْتَ الطَّبْلِ مِنْ بَعِيدٍ حَسَنٌ.

الصياغة الموزونة:

قِيلَ لِي: الْحَوْرُ فِي الْجَنَانِ حَسَانٌ
قُلْتُ: خَيْرٌ مِنْهَا ابْنَةُ الْعُنُقُودِ
فَخُذْ النَّقْدَ ذَا وَذَرْ كُلَّ وَعْدٍ
يُحَسِّنُ الطَّبْلُ صَوْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ

- ٢٠ -

الترجمة الحرة:

اغتنمِ الوقتَ فَإِنَّكَ سَوْفَ تُفَارِقُ الرُّوحَ
وَتَدْخُلُ فِي مَا وَرَاءَ الْأَسْتَارِ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ
وَاشْرَبِ الْخَمْرَةَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَإِلَى أَيْنَ سَتَذْهَبُ!

الصياغة الموزونة:

ازْتَشَفْهَا فَإِنَّكَ مِنْ بَعْدِ حِينٍ
فِي حَفِيرٍ تَحْتَ الثَّرَى تَتَغَيَّبُ

لستَ تدري من أينَ جئتَ من الدنيا ومنها يوماً إلى أينَ
تذهبُ

- ٢١ -

الترجمة الحرة:

حاسبَ نفسك إن كنتَ كَيِّباً
ماذا جئتَ به وماذا ستأخذُ معكَ؟
أقولُ: لا أشربُها لأنني سوفَ أموتُ؟
سوفَ تموتُ شربتها أو لم تشربها!

الصياغة الموزونة:

حاسبِ النفسَ فالكياسَةُ أن تعرفَ ماذا جلبتَ ماذا صرَفْتَ
قلتَ: عَنِها أعفُ إذ سوفَ أزدَى
سوفَ تُردى، شربتها أو عَفَفْتَ

- ٢٢ -

الترجمة الحرة:

إن كنتَ لا تشربُ الخمرَ فلا تطعنُ في شاربِها
وإنِّي إن وقَّني اللهُ أتوبُ إليه
تقولُ مُفتخراً: أنا لا أشربُها
وأنتَ تأتي ما هو أكبرُ منها إثماً.

الصياغة الموزونة :

أَنْتَ إِنْ لَمْ تَخْسُ الْحَمِيًّا فَلَا تَطْعُنْ بِمَنْ يَحْشُوها وَقَدْ كَانَ حُرًّا
تَدَّعِي الْفَخْرَ فِي مُجَانِبَةِ الْخَمْرِ وَتَأْتِي مَا كَانَ مِنْهَا أَضْرًّا!

- ٢٣ -

الترجمة الحرة :

أَيُّهَا الْقَلْبُ أَنْتَ لَا تَصِلْ إِلَى أَسْرَارِ الْأَلْغَازِ
وَلَا تَفْقَهُ نَكَاتِ الْأَذْكِيَاءِ الْفَاهِمِينَ
أَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا جَنَّةً مِنَ الْخَمْرِ وَالْكَأْسِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتَنَالُهَا فِي تِلْكَ أَمْ لَا تَنَالُهَا.

الصياغة الموزونة :

أَتَخَذُ جَنَّةً لِنَفْسِكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَمْرِ وَاعْتَبِطُ بِجَنَاهَا
أَنْتَ لَا تَدْرِي تِلْكَ إِنْ هِيَ حَقٌّ
أَتَرَاهَا هُنَا أَمْ لَا تَرَاهَا؟

- ٢٤ -

الترجمة الحرة :

يَا مَنْ هُوَ نَتِيجَةُ أَرْبَعَةِ عُنَاصِرٍ وَسَبْعِ سَمَاوَاتٍ
إِلَى مَتَى أَنْتَ تَتَأَلَّمُ بِالتَّفَكُّرِ فِيهَا؟
اشْرَبِ الْخَمْرَ فَكَمْ قَلْتُ لَكَ :
مَا لَكَ مِنْ رَجْعَةٍ فَإِذَا ذَهَبَتْ ذَهَبَتْ..!

الصياغة الموزونة :

اشربنها فأنْتَ لستَ من الوسواسِ تنجو إلا إذا ما شربنا
أنتَ بعدَ الرَّحيلِ مالِكٌ عودٌ
فلذا ما ذهبَ يوماً ذهبنا

- ٢٥ -

الترجمة الحرة :

حتّام أقولُ مُكتئباً : أأملكُ الشيءَ أم لا ؟
أأقضي العُمُرَ في سُرورٍ أم لا ؟
اسقني كأساً من الخمرِ فإنّي لا أدري
أأخرجُ نَفْسي هذا من صَدْرِي أم لا ؟

الصياغة الموزونة :

اسقنيها فإنّني لستُ أدري
أيُّ يومٍ أحلُّ فيه حَفِيرِي
ربّما جاءَ الموتُ بينَ شهيقٍ
لي على حينِ غَفلةٍ وزفيرِ

- ٢٦ -

الترجمة الحرة :

ذلكَ الذي يزيدُ رُوحِي سُروراً
قدّمَ لي في الحانةِ ليلةَ أمسٍ جزاءَ لصدقي وإخلاصي
كأساً وقالَ : خُذْها واشربها
فقلتُ : لا أشربها.. فقالَ : اشربها من أجلِ قلبي.

الصياغة الموزونة :

جاء بالأمس من هويت بكأس
وهو يُلقني عليّ نظرة حُبّ
قال لي : خُذها من يدي واخسوها
قلك : لا أحسوها، فقال : لقلبي

- ٢٧ -

الترجمة الحرة :

لا تَضَع في رأسك حبَّ المُحال
واشربِ الخمرة كُلَّ العامِ بأقداحٍ مُترعة
عِشْ رَغداً مع ابنة الكَرَمَةِ
فإنَّ لقاءَ الابنةِ بحرامٍ خيرٌ من لقاءِ الأمِّ بحلال!

الصياغة الموزونة :

مَتَّعِ النَّفْسَ بابنةِ الكَرَمَةِ الغِيَاءِ وأنعم بعرفها والجمالِ
إقْرَبِ البنتَ بالحرامِ ولا تَقْرَبْ من الأمِّ ساعةً في الحلالِ!

- ٢٨ -

الترجمة الحرة :

إلى متى يمرُّ عُمْرُكَ في عِبَادَةِ نَفْسِكَ؟
أو في الافتكارِ في ما لك وما لَيْسَ لك
اشربِ الخمرَ فإنَّ العُمَرَ الذي وراءَهُ الموتُ
يَحْسُنُ أَنْ يَنْقُضِي فِي الرُّقَادِ أَوْ الشُّكْرِ.

الصباغة الموزونة :

ارتشف خمرة ولا تَتَفَكَّرْ
في حياةٍ مصيرُها لَنَفَادِ
أحرَ بالعُمرِ - خلفه الموتُ - أن يُصَرَفَ في حالِ السُّكرِ أو في رُقَادِ

- ٢٩ -

الترجمة الحرة :

أيتها الرفاقُ متى ما تقابلتمُ مُتوافقينَ
فاذكروا صديقكم كثيراً
وإذا شربتمُ الخمرةَ السائغةَ وجاءتْ نوبُنا
اقلبوا الكأسَ !

الصباغة الموزونة :

يا رفاقي إن ضمَّكم يومٌ خميرِ
فاذكروني في غيبتِي واشربوها
وإذا ما أدرتُم الكأسَ فيه
وأنتَ منها نوبتي فاقلبوها

- ٣٠ -

الترجمة الحرة :

أنا أشربُ الخمرةَ
ومن كانَ مثلي أهلاً لشربها،
فإنَّ شربهَ إيَّاهَا ليسَ بمعصيةٍ
كانَ اللهُ يعلمُ منذُ الأزلِ إنِّي سأشربُها

فَإِنْ لَمْ أَشْرِبْهَا كَانَ عِلْمُهُ جَهْلًا!

الصياغة الموزونة:

عَلِمَ اللَّهُ قَبْلَ خَلْقِي إِنِّي
أَشْرَبُ الْخَمْرَ ثُمَّ لَا أَتَخَلَّى
فَإِذَا مَا مَنَعْتُ نَفْسِي مِنْهَا
كَانَ بِي عِلْمُ اللَّهِ، مِنْ قَبْلُ، جَهْلًا!

- ٣١ -

الترجمة الحرة:

أَنَا أَشْرَبُ الْخَمْرَ وَلَكِنْ لَا أُعْرِدُ
وَلَا أَطِيلُ إِلَى غَيْرِ الْكَأْسِ يَدِي
أَتَدْرِي لِمَاذَا أُعْبِدُهَا؟
ذَلِكَ لِثَلَاثِ أَعْبُدُ مِثْلَكَ نَفْسِي.

الصياغة الموزونة:

أَنَا بِالرَّاحِ وَحْدِهَا مُتَأَسِّي
لَا أَمُدُّ الْيَمِينَ إِلَّا لِكَأْسِ
إِنْ أَكُنْ أَعْبُدُ الْحُمَيَّا فَمَا أَعْبُدُ يَوْمًا لِلْجَهْلِ مِثْلَكَ نَفْسِي

- ٣٢ -

الترجمة الحرة:

إِنْ لَمْ أَجِدْ صُلْحًا مَعَ النَّاسِ، فَلَتَكُنِ الْحَزْبُ
وَلِنْ سَاءَتْ سُمْعَتِي فَلْتَسُوْا!
هَآ هِيَ ذِي كَأْسٍ خَمْرٌ أَرْجَوَانِيَّة

فمن لا يشربها فرأسه والججارة.

الصياغة الموزونة :

أَنتَما النَّاسُ إِن أَبَوا مَعِيَ الصُّلَحَ فَإِنِّي عَلَى الْوَعَى ذُو جَسَارَةٍ
إِنَّهَا خَمْرَةٌ عِناقُ فَمَنْ لَمْ
يَجْتَرِغْها فَرَأْسُهُ وَالْجِجَارَةُ!

- ٣٣ -

الترجمة الحرة :

يَا مُفْتِي الْبَلَدِ نَحْنُ أَتَقَى مِنْكَ
وَمَعَ كُلِّ سُكْرانٍ هَذَا أَصْحَى مِنْكَ
أَنْتَ تَشْرَبُ دَمَ النَّاسِ وَنَحْنُ نَشْرَبُ دَمَ الْكُرومِ
فَقُلْ مُنْصَفًا : أَيُّنَا أَفْثَكُ؟

الصياغة الموزونة :

أَيُّهَا الْمُفْتِي نَحْنُ أَتَقَى وَأَضْحَى
مِنْكَ لَا نَقْسو مِثْلَما أَنْتَ تَقْسو
أَنْتَ تَحْشُو دَمَ الْأَنامِ وَإِنَّا
لِدَمِ الْكُزْمِ وَهُوَ فِي الْجِجامِ نَحْشُو

- ٣٤ -

الترجمة الحرة :

جاءَ السحابُ وبكى ثانياً فَوْقَ الْعُشْبِ
لَا يَجورُ أَنْ نَعِيشَ بِدونِ خَمْرَةٍ أَرْجوانية
إِنَّ هَذَا الْعُشْبَ مَشْهُدٌ لَنَا الْيَوْمَ وَهَلْ مِنْ يَذْري

لمن سيكونُ العُشْبُ، الذي يَنْبُثُ من ثُرَابِنَا، مشهداً؟
الصياغة الموزونة:

انْظُرِ العُشْبَ الغَضَّ وأشْرَبْ عليه
خَمْرَةً تُنْسِي شَارِبِيهَا الشُّجُونََا
لَيْتَ شِعْرِي إِذَا بَدَا العُشْبُ يَوْمَاً
مِنْ ثُرَانَا فَمَنْ هُمُ النَّاطِرُونََا؟

- ٣٥ -

الترجمة الحرة:

أَبْصَرْتُ شَيْخاً فِي دَارِ حَمَارَةٍ
فَقُلْتُ لَهُ: إِلَّا تَخْبِرْنِي عَنِ الْمَاضِيْنَ؟
قَالَ اشْرَبِ الْخَمْرَ فَكَثِيرٌ مِنْ أَمْثَالِنَا
ذَهَبُوا وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ مَرَّةً أَحَدٌ.

الصياغة الموزونة:

كَنتُ يَوْمَاً سَأَلْتُ شَيْخاً عَنِ الْمَاضِيْنَ وَالشَّيْخُ نَضَوْ سَكْرٍ يَمِيدُ^(١)
قَالَ لِي اشْرَبْ كَأْساً فَإِنَّ كَثِيرَا
مِثْلِنَا قَدْ مَضَوْا وَلَمَّا يَعُودُوا

- ٣٦ -

الترجمة الحرة:

يَقُولُونَ هُنَاكَ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَكَوْثَرٌ

(١) نَضَوْ سَكْرٍ: أَتَعَبَهُ السَّكْرُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: نَضَوْ سَفْرًا، وَبَلَوْ سَفْرًا، لَمَنْ أَرَهَقَهُ السَّفَرُ.

وأنهاراً من خَمَرٍ وَلَبَنٍ وَعَسَلٍ
عاطني أيُّها السَّاقِي على ذِكْرِها كَأْساً
فإنَّ النَّقْدَ الواحدَ خَيْرٌ من ألفِ نَسِيئةٍ!

الصياغة الموزونة:

ارتشفُها ولا يَغْرُكْ وعدُ
بجنانٍ خُضِرٍ وخُورٍ وولَدُ
فَذَرِ الوعدَ واحسبِ النَّقْدَ غُنْماً
أَنَّ نَقْداً أَحَبُّ إِلَيَّ من ألفِ وَعدٍ

- ٣٧ -

الترجمة الحرة:

خيرٌ من الجنَّةِ التي وُعدَتْها
كأسٌ وخمرةٌ وساقٍ في جانبِ الرِّوضةِ
لا تسمعُن من أحدٍ حديثَ الجنَّةِ والجحيمِ
مَنْ ذا ذَهَبَ إلى الجحيمِ وَمَنْ ذا جاءَ من الجنَّةِ!

الصياغة الموزونة:

لا تُفَكِّرْ في جنَّةٍ وجحيمٍ
واطردنَّ الأوهامَ عنكَ بكأسٍ
من تُرى زُجِّ في الجحيمِ وَمَنْ ذا
جاءَ يوماً مِنْ جنَّةِ الفِرْدوسِ؟

الترجمة الحرة:

أيُّها الحبيبِ اصطحبِ كأساً وإبريقاً
وحُمِّ حولَ الرّوضِ في جانبِ النَّهرِ
فإنَّ هذا الفلَّكَ كثيراً ما جعلَ من قِوامِ الغنيدِ الحِسانِ
كُؤوساً وجعلَ منه أباريق.

الصياغة الموزونة:

اصطحبِ كأساً وإبريقاً ويَمِّم
روضةً زهرها يُسرُّ النُّفوسا
رُبَّ قَدٍ لَذِنٍ لهيفاء رُوْدٍ^(١)
صارَ إبريقاً ثمَّ صارَ كُؤوسا

الترجمة الحرة:

الأولى أن تهربَ من درُوسِ العِلْمِ كافّةً
وأن تتعلّقَ بِشَعرِ غانيةٍ حُشناء
وأن تَسفَحَ دَمَ الإبريقِ في القَدَحِ
قبلَ أن يَسفَحَ الدهرُ دَمَك.

(١) الرُّودُ: الشابة الجميلة.

الصياغة الموزونة :

اطوِرْ كَشْحاً عَنِ الْعُلُومِ جَمِيعاً
أَيُّ نَفْعٍ مِنَ الْعُلُومِ أَتَانَا
ثُمَّ أَوْسَعِ دَمَ الْأَبَارِيقِ سَفْكَاً
قَبْلَ أَنْ يَسْفِكَ الزَّمَانُ دِمَانَا

- ٤٠ -

الترجمة الحرة :

غَلَّ الْفَلَكَ يَدَي
مَنْذُ مَيَّزْتُ رِجْلِي عَنْ يَدَي
وَأَغْمَتَاهُ، فَسِيحْسِبُونَ مِنْ عُمْرِي زَمَاناً
مَرّاً لِي بِغَيْرِ خَمْرَةٍ وَخَلِيلَةٍ.

الصياغة الموزونة :

خَمْرَةٌ إِنْ وَاصَلْتُهَا ارْتَاخَ فِكْرِي
وَإِذَا مَا هَجَرْتُهَا ضَاقَ صَدْرِي
إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَعِدُّوا زَمَاناً
لَمْ أَذُقْ فِيهِ طَعْمَهَا مِنْ عُمْرِي

- ٤١ -

الترجمة الحرة :

افْرَحْ نَفْسَكَ الْكَثِيَّةَ أَثِيهَا الْحَبِيبُ
فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَضْمُنُ الْغَدَ
وَاشْرَبِ الْخَمْرَةَ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لِأَنَّ هَذَا الْقَمَرَ

سوف يطلع كثيراً.. ولا يَرانا.

الصياغة الموزونة :

طلع البدرُ فاشربنَّ على أضوائِهِ خمرَةً تُسرُّ الجَنانا
فكثيراً ما سوف يطلعُ هذا البدرُ، مِنْ بعدنا، وليسَ يَرانا

- ٤٢ -

الترجمة الحرة :

تحتُ قافلةُ العُمَرِ السَّيرِ بصورةٍ عَجِيبَةٍ
فاغتنِمِ ساعةً تطربُ فيها
أيُّها السَّاقِي ماذا تخشى مِنْ القِيَامَةِ؟
ناولني كأساً فَإِنَّ الليلَ على وشكِ المُضي.

الصياغة الموزونة :

أيُّها السَّاقِي ليسَ بالوقتِ مهلٌ
فاغتنِمِ فرصةَ المسرَّةِ واطربِ
أيَّ شيءٍ من القِيَامَةِ تخشى؟
هاتِ كأساً فالليلُ قد كادَ يذهبُ

- ٤٣ -

الترجمة الحرة :

قدَّفتِ الشمسُ بحبلِ الصَّبَحِ على السَّطحِ
وصبَّ مَلِكُ النَّهارِ خمرَتَهُ في الجامِ
أشربِ السَّلافةَ، فَإِنَّ صوتَ المُنادي الذي تعودُ الانتباهَ
في الأسْحارِ

ألقى دويّاً في الأيام: أنْ اشربوا...

الصياغة الموزونة:

مدَّت الشَّمْسُ الحبلَ لآكام
ثمَّ صبَّتْ سُلَافَهَا فِي الجَامِ
ولقد نادى بالصَّبوح المُنادي
مُلْقِياً للدويِّ في الأيَّامِ

- ٤٤ -

الترجمة الحرة:

يقولونَ قد دَنَا شهرُ «رمضان»
فما لأحدٍ بعدَ هذا أنْ يحومَ حولَ الخمرِ
أمّا أنا فسأشربُ منها في آخرِ «شعبان»
ما لا أصحّو به من سَكْرَتِي إلى يومِ العيدِ.

الصياغة الموزونة:

قِيلَ شهرُ الصيامِ أَمْسَى قَرِيباً
وَسَتْنَأَى عَنِ ابْنَةِ العُنُقودِ
قلْتُ: اشتفُها «بشعبان» حتَّى
لا أَرَى صاحِباً لِيومِ العيدِ!

- ٤٥ -

الترجمة الحرة:

خُذْ نصيبك من حَرَكةِ الدَّهرِ
واطْرَبْ بكأسٍ تُمسكها بيدُك

إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ
فَلَا أَقْلَ مَنْ أَنْ تَنَالَ لَذَائِكَ فِي الدُّنْيَا

الصياغة الموزونة :

خُذْ مِنَ الْعَيْشِ فِي الشُّرُورِ نَصِيباً
وَتَمَتَّعْ بِخَمْرَةٍ فِي حَيَاتِكَ
إِنَّمَا اللَّهُ عَنْ تُقَاكَ غَنِيٌّ
فَتَفَرَّغْ مِنْهَا إِلَى لَذَائِكَ

القسم الثاني: في الكوز

- ٤٦ -

الترجمة الحرة:

تَعَالَ تَعَالَ رِعَايَةً لِحَاظِرِنَا
وَحَلَّ بِجَمَالِكَ مُشْكَلَنَا
هَاتِ كَوْزَةً مِنَ الْخَمْرِ لِنَشْرَبَهَا
قَبْلَ أَنْ يَصْنَعُوا مِنْ طِينَتِنَا أَكْوَازًا.

الصياغة الموزونة:

قُمْ وَسَارِعْ إِلَى الطَّلَا وَاشْقِنِيهَا
إِنَّ صَبْرِي عَنِ الطَّلَا لَنْ يَجُوزَا
هَاتِ لِي كَوْزَةً لِأَشْرَبَ مِنْهَا
قَبْلَمَا يَصْنَعُونَ مِنِّي كُوزًا

- ٤٧ -

الترجمة الحرة:

كَانَتْ هَذِهِ الْكَوْزَةُ مِثْلِي عَاشِقًا
قَدْ عُلِقَ مِثْلِي بِفَرْعِ غَانِيَةٍ حَسَنَاءَ
وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُرْوَةُ فِي رَقَبَتِهَا

يَدًا عَلَى جَيْدٍ إِحْدَى الْحِسَانِ.

الصياغة الموزونة :

لَمْ تَكُنْ فِي قَدِيمِهَا هَذِهِ الْكُوزَةُ غَيْرَ الْمَتِيَمِ الْمَغْمُودِ
كَانَتْ الْعُرُوَّةُ الَّتِي هِيَ فِيهَا
يَدَ صَبٍّ فِي جَيْدٍ حَسَنَاءَ رُودِ

- ٤٨ -

الترجمة الحرة :

هُوَ جَائِمٌ يَسْتَحْسِنُهُ الْعَقْلُ
وَمِنْ حُبِّهِ لَهُ يُقْبَلُهُ فِي جَبِينِهِ مَائَةٌ مَرَّةً
ثُمَّ أَنَّ كَوَّازَ الدَّهْرِ بَعْدَ أَنْ يَصْنَعُهُ، هَكَذَا، جَمِيلًا
يَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ.

الصياغة الموزونة :

هُوَ جَائِمٌ قَدْ أَكْبَرَ الْعَقْلُ مَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنِ مُطَرِّيًا وَالتَّمَامِ
ثُمَّ أَنَّ الْمَتَمَّ لِلْجَائِمِ صُنْعًا
يَضْرِبُ الْأَرْضَ كَاسِرًا بِالْجَائِمِ

- ٤٩ -

الترجمة الحرة :

كَنْتُ بِالْأَمْسِ فِي مَصْنَعِ كَوَّازٍ
فَرَأَيْتُ أَلُوفًا مِنَ الْأَكْوَازِ بَيْنَ نَاطِقَةٍ وَصَامِتَةٍ
وَكَانَ كُلُّ مَنْهَا يَقُولُ بِلِسَانٍ حَالِهِ :
أَيْنَ صَانِعُ الْكُوزِ وَمَشْتَرِيهِ وَبَائِعُهُ؟

الصياغة الموزونة :

أَبْصَرْتُ فَوْقَ الْأَرْضِ بِالْأَمْسِ عَيْنِي
كَوْزَةً قَدْ تَقَادَمَتْ فِي الزَّمَانِ
كَأَنَّ لِي حَالُهَا يَقُولُ لِهَيْفًا:
أَيُّنَ مِنْ بَاعَنِي وَاشْتَرَانِي؟

القسم الثالث: في التذمّر

- ٥٠ -

الترجمة الحرة:

أَيُّهَا الْفَلَكَ الدَّوَّارُ إِنَّ الْبُؤْسَ مِنْ آثَارِ حَقْدِكَ
وَالظُّلْمَ قَدِيمٌ فِي شِيْمَتِكَ
أَتَيْتَهَا الْأَرْضُ إِنْ فَتَحُوا صَدْرَكَ
وَجَدُوا فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ.

الصياغة الموزونة:

يَا سَمَاءُ، الْعَدَاءُ فِيكَ قَدِيمٌ
كَمْ عَلَيْنَا تَدَوُّرُ مِنْكَ الدَّوَائِرُ؟
أَيُّهَا الْأَرْضُ كَمْ بِصَدْرِكَ إِمَّا
فَتَحُوهُ قَدْ اخْتَفَتْ مِنْ جَوَاهِرِ

- ٥١ -

الترجمة الحرة:

كَانَ اللَّهُ يَوْمَ جَبَلَ طِينَتَنَا
يَعْلَمُ مَاذَا سَيَصْدُرُ مِنَّا
لَيْسَتْ دُنُوبِي بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ

فلماذا يحرقني في جهنم.

الصياغة الموزونة :

يَوْمَ أَبْدَىٰ فِيْنَا الْحَيَاةَ الْبَارِي
لَمْ يَكُنْ عَنْهُ فِغْلُنَا فِي تَوَارِي
شَاءَ أَنَا نَجِيءُ ذَنْباً فَجِئْنَا
فَلَمَّاذَا يُلْقِي بِنَا فِي النَّارِ؟

- ٥٢ -

الترجمة الحرة:

كثيْرُ تِلْكَ الدِّمَاءِ الَّتِي سَفَكَهَا الدَّهْرُ الْغَشُومُ
كثيْرُ تِلْكَ الْأَزْهَارِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ أَخَذَتْ
تَتَبَعُزُّ بِدَدًا

لَا تَغْتَرِزُ أَيُّهَا الْغَلَامُ بِجَمَالِكَ وَالشَّبَابِ
فَكُم مِّنْ بَرَعَوْمَةٍ انْتَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَتِّحَ؟

الصياغة الموزونة :

قَتَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءَ كَثِيرًا
وَأَنْتَ مِّنْ بَعْدِ الْقَبِيحِ بِأَقْبَحِ
لَا يَغَرَّرُكَ الشَّبَابُ فَكُم مِّنْ
بُرْعَمٍ رَثَّ قَبْلَ أَنْ يَتَفَتَّحَ

- ٥٣ -

الترجمة الحرة:

لَمَّا رَكَّبَ الْمَالِكُ الطَّبَائِعَ

لماذا جَعَلَهَا ناقصةً لا تفي بالمراد؟
إن كانت قد جاءت جيدةً، فلماذا حَطَّهَا؟
وإن جاءت رديئةً، فإلى من يعودُ عيبها؟
الصياغة الموزونة:

إن يكن ربُّ الأمرِ جاءً مليحاً
فلماذا يبيدُ تلكَ المَلاحَةَ؟
وإذا كانَ ما أتاهُ قبيحاً
فعلى مَنْ شَنَأُ تلكَ القَبَاحَةَ؟^(١)

- ٥٤ -

الترجمة الحرة:
أتى بي في الأولِ إلى الوجودِ مُضطرباً
ولم أزدُ في الحياةِ إلا حيرةً
وقدْ ذَهَبْنَا مُكرهينَ فلا ندري
ماذا كانَ القصدُ من الإتيانِ والذهابِ بنا؟
الصياغة الموزونة:

باطْطَرارٍ جئنا وبِالكرهِ مَنَّا
قدْ ذَهَبْنَا والموتُ شرٌّ سبيلِ

(١) الشنار: العيب والعار.

لَيْتَ شِغْرِي مَاذَا هُوَ الْقَصْدُ مِنْ إِيَابِنَا وَالذَّهَابُ بَعْدَ قَلِيلٍ؟

- ٥٥ -

الترجمة الحرة:

وَأَسْفَاهُ فَقَدْ خَرَجَ رَأْسُ الْمَالِ مِنْ أَيْدِينَا
وَدَمِي كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْبَادِ فِي يَدِ الْمَوْتِ
لَمْ يَرْجِعْ أَحَدٌ مِنَ الْآخِرَةِ فَنَسَأَلُهُ
عَنِ الَّذِينَ سَافَرُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَيْهَا.

الصياغة الموزونة:

أَخَذْتُنَا الْمَنُونُ أَخْذَا وَبِيْلَا
أَيُّ إِنْسَانٍ لَا يَذُوقُ الْمَنُونَا
لَمْ يَجِئْنَا مِنْ تِلْكَ الدَّارِ مَنْ نَسَأَلُهُ عَنْ مَغَبَّةِ الرَّاحِلِينَا^(١)

- ٥٦ -

الترجمة الحرة:

ذَهَبْنَا وَقَدْ عَجَبَ الدَّهْرُ مِنَّا
مَعَ أَنَّا مِنْ مَائَةِ لَوْلُؤَةٍ ثَقْبْنَا وَاحِدَةً!
وَاحْسِرَتَانَا! فَقَدْ بَقِيَثُ أَلُوفٌ مِنَ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ
لَمْ نَذْكُرْهَا بَعْدُ، اتِّقَاءً لِشَرِّ الْحَقْمَى.

(١) مغبّة الأمر: عاقبته وآخرته.

الصياغة الموزونة :

قَدْ ذَهَبْنَا فِي الْحُشَّاشَةِ مِتًّا
حَسَرَاتٌ لِحَيْبَةِ الْأَمَالِ
وَأَلُوفٌ مِنَ الْمَعَانِي دِقَاقُ
لَمْ تُقَلِّ بَعْدُ خِيفَةُ الْجَهَّالِ

- ٥٧ -

الترجمة الحرة :

مَا كَانَ لِلْفَلَكَ مِنْ مَجِيئِي نَفْعٌ
وَلَا ازْدَادَ مِنْ ذَهَابِي جَاهُهُ وَجَلَالُهُ
وَلَمْ تَسْمَعْ أَذْنَايَ مِنْ أَحَدٍ
مَاذَا كَانَ الْقَصْدُ مِنَ الْإِتْيَانِ وَالذَّهَابِ بِي؟

الصياغة الموزونة :

لَا حَيَاتِي فِيهَا غِنَاءٌ وَلَا مَوْتِي وَإِنِّي لَمِنْهُمَا فِي ارْتِيَابٍ
لَمْ يَقُلْ لِي أَمْرٌ لِمَاذَا مَجِيئِي
وَلِمَاذَا بَعْدَ الْمَجِيءِ ذَهَابِي

- ٥٨ -

الترجمة الحرة :

إِلَى مَتَى أَعْرَضُ جَهَالَةً نَفْسِي
ضَاقَ قَلْبِي مِنْ هَذَا الشَّتَاتِ
أُرِيدُ أَنْ أَشَدَّ بَوْشَطِي زَنَاراً مَجُوسِيَّةً
أَتَدْرِي لِمَاذَا؟ لِلْحَيَاءِ مِنْ إِسْلَامِي!

الصياغة الموزونة:

كَانَ جَهْلًا مَا خَطَّه أَقْلَامِي
فَأَنَا لَأَنْقُ بِكُلِّ مَلَامٍ
لَيْتَ لِي زَنْارًا أَتَدْرِي لِمَاذَا؟
لِحَيَاءٍ فِي النَّفْسِ مِنْ إِسْلَامِي^(١)

- ٥٩ -

الترجمة الحرة:

إِنْ كُنْتُ سَكَرَانًا مِنْ خَمْرَةِ الْمَجُوسِ فَأَنَا ذَاكَ
أَوْ كَافِرًا أَوْ مُلْجِدًا أَوْ وَثْنِيًّا فَأَنَا ذَاكَ
لِكُلِّ طَائِفَةٍ ظَنُّ فِيَّ.. أَمَّا أَنَا
فَمِلْكُ نَفْسِي أَكُونُ كَمَا أَشَاءُ.

الصياغة الموزونة:

كَثُرْتُ فِي صَحْوِي وَشُكْرِي الظَّنُونُ
وَرَمُونِي بِالْكَفْرِ وَالْكَفْرُ دِينُ
لَا أَبَالِي بِظَنُّهُمْ بِي فَلِئَنِّي
مِلْكُ نَفْسِي كَمَا أَشَاءُ أَكُونُ^(٢)

(١) يلاحظ في صياغته الموزونة أنه حذف كلمة مجوسية من الزنار، ولو لم تكن الصياغة الموزونة هذه مسبقة بصياغة حرة ترد فيها كلمة مجوسية، لما كان يمكن أن يكون المعنى دالاً على ما قصد الخيام.

(٢) مرة أخرى حذف الزهاوي كلمات أخرى من الصياغة الموزونة، مجوسي: كافر، ملحد، وثني، واختزلها بمفردة الكفر.

الترجمة الحرة:

لو كَانَ لِي كَاللَّهِ
سُلْطَانٌ عَلَى الْأَفْلَاقِ لِأَعْدَمْتُهَا
وَأَنْشَأْتُ عِوَضاً عَنْهَا أَفْلَاكاً آخَرَ
تُمْكِّنُ الْإِنْسَانَ مِنْ نَيْلِ مَا رَبِّهِ بِرَاحَةٍ.

الصياغة الموزونة:

أَنَا لَوْ كُنْتُ كَالِإِلَهِ قَدِيرًا
لَهَدَمْتُ السَّمَاءَ زُكْنًا فَرَكْنَا
وَلَأَنْشَأْتُ مِنْ جَدِيدٍ سَمَاءً
هِيَ تُعْطِي الْإِنْسَانَ مَا يَتَمَنَّى

الترجمة الحرة:

لَمْ يَكُنْ حَاصِلُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
الَّتِي هِيَ مَثَارُ الْفِتَنِ غَيْرِ الْهَمِّ وَعَذَابِ الرُّوحِ
فَطُوبَى لِمَنْ عَجَّلَ فِي الرَّحِيلِ عَنْهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَوَّلِ.

الصياغة الموزونة:

إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ هَمٍّ وَبُؤْسٍ
لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ التَّعَاسَةِ يُوجَدُ

سَعِدَ المرءُ قَدْ تَرَحَّلَ عنها
وَاسْتَرَاخَ الَّذِي بِهَا مَا تَوَلَّدَ

- ٦٢ -

الترجمة الحرة:

أَيُّهَا الوردُ أَنْتَ تُشَبِّهُ وَجَةَ الحِسنَاءِ
وَأَيُّهَا الخمرُ أَنْتِ كِيَاقوتَةُ تُبْهِجُ النَّفْسَ
وَأَيُّهَا الحِطُّ الْمُنَاوِي أَنْتِ فِي كُلِّ الوَقْتِ
خَصِيمٌ لِي وَتَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الصَّدِيقِ.

الصياغة الموزونة:

أَيُّهَا الوردُ أَنْتَ تُشَبِّهُ حِسنَاءَ وَيَا خَمْرُ أَنْتِ كَالْيَاقوتِ
أَيُّهَا الحِطُّ أَنْتِ تَعْدُو وَتُبْدي
خَلَّةً كَالْمَنَافِقِ المَمْقُوتِ^(١)

- ٦٣ -

الترجمة الحرة:

أَيُّهَا الفَلَكُ أَنَا غَيْرُ فَرَجٍ بَدُورَانِكَ
أُطْلِقْنِي مِنَ القَيْدِ فَإِنِّي غَيْرُ جَدِيرٍ بِهِ
إِنْ كَانَتْ رَغْبَتُكَ فِي الحِمَقَى وَالذِّينَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلْفَضْلِ
فَأَنَا أَيْضاً لَسْتُ ذَلِكَ اللَّيْبِ الْأَهْلِ.

(١) الخَلَّةُ: الخصلة والطبع.

الصياغة الموزونة :

أَيْهَا الدَّهْرُ عِشْتُ فِيكَ كُئِيباً
مَنْعَ الظُّلْمِ مِنْكَ لِي أَنْ أَطِيبَا
إِنْ تَكُنْ لَا تَمِيلُ إِلَّا إِلَى الْحَقِّ فَإِنِّي كَذَاكَ لَسْتُ لَيْبَا

- ٦٤ -

الترجمة الحرة :

زعم العدو أنني فلسفي
وقد عَلِمَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ كَمَا زَعَمَ
ولكنِّي إِذْ وَجَدْتُ نَفْسِي فِي دَارِ الْمِحْنَةِ هَذِهِ
فَهَلْ أَقْلٌ مِنْ أَنْ أَعْرِفَ مَنْ أَنَا؟

الصياغة الموزونة :

زَعَمَ الْقَوْمُ إِنِّي فِلْسَفِي
طَالَ فِي اسْتِقْرَاءِ الطَّبِيعَةِ دَرْسِي
أَأَسْمَى كَمَا ادَّعَوْا فِلْسَفِيّاً
إِنْ تَفَكَّرْتُ فِي حَقِيقَةِ نَفْسِي؟^(١)

(١) يلاحظ أنه أبدل كلمة العدو، في الصياغة الحرة، بالقوم، في الصياغة الموزونة، وكان يمكنه أن ينتقي كلمة «الخصم» مثلاً لكي يستقيم الوزن الشعري، بيد أن هذه الرباعية تقترب من روح الزهاوي في أشعاره، ورميه من «القوم» ممن حوله بالكفر والزندقة في عصره، وله أبيات كثيرة تقارب هذا المعنى كقوله:
يَا قَوْمَ مَهَلًا مُسَلِّمٌ أَنَا مِثْلَكُمْ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فِي تَكْفِيرِي
أو قوله وهو لاحق لترجمته الرباعيات:
قالوا كفرت ولم أكفر كما زعموا أكل من قال حقاً بيننا كفرا

الترجمة الحرة:

مهما كَانَ لوني جميلاً
وعزفي ذكياً ووجهي كالشقيق وقوامي كالسروة
لا أعرف لماذا
زاني النقاش الأزلّي.

الصياغة الموزونة:

لي وَجْهٌ يَبْدُو جَمِيلاً كورِدِ
وقوامٌ يُبْدِي اعتدالاً كغُضَنِ
لستُ أدري وكيف أدري لماذا
هكذا قَدْ زَانِ المُصَوِّرُ حُسْنِي.

الترجمة الحرة:

ليَتْ لَنَا مَثْوًى لِلرَّاحَةِ
أَوْ لَطَرِيقَنَا البَعِيدِ نِهَآيَةً
ليَتْ لَنَا أَمَلاً فِي أَنْ نَنْبُتَ كَالْعُشْبِ
مِنْ قَلْبِ الأَرْضِ بَعْدَ مَائَةِ أَلْفِ عَامٍ!

الصياغة الموزونة:

لَيَتَّنَا فِي مَكَانِنَا نَسْتَقَرُّ
لَيَتَّنَا فِي الْمَسِيرِ نَسْتَمِرُّ

لَيْسَنَا كَالْأَعْشَابِ نَنْبُتُ أُخْرَى
بَعْدَ أَلْفٍ مِنَ السَّنِينَ تَمْرُ

- ٦٧ -

الترجمة الحرة:

إِنَّ الْأَفْلَاكَ اللَّاتِي لَا يَزِدُّنَا غَيْرَ الْهَمِّ
لَا يَضَعُنَا إِلَّا لِيُنْهِنَا مَرَّةً أُخْرَى.
وَلَوْ عَلِمَ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ
مَاذَا نُقَاسِي مِنَ الدَّهْرِ لَمَا تَجَشَّمُوا الْمَجِيءَ.

الصياغة الموزونة:

لَمْ تَضَعْنَا الْأَفْلَاكَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
نَهْتَنَا بِقَسْوَةٍ كَالْبُزَاةِ^(١)
لَوْ دَرَى مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ وَكِيداً
مَا نُقَاسِي فِي هَذِهِ، لَا يَأْتِي

- ٦٨ -

الترجمة الحرة:

قَالَ الْوَزْدُ لَا وَجْهَ أَجْمَلُ مِنْ وَجْهِ
فَلِمَاذَا يَجُورُ عَلَيَّ كُلُّ هَذَا مُسْتَطَرِي
فَأَجَابُهُ الْبَلْبُلُ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلاً:
مَنْ ذَا ضَحَكَ يَوْمًا وَلَمْ يَبْكُ عَامًا؟

(١) البزاة: جمع بازي وهو طائر صيد من الجوارح.

الصياغة الموزونة :

قالَ لي الوردُ: كنتُ شيئاً جميلاً
فاقتنوا مائي وهو ليسَ جَاما
إنني قد بسمتُ في الأرضِ يوماً
ثمَّ أنِّي بكيْتُ في الدَّارِ عاماً

- ٦٩ -

الترجمة الحرة :

وا لهفتاه فقد طوي كتاب الشباب
وتحوّل ربيع السرور إلى شتاء
ولا أدري متى جاء الطائرُ العرْدُ
الذي كانَ يُسمّى شاباً، ومتى ذهب.

الصياغة الموزونة :

لهفَ نفسي على شبابٍ تولّى
وربيع من السرورِ تَوَارَى
إنّما الطائرُ المُسمّى شاباً،
بعد ما قد أقام يهتفُ، طاراً

- ٧٠ -

الترجمة الحرة :

انظر كيف أنّ القصرَ الذي كانَ فيه «جمشيد» يُمسكُ الكأسَ
هو اليومَ مولدُ الذنابِ ومأوى الثعالبِ
وكيف أنّ «بهرام» الذي كانَ يتصيدُ الحُمُرَ الوحشيّةَ

قَدْ صَادَهُ، أَخيراً، قَبْرُ!

الصياغة الموزونة :

عِبْرَةٌ خُذْ بِقَصْرِ «جَمَشِيدَ» فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ بَعْدِ الْخَمْرِ وَالطَّاسِ قَفْرُ
وَبِ «بَهْرَامِ» الصَّائِدُ الْوَحْشَ إِذْ قَدْ
صَادَهُ، فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ، قَبْرُ

- ٧١ -

الترجمة الحرة :

لَمْ يَكُنْ حَاصِلُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدَّارِ
ذَاتِ الْبَابَيْنِ غَيْرَ الْأَلَمِ وَزُهْوِ الرُّوحِ
فَهَنِئاً لِمَنْ لَمْ يَعِشْ سَاعَةً
وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يُولَدْ مِنْ أُمَّه.

الصياغة الموزونة :

لَيْسَتْ الدُّنْيَا غَيْرَ دَارٍ شَقَاءٍ
وَأَسَى كُلِّ سَاعَةٍ يَتَجَدَّدُ
فَهَنِئاً لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَعِشْ فِيهَا وَطُوبَى لِكُلِّ مَنْ لَمْ يُولَدْ

- ٧٢ -

الترجمة الحرة :

أَتَيْنَا دَائِرَةَ الْوُجُودِ مُتَأَخِّرِينَ
وَأَنْحَطَطْنَا عَنْ دَرَجَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ
فَلَيْتَ هَذَا الْعُمْرَ الَّذِي لَا يَمُرُّ بِحَسْبِ هَوَانٍ
قَدْ انْقَضَى فَقَدْ سَيِّئْنَاؤُهُ.

الصباغة الموزونة :

قَدْ تَحَذَّنَا عِنْدَ الْمَجِيءِ الْآنَا
وَتَبَدَّلْنَا بِالْوِفَاقِ الشُّئَاتَا
لَيْتَ هَذِي الْحَيَاءُ تُؤْذُنُ فِينَا
بِانْتِهَاءٍ فَقَدْ سَأَمْنَا الْحَيَاتَا

- ٧٣ -

الترجمة الحرة :

أَيُّ نَفْعٍ مِنْ مَجِيئِنَا وَذَهَابِنَا
وَأَيُّ سَدَى لَخِيوِطِ عُفْمِرْنَا^(١)
كَمْ رُؤُوسٍ وَأَرْجُلٍ لِلْحَسَانِ تَخْتَرُقُ
وَمَا هُنَاكَ دُخَانُ.

الصباغة الموزونة :

نَآمِلُ الطَّوْلَ فِي الزَّمَانِ جِرَاصَا
أَيُّ نَفْعٍ فِي أَنْ يَطْوِلَ الزَّمَانُ
كَمْ رُؤُوسٍ وَأَرْجُلٍ لِحَسَانٍ
تَتَلَطَّطُ وَمَا هُنَاكَ دُخَانُ.

- ٧٤ -

الترجمة الحرة :

أَيُّهَا الْفَلَكُ أَنْتَ فِي كُلِّ وَقْتٍ

(١) السدى: النسيج.

تغمُّ قلبي وتمزِّقُ ثوبَ سُروري
تجعلُ الماءَ الذي يهبُّ عليَّ ناراً
والماءَ الذي أشربه، تُراباً في فمي.

الصياغة الموزونة :

أَيْهَا الدَّهْرُ قَدْ أَطَلْتَ شِقَائِي
فإِلَى كَمْ تَسُوْمُ قَلْبِي عَذَابَا
تَجْعَلُ الرِّيحَ بِي تَمْرُ شَوَاظاً^(١)
يَتَلَطَّى وَمَاءُ شُرْبِي تُرَابَا

(١) الشواظ: اللهب الذي لا دخان له.

القسم الرابع: في العظة والأخلاق

- ٧٥ -

الترجمة الحرة:

كَانَ قَبْلَكَ وَقَبْلِي لَيْلٌ وَنَهَارٌ،
وَكَانَ الْفَلَكَ يَجْرِي لَغَايَةً
خَفَّفِ الْوُطءَ عَلَى الْأَرْضِ
فَقَدْ كَانَ مَا تَطَاهُ إِنْسَانٌ عَيْنِ حَسَنَاءِ.

الصياغة الموزونة:

كَانَ لَيْلٌ مِنْ قَبْلِنَا وَنَهَارٌ
وَنَجْوَمٌ تَلَجُّ بِالْأَدْوَارِ
رُبَّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا هِيَ كَانَتْ
عَيْنَ حَسَنَاءٍ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ

- ٧٦ -

الترجمة الحرة:

ذَهَبَتْ أَيَّامُ الْعَمْرِ قَلِيلَةً كَالْمَاءِ فِي الْوَادِي
وَالرَّيْحِ فِي الصَّخْرَاءِ
أَنَا لَا أَحْفَلُ بِيَوْمَيْنِ مِنَ الْأَيَّامِ

اليوم الذي لَمْ يَأْتِ واليوم الذي مَضَى.
الصياغة الموزونة:

ذَهَبَ العَمْرُ مِثْلَ ماءِ بَوادٍ
أو كَرِيحٍ مَرَّتْ عَلَى الفَلَوَاتِ
لَمْ أَفَكِّرْ فِي كُلِّ عُمْرِي بِيَوْمَيْنِ: يَوْمٍ مَضَى وَيَوْمٍ يَأْتِي

- ٧٧ -

الترجمة الحرة:

إِذَا وَفَى الْغَرِيبُ فَهُوَ قَرِيبِي
وَإِذَا جَفَانِي الْقَرِيبُ فَهُوَ عَدُوِّي
وَإِذَا لَاءَ مَنِي السَّمُّ فَهُوَ دِرْيَاقِي^(١)
وَإِذَا خَالَفَنِي الدَّرْيَاقُ فَهُوَ سَمِّي.

الصياغة الموزونة:

إِنْ وَفَى لِي الْغَرِيبُ فَهُوَ قَرِيبِي
أَوْ جَفَانِي الصَّدِيقُ فَهُوَ عَدُوِّي

(١) الدرياق هو الترياق نفسه، كما جاء بالأصل الفارسي من الرباعية وهو: دواء السموم، فارسي معذب. والعربُ تسمي الخمر تَرِيَاقاً وَتَرِيَاقَةً، لأنها تذهب بالهَمِّ. ومنه قول الأعشى:

سَقَّ شَنِي بِضَهْبَاءِ تَرِيَاقَةٍ مَتَى مَا تُلَيِّنُ عِظَامِي ثَلِيْنُ
ورغم أن الجوهرِي يرى في «الصحاح» أن الدرياق لغة في الترياق، إلا أن الزهاوي
فَضَّلَ استخدام الدرياق، ربَّما استناداً إلى قول الأزهري في «تهذيب اللغة» إنه لا يقال
ترياق بل درياق.

رَبِّ سُمْ فِيهِ شِفَائِي وَدِرْيَاقِي أَرَى الْمَوْتَ مِنْهُ لِي فِي دُنُوِّ

- ٧٨ -

الترجمة الحرة:

الحَسَنُ أَنْ يُعَامَلَ الصَّدِيقُ وَالْعَدُوُّ بِالْحُسْنَى

وَهَلْ يَأْتِي الشَّرُّ مِنْ جُبَلٍ عَلَى الْخَيْرِ؟

أَنْتَ إِنْ أَسَأْتَ إِلَى الصَّدِيقِ جَعَلْتَهُ عَدُوًّا

وَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَى الْعَدُوِّ جَعَلْتَهُ صَدِيقًا.

الصياغة الموزونة:

عَامِلِ النَّاسَ بِالْوَلَاءِ جَمِيعًا

مَنْ يُسِيءُ فَهُوَ بِالْمَلَامِ خَلِيقٌ

فَإِذَا كَذَبْتَ فَالصَّدِيقُ عَدُوٌّ

وَإِذَا جُذِبْتَ فَالْعَدُوُّ صَدِيقٌ

- ٧٩ -

الترجمة الحرة:

أَيُّهَا الْقَلْبُ هَبْ أَنَّ جَمِيعَ أَسْبَابِ الدُّنْيَا حَصَلَتْ لَكَ.

وَإِنَّ رَوْضَةَ أَفْرَاحِكَ قَدْ أَغْشَبَتْ

وَإِنَّكَ كَالْطَّلِّ قَدْ بَتَّ لَيْلَةً

فَوْقَ الْعُشْبِ ثُمَّ فَارَقْتَهُ فِي الصَّبَاحِ.

الصياغة الموزونة :

أُيْهِمَا الْقَلْبُ هَبْ رَبِيعَكَ قَدْ زَيْنَ بَزْهَرٍ مِنْ نَرْجِسٍ وَأَفَاحِ
وَعَلَى الزَّهْرِ لَيْلَةٌ بَتَّ كَالطَّلِّ وَفَارَقْتُهُ بِوَقْتِ الصَّبَاحِ

- ٨٠ -

الترجمة الحرة :

لا تسَلْ عَنْ حَادِثِ الزَّمَانِ الْآتِي
وَعَنْ كُلِّ مَا يُصِيبُكَ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَا يَدُومُ
اغْتَنِمِ السَّاعَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
وَلَا تَفَكِّرْ فِي مَا مَضَى وَلَا تَحْفَلْ بِمَا يَأْتِي.

الصياغة الموزونة :

مَا مَضَى فَاتٌ وَالَّذِي سَوْفَ يَأْتِي
مَخْتَفٍ فِي غَيَاطِ الشُّبُهَاتِ
اغْتَنِمِ بِوَقْتِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ
نُفٍّ لَا تَحْفَلْ بِمَاضٍ وَآتٍ

- ٨١ -

الترجمة الحرة :

أُبْصِرُ عَلَى بَسَاطِ التُّرَابِ رَاقِدِينَ
وَتَحْتَهُ مُخْتَفِينَ
وَكَلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى صَحْرَاءِ الْعَدَمِ
أُبْصَرْتُ قَادِمِينَ وَذَاهِبِينَ.

الصياغة الموزونة:

أَنَا فَوْقَ النَّارِ أَرَى رَاقِدِينَ
وَأَرَى تَحْتَ وَجْهِهَا مُخْتَفِينَ
وَالِىَ اللَّاحِظِ أَرْسَلُ طَرْفِي
فَأَرَى الْقَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ

- ٨٢ -

الترجمة الحرة:

لَا تَحْمِلْ فِي قَلْبِكَ هَمَّ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ
وَطَبِّ نَفْسًا بِسَاعَةٍ لَكَ تُقْضِيهَا فِي الشُّرُورِ
لَوْ كَانَ فِي طَبِيعَةِ الدُّنْيَا وِفَاءٌ
لَمَا انْتَقَلْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْآخِرِينَ!

الصياغة الموزونة:

هِيَ دُنْيَا مَا إِنَّ لَهَا مِنْ ثَبَاتٍ
فَتَمْتَنِعْ بِالرَّاحِ بَيْنَ يَدَيْكَ
إِنَّهَا لَوْ وَفَتْ لَمَا انْتَقَلْتَ قَطُّ مِنَ الْآخِرِينَ يَوْمًا إِلَيْكَ

- ٨٣ -

الترجمة الحرة:

أَلَا تَخْجَلُ مِنْ هَذَا الطَّيِّبِ
وَعَبِيكَ بِالْأَمْرِ وَالتَّوَاهِي؟
هَبْ أَنَّ الدُّنْيَا صَارَتْ بِأَسْرِهَا لَكَ
أَنْتَ طَيِّعٌ فِي آخِرِ الْأَمْرِ غَيْرَ تَرْكِيهَا لِلْآخِرِينَ؟

الصياغة الموزونة :

أَنْتَ فِي الْوَاجِبَاتِ قَصَّرْتَ عُمْراً
أَفَلَا تَسْتَحْيِي مِنَ التَّقْصِيرِ
هَبْ جَمِيعَ الدُّنْيَا أَتَتْ لَكَ مِلْكَاً
أَتَرَى غَيْرَ تَزْكِيهَا فِي الْآخِرِ

- ٨٤ -

الترجمة الحرة :

هَبْ أَنَّ الدُّنْيَا جَرَتْ كَمَا تَرِيدُ فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟
وَلِإِنَّ صَحِيفَةَ عُمْرِكَ قَدْ قُرِئَتْ فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟
وَلِإِنَّكَ عِشْتَ مِائَةَ عَامٍ سَعِيداً
فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ....؟

الصياغة الموزونة :

هَبْ جَمِيعَ الدُّنْيَا أَتَتْ لَكَ عَفْواً
وَأَفَادَتْ وَإِنَّ نَجْمَكَ سَعَدُ
وافتراض أن قَدْ عِشْتَ مِائَةَ عَامٍ
وَبَلَّغْتَ الْمُنَى فَمَاذَا بَعْدُ؟

- ٨٥ -

الترجمة الحرة :

كَانَتْ كُلُّ ذَرَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ فِي حِينِهَا
جِزْءاً مِنْ وَجْهِ فِتَاةٍ جَمِيلَةٍ كَالزَّهْرَةِ
انْقُضَ بِرَفْقِ الْغَبَارِ عَنْ وَجْهِ الْحَسَنَاءِ

فَإِنَّهُ كَانَ وَجْهَ حَسَنَاءٍ أُخْرَى.

الصياغة الموزونة :

يَا يَدَ الْمَاشِطَاتِ حَسَنَاءَ رُوداً
مُشَبَّهاً وَجْهَهَا مِنَ الْحَسَنِ زَهْراً
الْغِبَارَ انْفُضِيهِ عَنْهُ بِرَفْقٍ
فَلَقَدْ كَانَ وَجْهَ حَسَنَاءٍ أُخْرَى

- ٨٦ -

الترجمة الحرة :

انظر كيف تمزقت أذيال الورد بهبوب الصبا
وكيف يطرب البلبل بجماله
إجلس في ظل الورد
فكثيراً ما خرج هذا الورد من التراب وعاد إليه.

الصياغة الموزونة :

إِنَّ هَذَا الْوَرْدَ الَّذِي قَدْ تَفِيَّاتٌ وَقَدْ جَاءَ بِالْأَرِيحِ يَجُودُ
قَدْ بَدَأَ مِنْ هَذَا التُّرَابِ كَثِيراً
وكثيراً إلى التراب يعود.

- ٨٧ -

الترجمة الحرة :

العُتَقَاءُ وَالْجُدُّ
كُلُّهُمْ بَعْدَ أَنْ جَاءُوا، يَذْهَبُونَ وَاحِداً وَاحِداً
لا تبقى هذه الدنيا القديمة دائمة لأحد.

ذَهَبُوا وَسِيْذْهَبُوْنَ ثُمَّ يَأْتُوْنَ وَيَذْهَبُوْنَ.

الصياغة الموزونة :

إِنَّمَا النَّاسُ أَجْمَعِينَ كَمَا قَدْ
هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَهُمْ يَهْلِكُونَ
أَمُّ قَدْ أَتَتْ فَمَا كَانَ لَبِثُ
ثُمَّ يَأْتُونَ ثُمَّ لَا يَلْبَثُونَ

- ٨٨ -

الترجمة الحرة :

إلى كم أنت تصبو إلى اللونِ والرائحة؟
وتركضُ وراء كل رديءٍ وجيدٍ
ستغورُ في باطن الأرضِ
حتى لو كنت ماء زَمْزِمٍ أو ماء الحياة.

الصياغة الموزونة :

كم إلى اللونِ والروائحِ تصبو
وترومُ الأخبأ والطَّيباتِ
أنت يوماً تغورُ مُختفياً في الأرضِ حتى إن كُنت ماء الحياةِ

- ٨٩ -

الترجمة الحرة :

أيُّها القلبُ قَدْ غَمَّكَ الدَّهْرُ وسيفارقُ جسدك الروحُ.
فالأولى أن تجلسَ فوق العشبِ،
وتعيشَ رَغداً عليه بضعةَ أيَّامٍ

قَبْلَ أَنْ يَنْبَتَ الْعُشْبُ مِنْ تُرَابِكَ.

الصياغة الموزونة :

أَيُّهَا الْقَلْبُ مَضَّكَ الدَّهْرُ غَمًّا
أَنْتَ فِي يَوْمٍ مَيِّتٍ فِي عَذَابِكَ
اتَّخِذْ مَقْعِدًا مِنَ الْعُشْبِ وَانْعَمْ
قَبْلَمَا يَنْمُو نَائِبَتًا مِنْ تَرَابِكَ.

- ٩٠ -

الترجمة الحرة :

سواءً فِي نَظَرِ الْمُحَقِّقِينَ : الْجَمِيلُ وَالْقَبِيحُ.
وَنَظَرِ الْعَارِفِينَ : الْجَنَّةُ وَالنَّارُ
وَنَظَرِ الَّذِينَ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ : الْقَشِيبُ مِنَ الثِّيَابِ وَالرُّثْ
وَنَظَرِ الْعَاشِقِينَ : الْوَسَادَةُ تَحْتَ رُؤُوسِهِمْ وَالْحَجَرُ.

الصياغة الموزونة :

فِي عُيُونِ الْمُحَقِّقِينَ سَوَاءً
أَجْنَانٌ مَكَائُهُمْ أَمْ جَحِيمٌ.
حَسَنٌ يَشْمَعُونَهُ أَوْ قَبِيحٌ
وَجَمِيلٌ يَرَوْنَهُ أَوْ دَمِيمٌ.

- ٩١ -

الترجمة الحرة :

لَا تَبْضُرَنَّ بِإِنْسَانٍ مَا اسْتَطَعْتَ
وَلَا تُجْلِسَنَّ أَحَدًا عَلَى نَارِ غَضَبِكَ.

وإذا أردتَ سلاماً دائماً
فاقبلِ أذىَ نفسك ولا تؤذِ أحداً.

الصياغة الموزونة :

إنَّ تحاولَ أن تستريحَ فجامل
كُلَّ من جاملَ المخاصمَ بهذا^(١)
سالمِ النَّاسِ أن أردتَ سلاماً
إنَّ من يؤذي غيره يتأذى.

- ٩٢ -

الترجمة الحرة :

ليس من الموجود في اليدين شيء
ولا في المعدوم نقصٌ وصدعٌ
فلك أن تفرضَ كُلَّ موجودٍ في العالمِ معدوماً
وكُلَّ معدومٍ موجوداً.

الصياغة الموزونة :

افرضِ الشيءَ الذي هو موجودٌ ولمَّا تفزُ به مَفقوداً
واحسبَنَّ الشيءَ الذي هو مفقودٌ، وقد رُمَتْ نَيْلُهُ، مَوجوداً

- ٩٣ -

الترجمة الحرة :

أتدري لماذا ينوحُ الديكُ كُلَّ صباحٍ؟

(١) بهذا: سبق وغلب.

إِنَّهُ يَقُولُ :

قَدْ مَضَتْ لَيْلَةٌ مِنْ عُمرِكَ

وَأَنْتَ لَا تَدْرِي .

الصياغة الموزونة :

إِنَّمَا الدَّيْكَ قَائِلٌ بِصِيَاخٍ

مِنْهُ شَبُهُ النَّحِيبِ قَبْلَ النَّهَارِ

قَدْ مَضَتْ لَيْلَةٌ مِنَ الْعُمْرِ أُخْرَى

فِي غُضُونِ الْكَرَى وَمَا أَنْتَ دَارِي

- ٩٤ -

الترجمة الحرة :

إِنَّ كُلَّ شَقِيقَةٍ فِي الصَّحَرَاءِ

هِيَ دَمٌ أَحَدِ الْمُلُوكِ

وَكُلُّ بِنَفْسِجَةٍ تَنْبُثُ فِي الرِّيَاضِ

قَدْ كَانَتْ خَالًا فِي وَجَنَةِ إِحْدَى الْحَسَانِ .

الصياغة الموزونة :

كَانَ هَذَا الشَّقِيقُ مِنْ قَبْلِ حِينِ

دَمِ مَلِكَ فِي الْأَرْضِ ذِي سُلْطَانِ

وَكَذَا كَانَتْ الْبِنَفْسِجَةُ الزَّرْقَاءُ خَالًا بِوَجْهِ إِحْدَى الْحَسَانِ

- ٩٥ -

الترجمة الحرة :

كُنْ جِمَارًا مَعَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ لَجْهْلِهِمْ

أَنَّهُمْ فَرِيدُو ذَهْرِهِمْ فِي الْمَعْرِفَةِ
فَإِنَّهُمْ يَرْمُونَ بِالْكَفْرِ
كُلَّ مَنْ لَا يَكُونُ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ حِمَارًا.

الصياغة الموزونة :

كُنْ حِمَارًا مَعَ الْأَلَى زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ فِي كُلِّ الْعُلُومِ اقْتِدَارًا
مِنْ حَمِيرٍ يَكْفُرُونَ بِجَهْلٍ
كُلَّ إِنْسَانٍ لَا يَكُونُ حِمَارًا!

- ٩٦ -

الترجمة الحرة :

قَسَمَ الْخَالِقُ بِالْعَدْلِ الرُّزْقَ
فَلَا يَزِيدُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَلَا يَنْقُصُ
فَيَجِبُ أَنْ تَسْتَرِيحَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ مَعْدُومٌ
وَتَتَحَرَّرَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ.

الصياغة الموزونة :

إِنَّمَا الرُّزْقُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ مَهْمَا ذَمَّمْتُهُ أَوْ حِدَّدْتَا
اسْتَرَحْ مِنْ جَمِيعِ مَا لَمْ تَجِدْهُ
وَتَحَرَّرْ مِنْ كُلِّ مَا قَبْدٌ وَجَدْتَا

- ٩٧ -

الترجمة الحرة :

إِذَا ذَهَبَ مِنْ بَجْسَدِينَا رُوحِي وَرُوحُكَ
يُضَعُونَ آجَرَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً عَلَى قَبْرِينَا

ثُمَّ يَصُبُّونَ تَرَابَنَا فِي قَالِبٍ
لِيَصْنَعُوا مِنْهُ أَجْزَاءَ لِقُبُورِ الْآخَرِينَ!

الصياغة الموزونة:

إِنْ هَلَكْنَا حَثُّوا عَلَى الْوَجْهِ مَنَا
مَنْ ثَرَى كَانَتْ مِثْلَنَا إِنْسَانَا
ثُمَّ يَحْثُونَ بَعْدَمَا نَحْنُ نَبْلَى
مَنْ ثَرَانَا عَلَى وَجْهِهِ سِوَانَا

القسم الخامس: في الحكمة والشك

- ٩٨ -

الترجمة الحرة:

لا تعزوني إلى الفلک
الخير والشر اللذين هما من غريزة البشر
والفرح والغم اللذين هما من القضاء والقدر
فإنه أعجز منك ألف مرّة.

الصياغة الموزونة:

أنا الهمة والسرور وهذا الخير كل ذلك موعز
لا تجلها إلى السماء بجهل
إنها ألف مرّة منك أعجز.

- ٩٩ -

الترجمة الحرة:

لو عرف المرء سر الحياة كما هي
لعرف بعد الموت كذلك أسرار اللاهوت
أنت اليوم مع نفسك ولا تعرف شيئاً
فكيف تعرف إذا فقدت نفسك في غد؟

الصياغة الموزونة :

أَنْتَ لَوْ كُنْتَ فِي الْحَيَاةِ خَبِيرًا
لَعَرَفْتَ الَّذِي لَدَى الْمَوْتِ يَجْرِي
أَنْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ حَيٌّ وَلَا تَدْرِي فَتِيلاً فَكَيْفَ إِذَا مِتَّ تَدْرِي^(١)

- ١٠٠ -

الترجمة الحرة :

إِنَّ الَّذِينَ أَحَاطُوا بِالْعِلْمِ وَالْآدَابِ
فَكَانُوا سُرْجاً مُنِيرَةً لِلْأَصْحَابِ
مَا وَجَدُوا طَرِيقاً لِلخُرُوجِ مِنْ هَذَا اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
وَفِي النِّهَايَةِ قَضَوْا قَضَةً وَنَامُوا.

الصياغة الموزونة :

إِنَّ أَهْلَ الْعُلُومِ قَدْ قَدَحُوا بِالْفِكْرِ زَنْدًا فَلَمْ يَخَفِ الظُّلَامُ
لَمْ يَرَوْا مَخْرَجاً مِنَ اللَّيْلِ يُنْجِي
وَلَقَدْ قَضَوْا قَضَةً ثُمَّ نَامُوا

- ١٠١ -

الترجمة الحرة :

إِنَّ الْعَقْلَ الَّذِي يَسِيرُ فِي طَرِيقِ السَّعَادَةِ
يَقُولُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ اغْتَنِمْ وَقْتُكَ هَذَا

(١) الفتيل: الشئ الصغير كخيوط في النواة، ويستعار للدلالة على القلة، وفي سورة
الإسراء ٧١: «وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً»

فَأَنْتَ لَسْتَ ذَلِكَ الْكَرَّاثُ الَّذِي
إِنْ حَصَّدُوهُ نَبَتْ مَرَّةً أُخْرَى!

الصياغة الموزونة :

اَعْتَنِمِ فُرْصَةَ الْحَيَاةِ وَخُذْ بِاللَّهِوِ وَأَنْعَمِ فَالْعَمْرُ إِنْ مَرَّ، مَرًّا
لَسْتُ ذَاكَ الَّذِي إِذَا حَصَّدُوهُ
مَرَّةً كَالْكَرَّاثِ يَنْبْتُ أُخْرَى

- ١٠٢ -

الترجمة الحرة :

كَمْ لَعَبُوا بِالثَّرَابِ
حَتَّى صَوَّرُوا مِنْهُ صُورَتِي
أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَكُونَ خَيْرًا مِنِّْي
فَأَنْتُمْ هَكَذَا مِنَ الْكُورِ أَفْرَغُونِي

الصياغة الموزونة :

لَعَبُوا بِالثَّرَابِ ذَهْرًا إِلَى أَنْ
جَبَلُوا مِنْهُ فِي النَّهَايَةِ طِينِي
أَنَا مَا إِنْ أَكُونَ أَحْسَنَ مِنِّْي
فَمِنِ الْكُورِ هَكَذَا أَفْرَغُونِي^(١)

(١) الكور: القرن الذي تصهر فيه المعادن.

الترجمة الحرة:

هُنَاكَ قَوْمٌ مُتَفَكِّرُونَ فِي الْمَذَاهِبِ وَالْأُذْيَانِ
وَجَمَاعَةٌ مُتَحَيِّرُونَ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ
وَإِذَا بِمُنَادٍ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكْمَنِهِ قَائِلًا:
أَيُّهَا الضَّالُّونَ لَيْسَ الطَّرِيقُ ذَاكَ وَلَا هَذَا!

الصياغة الموزونة:

فِئَةٌ فِي الْيَقِينِ وَالشَّكِّ هَامُوا
وَفَرِيقٌ بِالذِّينِ زَامُوا لَوْ إِذَا
وَإِذَا صَائِحٌ يَقُولُ مُشِيرًا:
لَيْسَ ذَاكُمْ هُوَ الطَّرِيقُ وَلَا ذَا

الترجمة الحرة:

لَا أَنْتَ تَعْرِفُ أَسْرَارَ الْأَزَلِ وَلَا أَنَا
لَا أَنْتَ تَقْرَأُ هَذَا اللَّغْزَ وَلَا أَنَا
إِنَّ وَرَاءَ السَّتَارِ لَحَدِيثًا عَنِّي وَعَنْكَ
فَإِذَا ازْتَفَعَ السَّتَارُ فَلَا أَنْتَ تَبْقَى وَلَا أَنَا.

الصياغة الموزونة:

إِنَّ خَلْفَ السَّتَارِ عَنْكَ وَعَنِّي
لَحَدِيثًا عَلَى الْمَسَامَعِ يُلْقَى

فإذا ما انطوى السَّتارُ فلا أنْتَ عليه تَبْقَى ولا أنا أَبْقَى

- ١٠٥ -

الترجمة الحرة:

نحنُ الذينَ يشترُونَ كلتا الخمرتينِ الْمُعْتَقَّةَ والجديدةَ

ثمَّ يبيعُونَ الجَنَّةَ بِشَعِيرَتَيْنِ

تقولُ: إلى أينَ أذهبُ بعدَ الموتِ؟

هاتِ لي خمرَةً واذهبِ إلى حيثُ تَشَاء.

الصياغة الموزونة:

أنا لا اشتري الجنانَ بِفِلْسٍ

وتبيعُ الدُّنيا بأُخْرَاكَ أَنتَا

قلتُ: مِنْ بعدِ الموتِ أينَ ذهابي؟

هاتِ خمرًا واذهبِ إلى حيثُ شِئْنَا.

- ١٠٦ -

الترجمة الحرة:

لا بَدَاءَةً ولا نِهَايةً للدَّائِرَةِ

التي جِئنا مِنْها وَالَّتِي نَذْهَبُ إِلَيْها

ولم تسمعِ أَذْنايَ مِنْ أَحَدٍ يقولُ:

من أينَ جِئنا وَإِلَى أينَ نحنُ ذاهبونَ؟

الصياغة الموزونة:

ما لِهَذَا الوجودِ مِنْ أولٍ أوِ

أخِرٍ فافتكِرْ بِهِ وتَعَجَّبْ

لَيْتَنِي عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ جِئْنَا
وَالِىَ أَيْنَ، بَعْدَ حِينٍ، سَنَذْهَبُ

- ١٠٧ -

الترجمة الحرة:

لا يعرفُ بآلةِ العقلِ
ومقياسِ القياسِ
مبدأَ حركةِ هذا الفلكِ المذهبِ
ومُنْتَهى خرابِ هذا البناءِ الجيدِ الأساسِ.

الصياغة الموزونة:

ليسَ تدري العقولُ مبدأَ هذا الكونِ والمُنْتَهى فِيا للعقولِ
من سماءٍ فيها نجومٌ وأرضٍ
جمعَتْ بينَ تافهِ وجليلِ

- ١٠٨ -

الترجمة الحرة:

أَنَّ تلكَ النجومَ اللائي يتكوَّرنَ في الأفلاكِ فيزيِّنُ الدهرَ
يأتينَ ويذهبنَ ثمَّ يأتينَ معَ الزَّمانِ
وفي ذيلِ السَّماءِ وجيبِ الأرضِ
خَلَقَ يُولدونَ ما لم يَمِتِ اللهُ!

الصياغة الموزونة:

أُمُّ قَدْ بَادَتْ وَعَادَتْ وَبَادَتْ
ثُمَّ عَادَتْ لَا تَسْأَلُ التُّكَرَّارَا

إِنَّ خَلْقَ يَحْيُونَ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
يَمِيتِ اللَّهُ يُولَدُونَ مِرَارًا.

- ١٠٩ -

الترجمة الحرة:

إِنَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فَهَمَّ الْمَعَانِي
تَكَلَّمُوا كَثِيرًا فِي ذَاتِ اللَّهِ
وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ السِّرَّ
إِنَّمَا هَذَرُوا أَوَّلًا وَنَامُوا أَخِيرًا..

الصياغة الموزونة:

قَالَ أَهْلُ الْحَجَى بِرَبِّ قَدِيرٍ
وَأَطَالُوا فِي ذَاتِهِ التَّفَكِيرَا
ثُمَّ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ بَلْ
هَذَرُوا أَوَّلًا وَنَامُوا أَخِيرًا

- ١١٠ -

الترجمة الحرة:

يَقُولُونَ: هُنَاكَ جَنَّةٌ وَحُورٌ عَيْنٍ
وَخَمْرٌ وَلَبَنٌ وَعَسَلٌ
وَإِذَا حَقَّ ذَلِكَ فَلَا تَثْرِبَ عَلَيْنَا
مِنْ عِبَادَةِ الْخَمْرِ وَالْمَعْشُوقَةِ.

الصياغة الموزونة:

إِنَّهُمْ قَدْ قَالُوا هُنَاكَ جَنَّاتٌ
لَكَ فِيهَا خَمْرٌ وَحُورٌ عَيْنُ
فَاتَّخِذْ فِي دُنْيَاكَ خَمْرًا وَحُورًا
مِثْلَمَا فِي أُخْرَاكَ سَوْفَ يَكُونُ!

- ١١١ -

الترجمة الحرة:

أَمَرَ أَنْ أَفَرَّ مِمَّا لَا مَحِيصَ لِي مِنْهُ
وَقَدْ بَقِيَْتُ عَاجِزًا بَيْنَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ
فَهُوَ كَمَنْ يَقُولُ:
أَقْلِبِ الْكَأْسَ وَلَا تُرْقِ مَا فِيهِ!

الصياغة الموزونة:

أَمَرَ النَّاسَ بِاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي
وَهُنُو فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُغْرِيهَا
إِنَّ هَذَا كَمَنْ يَقُولُ: اقْلِبِ الْكَأْسَ بِأَمْرِي وَلَا تُرْقِ مَا فِيهَا.

- ١١٢ -

الترجمة الحرة:

كَنْتُ تَسْأَلُ: مَا نَقَشُ الْمَجَازِ هَذَا؟
وَإِذَا قُلْتُ الْحَقِيقَةَ فَالْشَّرْحُ يَطُولُ
إِنَّمَا هُوَ فِقَاعَةٌ ظَهَرَتْ
فِي وَجْهِهِ بَحْرِ خَضَمٍ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَيْهِ.

الصياغة الموزونة :

إِنَّ ذَاكَ النَّقْشَ الَّذِي وَقَعْتَ عَيْنُكَ يَوْمًا بَيْنَ النُّقُوشِ عَلَيْهِ
لَيْسَ إِلَّا فِقَاعَةٌ ظَهَرَتْ فِي
وَجْهِهِ بِحَرِّ طَمَأْ وَأَلَتْ إِلَيْهِ

القسم السادس: في العشق

- ١١٣ -

الترجمة الحرة:

الشعرُ عنوانُ دفترِ المعاني
وبيتُ قصيدةِ الشباب
أيُّها الجاهلُ للعشقي
أعلمُ بأنَّ الحياةَ هي العشق.
الصياغة الموزونة:

إنَّما العشقُ في الشبابِ جلاء
لحياةِ الفتیانِ والفتياتِ
أيُّها الغافلُ البعيدُ عن العشقِ تعشَّقْ فالعشقُ كلُّ الحياةِ

- ١١٤ -

الترجمة الحرة:

في شَيْبِي أَخَذَنِي عِشْقُكَ فِي شَرْكِهِ
وإلا ما مَدَدْتُ يَدِي إِلَى كَأْسِ الْحَمِيَّةِ
إنَّ التَّوْبَةَ الَّتِي وَهَبَنِي إِثَّاها الْعَقْلُ سَلَبَهَا الْحَبِيبُ
وذلك الثوبُ الذي خَاطَهُ الصَّبْرُ مَرْقَتَهُ الْأَيَّامِ.

الصباغة الموزونة :

إنَّما التوبةُ التي جاءَ عقلي
سَلَبَتْها حبيبتي بالتمامِ
والقميصُ الذي له خاطُ صبري
مَرَّقَتْهُ حوادثُ الأيامِ

- ١١٥ -

الترجمة الحرة :

أريدُ أنْ أفضيَ إليكِ بِخَبَرٍ
واختصرَ القولَ في كِلِمَتَيْنِ :
سأدخلُ الترابَ معِ عِشْقِكَ
وأخرجُ منه مَعَهُ !

الصباغة الموزونة :

إنَّني الطَّائرُ الذي كلَّ يومٍ
بِهوى من أحبَّ قلبي أشدو
فَمَعَ العِشْقِ في الترابِ سأُخْفِي
وَمَعَ العِشْقِ مِنْهُ أَظْهَرُ بَعْدُ

القسم السابع: في ما خاطب به الله

- ١١٦ -

الترجمة الحرة:

أنا في حربٍ دائمةٍ مع نفسي أناَلُم من أعمالي
هَبِكَ عَفْوَتٍ عَنِّي بِكَرَمِكَ وَلَكِنْ
مَاذَا أَفْعَلُ بِخَجَلِي
مِنْ أَنَّكَ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ آتِيَهُ!

الصياغة الموزونة:

أنا في حربٍ مُرَّةٍ مع نفسي
أنا مِمَّا قَدَّمْتُهُ نَدْمَانُ
هَبِكَ يَوْمًا عَفْوَتٍ عَنِّي وَلَكِنْ
أنا، مِمَّا أَتَيْتُهُ، خَجَلَانُ

- ١١٧ -

الترجمة الحرة:

قُلْتُ: إِنِّي سَوْفَ أَعَذِّبُكَ
فَمَا زَادَنِي قَوْلُكَ هَذَا خَشْيَةً
فَإِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ لَا يَكُونُ فِيهِ عَذَابٌ.

وَأَيْنَ الْمَكَانُ الَّذِي أَنْتَ لَسْتَ فِيهِ؟

الصياغة الموزونة :

قُلْتُ : إِنِّي مَعَذَّبٌ لَكَ فَارْهَبْ
لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ الْعَذَابُ يَكُونُ؟
مِنْكَ لَا يَخْلُو فِي الْوُجُودِ مَكَانٌ
وَأَنَا حَيْثُمَا تَكُونُ مَصُونٌ

- ١١٨ -

الترجمة الحرة :

أنا عبدك العاصي فأين رضاؤك؟
أنا المظلم قلبه فأين نورك وصفائك
إن كنت تهبنا الجنة بالطاعة لك
كان ذلك بيعاً فأين فضلك وعطاؤك؟

الصياغة الموزونة :

أنا عاصٍ فأين منك الرضاء؟
أنا داج فأين منك الضياء؟
أنما وقفه الجنان على الطاعة بيع فأين منك العطاء؟

- ١١٩ -

الترجمة الحرة :

أنت جبَلْتَنِي من ماءٍ وطين فأنا ماذا أفعل؟
وأنت غَزَلْتَ صُوفَتِي فأنا ماذا أفعل ؟
أنت كتبت علينا كلَّ ما يظهر من

من خيرٍ وشرٍّ فأنا ماذا أفعل ؟

الصياغة الموزونة :

أنتَ مَنْ أنشأتنا وشئتَ لنا عصيانَ ما أمرتَنا فَعَصَيْنَا
كلُّ ما نأْتِيهِ من الخيرِ والشرِّ فأنتَ الذي كتبتَ عَلَيْنَا

- ١٢٠ -

الترجمة الحرة :

قلْ لي : مَنْ ذا الذي لَمْ يُذنبْ في دُنْيَاهُ ؟
أو مَنْ ذا أَسْتَطَاعَ أَنْ يَعِيشَ من غيرِ ذَنْبٍ يَأْتِيهِ ؟
إذا كنتَ تُحزِنِي على سَيِّئِي بِسَيِّئَةٍ
فما هو الفرقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؟

الصياغة الموزونة :

أَيُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَجِئْ قَطَّ ذَنْباً
كَيْفَ عَاشَ الَّذِي رَكَا وَتَوَقَّى
إِنْ تَكَافَى سُوءِي بِسُوءٍ فَقُلْ لِي
أَيُّ فَرْقٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَبْقَى ؟

- ١٢١ -

الترجمة الحرة :

تَضَعُ الْأَشْرَاكُ فِي أَلْفِ مَكَانٍ مِنْ طَرِيقِي
وَتَقُولُ : إِذَا وَطَّئْتُهَا فَإِنِّي مُهْلِكُكَ
لَا تَخْلُو ذَرَّةً فِي الْعَالَمِ مِنْ جَبَرُوتِكَ
أَنْتَ تُجْبِرُنِي وَأَنْتَ تَسْمِيَنِي بِالْعَاصِي !

الصياغة الموزونة :

في طريقي وضعت ألفاً من الأشرارِ حتَّى استحال منها مناصي
إنَّ عصياني كان مِنْكَ بِجَبْرِ فلماذا سَمَّيْتَنِي بالعاصي؟

- ١٢٢ -

الترجمة الحرة :

ليس لِكُنْهِ عَقْلِي قابليَّةُ إثباتِكَ
فلا أفتكرُ إلا في مُناجاتِكَ
أنا لا أعرفُ ذاتَكَ كما هي
إنَّما ذاتَكَ تعرفُ ذاتَكَ.

الصياغة الموزونة :

إنَّ عَقْلِي لا يستطيعُ وإنَّ حاولَ عُمرًا في نَفْسِهِ إثباتَكَ
أنا مالي بِكُنْهِ ذاتِكَ عِلْمُ
إنَّما الذاتُ مِنْكَ تَعْرِفُ ذاتَكَ

- ١٢٣ -

الترجمة الحرة :

إنِّي وإنَّ لَمْ أُوذَّ حتَّى طاعتكَ
ولم أنفضُ من وجهي غبارَ الخطيئةِ
لستُ باليائسِ مِنْ كرمِكَ
لأنِّي لَمْ أَقُلْ للواحدِ اثنين.

الصباغة الموزونة :

أنا يا ربِّي الرَّحِيمِ وإنْ كُنْتُ لِجَهْلِي مُقَدِّمًا كُلَّ شَيْءٍ
لَيْسَ بِي يَأْسٌ مِنْكَ إِذْ لَمْ أَقُلْ لِلوَاحِدِ الْفَرْدِ فِي حَيَاتِي أَثْنِينَ

- ١٢٤ -

الترجمة الحرة :

ارحَمْ صَدْرِي المفعَمَ آلاماً
وقلبي الموثقَ بالهمومِ
ورجلي الماشيةَ إلى الحاناتِ
ويدي الماسكةَ للكؤوسِ!

الصباغة الموزونة :

أَيُّهَا الرَّبُّ أَتَمُّ أَنَا فَارْحَمِ
لِي قَلْباً مِنْ خَفَقِهِ مَا اسْتَرَاخَا
ثُمَّ رَجَلاً كَانَتْ عَلَى الْحَاكِ تَمْشِي
وَيْدَا كَانَتْ تُمَسِّكُ الْأَقْدَاحَا

- ١٢٥ -

الترجمة الحرة :

ذَابَتْ الْأَرْوَاحُ وَدَمِيَّتِ الْقُلُوبُ لِمَعْرِفَةِ مَا هُوَ وَرَاءَ السَّتَارِ
يَا مَنْ جَنَّبَ عِلْمَهُ، الْعَقْلَ طَائِشٌ وَالسَّمَاءَ وَطَيْئَةً
قَدْ امْتَلَأَ بِكَ الْعَالَمَانِ
وَأَنْتَ خَارِجٌ مِنْهُمَا!

الصياغة الموزونة :

رَجَعَ الْعَقْلُ الْقَهْقَرَى عَنْكَ إِعْيَاءً وَقَدْ سَارَ فِي جَمِيعِ الْمَنَاهِجِ
إِنَّمَا هَذِهِ الْعَوَالِمُ طَرًّا
مِنْكَ مَلَأَى وَأَنْتَ مِنْهُمْ خَارِجٌ

- ١٢٦ -

الترجمة الحرة :

أنا ذاك الذي ظهرت بقدرتك
وربيت بدلالٍ في نعمتك
سوف أكثر من الذنوب مائة عام
لأعلم أيهما أعظم : خطايا أم رحمتك؟

الصياغة الموزونة :

بِكَ قَدْ نَلْتُ يَا إِلَهِي وَجُودِي
وَأَنَا الْيَوْمَ فِي نَعِيمِكَ أَرْتَغِ
سَأَزِيدَنَّ مِنْ ذُنُوبِي لِأَذْرِ
أَذُنُوبِي أَمْ عَفْوُكَ الْجَمُّ أَوْسَعُ؟

القسم الثامن: في مطالب شتى

- ١٢٧ -

الترجمة الحرة:

لا تظنُّنِّي إنني أخافُ الناسَ
أو أخشى المنيَّةَ أو زهوقَ الرُّوحِ
الموتُ حقيقةٌ لا أخشاها
ولكنني أخشى كوني لم أحسن العيشَ.

الصياغة الموزونة:

لا تظنُّنِّي بي المخافةَ من أنْ
يَذْهَبَ الموتُ نازلاً بي ويغشى
أنا لا أخشى الموتَ فالموتُ حقٌّ
غيرَ أنَّني من سوءِ عيشي أخشى

- ١٢٨ -

الترجمة الحرة:

قالَ شيخٌ لمُومِسٍ: أنتِ سكرى
وكلَّ ساعةٍ مربوطةٌ بخليلٍ
فأجابَتْ: أنا أيُّها الشيخُ كما تقولُ

فهل أنت كما تظهر للناس؟

الصياغة الموزونة :

قال شيخ لمومس : أنت سكرى

كل يوم مربوطة بخدين^(١)

فأجابت : إني كذاك فهل أنت كما أنت ظاهر للعيون

- ١٢٩ -

الترجمة الحرة :

إن هذه السماء كطاسة مقلوبة

فيها الأذكىاء أذلاء

أنظروا إلى الصداقة بين الإبريق والكأس

الشفاء فوق الشفاء، وبينهما الدّم!^(٢)

(١) يبدو لي أن كلمة «الخدين» في الصياغة الموزونة ليست مناسبة لتتوب عن كلمة «الخليل» كما جاءت في الترجمة الحرة، فالتخذن في المعاجم: الصديق، وهو صاحب المحدث وخذن المرأة: مُحَدِّثُهَا، وكان العرب في الجاهلية يبيحون للرجل ان يتحدث مع المرأة، فجاء الإسلام فمنعه: سورة النساء آية ٢٥ «مُحْصَنَاتٌ غَيْرُ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» أي يتخذن أصدقاء يتحدثن إليهن، وجاء المفسرون ليذهبوا أبعد فجمعوا من الخدين بمثابة الخليل، لتحريم محادثة الرجل للمرأة. ولهذا فقد وقع الزهاوي تحت تأثير المستوى التفسيري الأخلاقي الإسلامي في اختيار مفردة خدين، وليس في دلالتها اللغوية الأصلية، لتبدو وكأنها مضارعة لمفردة الخليل أو العشي، كما ورد في الرباعية.

(٢) هذه الترجمة تتطابق حرفياً مع ترجمة الصراف في الطبعة الأولى من الترجمة.

الصياغة الموزونة:

أنظروا في صَدَاقَةِ الكَأْسِ والإِبْرِيْقِ مرفوعتين فوق اليدينِ
فشفاءٌ على شفاهِ تلاقى
ودمٌ قانىٌّ من الجانبينِ!

- ١٣٠ -

الترجمة الحرة:

إن الفلَّكَ خبرٌ من عمرنا المتهدِّمِ
و«جيحون»^(١) أثَّرَ من عَيْنِنَا المغرورة
والجحيمُ شرارةٌ من نارِ تَعَبِنَا
والفردوس لحظةٌ من أوقات راحتنا.

الصياغة الموزونة:

الجحيمُ التي بها أوعدونا
ليس إلا أتعبائنا ألوانا
والنعيمُ الذي لنا وصفوه
ليس إلا ارتياحنا أحيانا

(١) جيحون: نهر وراء خراسان عند «بلخ» بأفغانستان الحالية، وفي التراث اللاهوتي أن موقع جنة عدن عند حدود أربعة أنهار هي فيشون وجيحون وحدافل «دجلة» والفرات، وأرجح هذا التأويل الأخير، بدلالة أن الرباعية جعلت «الجحيم» في الشطر الثاني طرفاً آخر في الطباق البلاغي. وكذلك الفردوس في الشطر الأخير. والملاحظ أن الزهاوي أسقط نهر الدموع «جيحون» برمته، من الصياغة الموزونة.

رباعيات الخيام

ترجمة أحمد الصافي النجفي

طُبِعَتْ فِي مَطْبَعَةِ التَّوْفِيقِ، سَوْقِ مَدْحَتِ بَاشَا - دِمَشْقِ ١٩٣١

حرف الألف

- ١ -

كُلُّ ذَرَّاتِ هَذِهِ الْأَرْضِ كَانَتْ
أَوْجُهَاً كَالشُّمُوسِ ذَاتِ بَهَاءٍ
أُجِلُّ عَنْ وَجْهِكَ الْغُبَارَ بِرَفْقٍ
فَهُوَ خَذُّ لِكَاعِبٍ حَسَنَاءٍ

- ٢ -

إِنَّ رُوحاً مِنْ عَالَمِ الطُّهْرِ جَاءَتْ
لَكَ ضَيْفاً مَا التَّائِثُ بِالْغُبْرَاءِ
إِسْقِهَا أَكْوَاسَ الصَّبُوحِ صَبَاحاً
قَبْلَ تَوْدِيعِهَا أَوَانَ الْمَسَاءِ

- ٣ -

مَنْ تَحَرَّى حَقِيقَةَ الدَّهْرِ أَضْحَى
عِنْدَهُ الْحُزْنُ وَالسَّرُورُ سَوَاءٍ
إِنْ يَكُنْ حَادِثُ الزَّمَانِ سَيْفُنِي
فَلْيَكُنْ كُلُّهُ أَسَى أَوْ هِنَاءٍ

- ٤ -

قَالَتِ الْوَزْدَةُ: لَا خَدَّ كَخَدِّي فِي الْبَهَاءِ
فِي إِلَى مِ الظِّلْمِ مَمَّنْ يَبْتَغِي عَضْرًا لِمَائِي
فَأَجَابَ الْبُلْبُلُ الْغَرِيذُ فِي لَحْنِ الْغِنَاءِ
مَنْ يَكُنْ يَضْحَكُ يَوْمًا يَقْضِ حَوْلًا بِالْبُكَاءِ

- ٥ -

لَيْسَ يُذَرَى بِمَنْطِقِي وَقِيَّاسِ
أَيَّ وَقْتٍ دَارَتْ بِهِ الزَّرْقَاءُ
أَوْ مَتَى تُصْبِحُ السَّمَاءُ خَرَابًا
قَدْ تَدَاعَتْ وَأَنْهَدَتْ مِنْهَا الْبِنَاءُ

- ٦ -

دَعُ عَنْكَ حِرْصَ الْوَجُودِ وَاهْنَا
إِنْ أَحْسَنَ الدَّهْرُ أَوْ أَسَاءَ
وَاعْبَثْ بِشَعْرِ الْحَبِيبِ وَاشْرَبْ
فَالْعَمْرُ يَمْضِي غَدًا هَبَاءَ

- ٧ -

إِنْ تَوَاعَدْتُمْ رِفَاقِي لِأَنْسٍ
وَسَعِدْتُمْ بِالْغَادَةِ الْهَيْفَاءِ
وَأَدَارَ السَّاقِي كُؤُوسَ الْحُمِيَا
فَاذْكُرُونِي فِي شُرْبِهَا بِالدُّعَاءِ

- ٨ -

إِنْ تَلَاقَيْتُمْ أَخِلَايَ يَوْمًا
فَأَطِيلُوا ذِكْرِي عِنْدَ اللَّقَاءِ
وَإِذَا مَا أَتَى لَدَى الشُّرْبِ دَوْرِي
فَأَرِيقُوا كَأْسِي عَلَى الْغَبَاءِ

- ٩ -

إِنْ كُنْتَ لَا تَفْنَى سِوَى مَرَّةٍ
فَافْنِ وَدَعِ هَذَا الْأَسَى وَالشَّقَاءَ
وَكُنْ كَأَنْ لَمْ تَخَوْ ذَا الْجِلْدِ أَوْ
ذَا الدَّمِّ وَاللَّحْمِ وَخَلَّ الْعَنَاءَ

- ١٠ -

قَدْ خَاطَبَ السَّمَكُ الْأَوْزَّ مُنَادِيًا:
سَيَعُودُ مَاءُ النَّهْرِ فَاضِفْ هِنَاءَ
فَأَجَابَ: إِنْ نُصْبِغْ شِوَاءَ فَلَئِنْكَ الدُّنْيَا سَرَابًا بَعْدَنَا أَوْ مَاءَ

- ١١ -

مَا الْكَوْنُ دَارٌ إِقَامَةٍ فَأَخُو النُّهَى
أَوَّلَى بِهِ أَنْ يُدَمِّنَ الصَّهْبَاءَ
أَطْفِئْ بِمَاءِ الْكَزْمِ نِيرَانَ الْأَسَى
فَلَسَوْفَ تَذْهَبُ فِي الْهَوَاءِ هَبَاءَ

- ١٢ -

طَالَ كَهْمِي عَمْرُ الْحَبِيبِ فَقَدْ
أُولَانِي الْيَوْمَ خَيْرَ نَعْمَاءٍ
فَقَدْ رَنَا لِي وَمَرَّ يَوْمِي أَنْ:
«أَحْسِنُ وَأَلْقِي الْإِحْسَانَ فِي الْمَاءِ»

- ١٣ -

إِخْتَرُ بَدَهْرَكَ قَلَّةَ الرُّفَقَاءِ
وَاصْحَبْ بَنِيهِ وَأَنْتَ عَنْهُمْ نَاءٍ
فَمَنْ اعْتَمَدْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَنْظُرُهُ فِي
عَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَعْظَمُ الْأَعْدَاءِ

- ١٤ -

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْفَتَى وَفُنُونِهِ
وَانْظُرْ لِحَفَظِ عُهْدِهِ وَوَفَائِهِ
فَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ قَامَ بِعَهْدِهِ
فَاحْسِبْهُ فَاقَ الْكُلِّ فِي عَلِيَّائِهِ

- ١٥ -

لَقَدْ آنَ الصَّبُوحُ فَقُمْ حَبِيبِي
وَهَاتِ الرِّاحَ وَاشْرَعِ بِالْغِنَاءِ

فَكَمْ «جَمَشِيدَ» أَرْدَى أَوْ «قُبَادٍ»^(١)
مَجِيءُ الصَّيْفِ أَوْ مَرُّ الشَّتَاءِ

- ١٦ -

مَا شَهِدَ النَّارَ وَالْجِنَانَ فَتَى
أَيُّ امْرِئٍ مِنْ هُنَاكَ قَدْ جَاءَ؟
لَمْ نَرِ مِمَّا نَرْجُو وَنَحْذَرُهُ
إِلَّا صِفَاتٍ تُحْكِي وَأَسْمَاءَ

- ١٧ -

إِنْ تَجُدْ لِي بِالْعَفْوِ لَمْ أَخْشَ ذَنْباً
أَوْ تَهَبْ لِي زَاداً أُمِئْتُ الْعَنَاءَ
أَوْ تُبَيِّضْ بِالْعَفْوِ وَجْهِي فَإِنِّي
لَسْتُ أَخْشَى صَحِيفَتِي السَّوْدَاءَ

(١) قباد: أو قباد في المصادر العربية، وكيخسرو، في بعض المصادر الفارسية، هو قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام، وهو الملك الثامن عشر في سلسلة الملوك الساسانيين، ظهرت في زمنه الديانة المزدكية، فمال إليها، فجرى خلعه لأن الزرادشتية كانت هي الديانة القومية للدولة الساسانية، لكنه سرعان ما عاد للحكم، ودام حكمه ثلاثة وأربعين عاماً.

حرف الباء

- ١٨ -

قد انطوى سفرُ الشبابِ واغتدى
ربيعُ أفراجي شتاء مُجدبها
لهفي لطيرٍ كأنَّ يُدعى بالصبا
متى أتى وأي وقتٍ ذهباً؟

- ١٩ -

إلهي قل لي من خلا من خطيئة
وكيف تُرى عاشَ البريء من الذنب؟
إذا كُنت تُجزّي الذنب مِنِّي بمثله
فما الفرقُ ما بيني وبينك يا ربّي؟

- ٢٠ -

يا باقياً رهقَ الرِّياءِ ورائحاً
لقصيرِ عيشك في غناء مُثعبٍ
أتقول: أينَ تروحُ من بغدِ الردى
هاتِ المُدامَ وأينَ ما شئتَ اذهبِ

- ٢١ -

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ ذَا عَقْلٍ يَقُولُ: أَلَا
لَا يَجْنِيَنَّ الْفَتَى مِنْ نَوْمِهِ طَرَبًا
حَتَّى مَ تَرْقُدُ كَالْمَوْتَى فَقُمْ عَجَلًا
فَسَوْفَ تَهْجِعُ فِي جَوْفِ الثَّرَى حُقْبًا

- ٢٢ -

غَدُونَا لِذِي الْأَفْلَاكِ أَلْعَابَ لَا عِبٍ
أَقُولُ مَقَالًا لَسْتُ فِيهِ بِكَاذِبٍ
عَلَى نَطْعِ هَذَا الْكَوْنِ قَدْ لَعِبْتُ بِنَا
وَعُدْنَا لِصُنْدُوقِ الْفَنَاءِ بِالتَّعَاقِبِ

- ٢٣ -

أَوَّلُ دَفْتَرِ الْمَعَانِي الْهُوَى
وَأِنَّهُ بَيْتُ قَصِيدِ الشُّبَابِ
يَا جَاهِلًا مَغْنَى الْهُوَى إِنَّمَا
مَغْنَى الْحَيَاةِ: الْحُبُّ وَالْإِنْجِذَابُ

- ٢٤ -

إِنْ تَجَلُّ لَدَى الرَّبِّيعِ كَفُّ الشُّحْبِ
خَدَّ الْأَزْهَارِ فَاِبْتَذِرْ لِلشُّرْبِ

فاليوم بذِي الرَّوْضَةِ تَزْتاحُ وَمِنْ
ذَرَاتِكَ سَوْفَ تَزْدَهِي بِالْعُشْبِ^(١)

- ٢٥ -

تَزْدَادُ حَيْرَةً عَقْلِي كُلَّ ذَاجِيَةٍ
وَالدَّمَعُ حَوْلِي مِثْلَ الدُّرِّ مَسْكُوبُ
لَا يَمْتَلِي جِامُ رَأْسِي مِنْ وَسَاوِسِهِ
وَلَيْسَ يُمْلَأُ جِامٌ وَهُوَ مَقْلُوبُ

- ٢٦ -

قَدْ حَظِينَا بِالْغِنَا وَالرَّاحِ فِي الدَّارِ الْخَرَابِ
وَفَرَعْنَا مِنْ مَتْنَى الرَّخْمَةِ أَوْ خَوْفِ الْعِقَابِ
وَسَمَوْنَا نَمًّا عَنْ مَاءٍ وَنَارٍ وَتُرَابِ
فَالِكِسَا وَالكَأْسُ وَالْعَقْلُ مَعاً زَهْنُ الشَّرَابِ

- ٢٧ -

أَمَّا تَرَى الْأَزْهَارَ فِيهَا عَبَثَتْ يَدُ الصَّبَا
وَمِنْ جَمَالِهَا غَدَا الْبَلْبَلُ يَشْدُو طَرِبَا
فَبَادِرِ الزَّهْرَ وَدَعْ عَنْكَ الْأُسَى وَالْكُرْبَا
فَهَذِهِ الْأَزْهَارُ كَمْ زَهَتْ وَكَمْ عَادَتْ هَبَا

(١) يستخدم الصافي النجفي هنا بحر الدوبيت، وهو البحر الأصلي للرباعيات، وهي من
المراث النادرة في الترجمة

- ٢٨ -

قَالَ قَوْمٌ: مَا أَطْيَبَ الْخُورَ فِي الْجَنَّةِ قُلْتُ الْمُدَامُ عِنْدِي أَطْيَبُ
فَاغْنِمِ النَّقْدَ وَاتْرُكِ الدَّيْنَ وَاعْلَمْ
أَنَّ صَوْتَ الطُّبُولِ فِي الْبُعْدِ أَغْذَبُ

- ٢٩ -

إِنْ تَشْرَبِ الْمُدَامَ أُسْبُوعاً فَلَا
تَدْعُ لَدَى الْجُمُعَةِ قُدْساً شُرِبَهَا
السَّبْتُ وَالْجُمُعَةُ عِنْدِي اسْتَوِيَا
لَا تَعْبُدِ الْأَيَّامَ وَاعْبُدْ رَبَّهَا

- ٣٠ -

هَذَا أَوَانُ الصَّبُوحِ وَالطَّرَبِ
وَنَحْنُ وَالْحَانُ وَابْنَةُ الْعِنَبِ
أَضْمْتُ نَدِيمِي هَلْ ذَا مَحَلُّ ثَقْيٍ
وَأَشْرَبْتُ وَخَلَّ الْحَدِيثُ وَاجْتَنَبِ

- ٣١ -

لَمْ أَشْرَبِ الرِّيحَ لِأَجْلِ الطَّرَبِ
أَوْ تَرُكِ دِيْنِي وَاطَّرَاحِ الْأَدَبِ
رُمْتُ الْحَيَاةَ دُونَ عَقْلِ لَحْظَةٍ
فَهَمْتُ بِالشُّكْرِ لِهَذَا السَّبَبِ

- ٣٢ -

لَا عِشْتُ إِلَّا بِالْغَوَايِ مُغْرَمًا
وَعَلَى يَدِي تَبَرُّ الْمُدَامِ الذَّائِبِ
قَالُوا: سَيَقْبَلُ مِنْكَ رَبُّكَ تَوْبَةً
لَا إِلَهَ قَابِلُهَا وَلَا أَنَا تَائِبٌ

- ٣٣ -

لَا تَتُّبْ قَطُّ عَنِ الرَّاحِ فَكَمْ
تَوْبَةٍ مِنْهَا يَتُوبُ التَّائِبُ
قَدْ شَدَّ الْبُلْبُلُ وَالْوَرْدُ زَهَا
أَبْذَا الْوَقْتِ يَتُوبُ الشَّارِبُ؟

- ٣٤ -

نَفْسِي تَمِيلُ إِلَى الْحُمَيَا دَائِمًا
وَالسَّمْعُ يَهْوَى مِغْزَفًا وَرَبَابًا
إِنْ يَضْنَعُوا كُوزًا ثَرَايَ فَلْيَتَّهَمُ
أَنْ يَمْلُؤَهُ مَدَى الزَّمَانِ شَرَابًا

- ٣٥ -

مَا خَلَقَ اللَّهُ رَاحَةً وَهَنًا
إِلَّا لِمَنْ عَاشَ مُفْرَدًا عَزَبًا
مَنْ تَرَكَ الْأَنْفِرَادَ وَافْتَرَنَا
فَقَدْ جَنَى بَغْدَ رَاحَةٍ تَعْبًا

- ٣٦ -

أَتَى بِى لِهَذَا الْكَوْنِ مُضْطَرِباً فَلَمْ
تَزِدْ لِي إِلَّا حَيْرَةً وَتَعَجُّبُ
وَعُدْتُ عَلَى كُزِهِ وَلَمْ أَذِرْ أَنْنِي
لِمَاذَا أَتَيْتُ الْكَوْنَ أَوْ فِيمَ أَذْهَبُ

- ٣٧ -

كُلَّ يَوْمٍ أَنْوِي الْمَتَابَ إِذَا مَا
جَاءَنِي اللَّيْلُ عَنْ كُؤُوسِ الشَّرَابِ
فَأَتَانِي فَضْلُ الزُّهُورِ وَإِنِّي
فِيهِ يَا رَبِّ تَائِبٌ عَنْ مَتَابِي

- ٣٨ -

مَا زَالَ ظِلٌّ عَلَى الْأَزْهَارِ لِلشُّحْبِ
وَلَمْ يَزَلْ بِى مَيْلٌ لِابْنَةِ الْعِنَبِ
فَلَا تَنَمَ لَيْسَ ذَا وَقْتِ الْكَرَى وَأَدِرُ
كَأْساً حَبِيبِي فَإِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ

- ٣٩ -

لِمَاذَا غَدَاةَ الرَّبِّ رَكَّبَ هَذِهِ الْعُنَاصِرَ لَمْ يُخَكِّمْ تَنَاسُبَهَا الرَّبِّ
إِذَا رَاقَ مَبْنَاهَا فَفِيمَ خَرَابُهَا
وَإِنْ لَمْ تَرُقْ مَبْنَى فَمِمَّنْ أَتَى الْعَيْبُ

- ٤٠ -

وَجَامٍ يَرُوقُ الْعَقْلُ لُطْفًا وَرِقَّةً
وَيَهْفُو عَلَيْهِ الْقَلْبُ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ
تَفْتَنَنَّ خَزَافُ الْوُجُودِ بِصُنْعِهِ
وَيَكْسِرُهُ مِنْ بَغْدٍ ذَاكَ عَلَى التُّزْبِ

- ٤١ -

كَمْ لِلَّذِي بَسَطَ الثَّرَى وَبَنَى السَّمَاءَ
مِنْ لَوْعَةٍ بِقُلُوبِنَا وَعَذَابِ
كَمْ مِنْ شِفَاهٍ كَالْعَقِيقِ وَطُرَّةٍ
كَالْمِسْكِ أَوْدَعَهَا حِقَاقُ تُرَابٍ^(١)

- ٤٢ -

أَنْظُرْ حِسَابَكَ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَمَا
تَغْدُو بِهِ مِنْ بَغْدٍ مَهْمَا تَذْهَبِ
أَتَقُولُ لَا أَخْشَوُ الطَّلَا خَوْفَ الرَّدَى
سَتُمُوتُ إِنْ تَشْرَبُ وَإِنْ لَمْ تَشْرَبِ

- ٤٣ -

كَمْ سِرْتُ طِفْلاً لِتَخْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَمْ
أَصْبَحْتُ بَغْدٌ بِتَذْرِيسِي لَهَا طَرِيبًا

(١) الحِقَاقُ: جمع حَقَّة، وهو وعاء يصنع من الخشب أو العاج، تذخر فيه النفائس كالدرّ والياقوت وتحفظ فيه العطور كذلك.

فاسمع ختامَ حديثي ما بلغتُ سوى
أني بُدِئتُ تُراباً ثمَّ عُذْتُ هَبَا

- ٤٤ -

ألا ارحم يا إلهي لي فؤاداً
مِنَ الأشجانِ أفسى في عذابٍ
ورجلاً بي سَعَتْ لِلْحانِ قِذماً
وكفّاً أفسكت قدحَ الشرابِ^(١)

(١) هناك رباعية كان يجب أن تكون في هذا الباب، باب «حرف الباء» كان الصافي قد ذكرها في تقديمه للرباعيات، في سياق شهادة لأحد كبار شعراء الفرس وهو محمد حسين بهار الملقب بـ«ملك الشعراء» للإشارة إلى الدقّة والجمالية، في الترجمة التي تضاهي الأصل الفارسي وتفهّمه أحياناً، ولم ترد هذه الرباعية في متن الطبعتين الإيرانية والدمشقية، ولعلّها سقطت سهواً لذلك ارتأينا إضافتها هنا مع الإشارة إلى ذلك، والرباعية هي:

لَمْ يحظَ في الدَّهرِ من وردِ الخدودِ فتى إلّا وكأبَدَ من أشواكِه العَظَبُ
أنظروا إلى المُشطِ لَمْ تبلغْ أناملُهُ أصداغَ أغيدَ ما لَمْ يَنشعِبْ شُعْبَا

حرف التاء

- ٤٥ -

إَجْعَلُوا قُوتِي الطُّلَا وَأَحْيِلُوا
كَهْرُبَاءَ الْخُدُودِ لِيَاقُوتِ
وَإِذَا مِتُّ فَاجْعَلُوا الرِّاحَ غُسْلِي
وَمِنَ الْكَزَمِ فَاصْنَعُوا تَابُوتِي

- ٤٦ -

يَقُولُ الْمُتَّقُونَ: غَدَاً سَتَخِي
عَلَى مَا كُنْتَ فِي هَذِي الْحَيَاةِ
لِذَا اخْتَرْتُ الْحَبِيبَةَ وَالْحَمِيَا
لِأُخْشَرَ هَكَذَا بَعْدَ الْمَمَاتِ

- ٤٧ -

جَاءَ مِنْ حَايِنَا النُّدَاءُ سُحِيرَا
يَا خَلِيعَا قَدْ هَامَ بِالْحَانَاتِ
قُمْ لِكِي نَمْلًا الْكُؤُوسَ مُدَامَا
قَبْلَ أَنْ تَمْتَلِي كُؤُوسَ الْحَيَاةِ

- ٤٨ -

هَبِ الدُّنْيَا كَمَا تَهْوَاهُ كَانَتْ
وَكُنْتُ قَرَأْتُ أَشْفَارَ الْحَيَاةِ
وَهَبِكَ بَلَغَتْهَا مَائَتَيْنِ حَوْلًا
فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ سِوَى الْمَمَاتِ؟

- ٤٩ -

الْبَدْرُ شَقَّ بِئُورِهِ جَيْبَ الدُّجَى
فَاشْرَبَ فُلُنٌ تَلْقَى كَذِي الْأَوْقَاتِ
وَاهِنًا وَلَا تَأْمَنُ فَهَذَا الْبَدْرُ كَمْ
سَيُضِيءُ فَوْقَ ثَرَى لَنَا وَرُفَاتِ

- ٥٠ -

إِنْ نِلْتُ مِنْ حِنْطَةٍ رَغِيفًا
وَكُوزَ خَمْرٍ وَفَخْذَ شَاةٍ
وَكَانَ إِلْفِي مَعِي بِقَفْرِ
فُقْتُ بِذَا عَيْشَةِ الْوُلَاةِ

- ٥١ -

مَنْ نَالَ ذَرَّةَ عَقْلِ عَادَ مُنْتَبِهَا
فَلَمْ يُضِعْ مِنْ ثَمِينِ الْعُمْرِ لِحَظَتَهُ
إِمَّا سَعَى لِرِضَاءِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا
أَوْ عَبَّ كَأْسَ الطُّلَا وَاخْتَارَ رَاحَتَهُ

- ٥٢ -

ما اسطعتُ كُنْ لِبَنِي الْخِلَاعَةِ تَابِعاً
واهِدِمِ بِنَاءَ الصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ
واسمِعْ عَنِ الْخَيَّامِ خَيْرَ مَقَالَةٍ
إِشْرَبْ وَغَنِّ وَسِرْ إِلَى الْخَيْرَاتِ

- ٥٣ -

أَحْسِنِ الطَّلَا عَنْكَ يَزُلْ هُمُّ الْوَرَى
وَقِلَّةُ الْأُمُورِ أَوْ كَثْرَتُهَا
وَلَا تُجَانِبِ كِيمِيَاءَ قَهْوَةٍ
تُزِيلُ أَلْفَ عِلَّةٍ قَطْرَتُهَا

- ٥٤ -

مُجْسُومٌ ذَوِي هَذِي الْقُبُورِ تَحَلَّلَتْ
فَبَيْنَ بُخَارٍ قَدْ عَلَا وَرُفَاتٍ
فَمَا هَذِهِ الرَّاحُ الَّتِي صَرَعَتْهُمْ
وَلَمْ يَنْهَلُوا مِنْهَا سِوَى جُرْعَاتٍ

- ٥٥ -

هَلُمَّ حَبِيبِي نَتْرُكُ الْهَمَّ فِي غَدٍ وَنَغْنَمُ قَصِيرَ الْعُمْرِ قَبْلَ فَوَاتٍ
سَنُزِمِعُ عَنِ ذِي الدَّارِ رِحْلَتَنَا غَدًا
بِسَبْعَةِ آلَافٍ مِنَ السَّنَوَاتِ

- ٥٦ -

من كان نصف رغيف في الحياة له
ومسكن فيه مثواه وراحته
لم يغد سبب شخص أو غلام فتى
فهو فلقذ راقث معيشته

- ٥٧ -

إلى الحان أغدو كل يوم مبكراً
وأضرب فيه ثم أهل الخلاعات
فيا عالم الأشرار هبني هداية
ورشداً لأغدو للدعا والمُنْجاة

- ٥٨ -

لا تحسبني جئت من نفسي ولا
قطعت وخدي ذا الطريق المعنتا
إن يك منه جوهرى ومنشئي
فمن أنا؟ وأين كنت؟ ومتى؟

- ٥٩ -

كن كالشقائق ممسكاً كأساً لدى النيروز مع وزديّة الوجنات
واشرب فإنك سوف تُصبح كالثرى
ضعة بسير الدهر ذي النكبات

- ٦٠ -

أَلْيَوْمَ يَوْمٌ صَبَايَ فَلَأَشْرَبَ بِهِ
كَأْسَ الشَّرَابِ وَأَجْتَنِي لِدَاتِي
لَأُثْزِرَ فِيهِ لَنْ يَمُرَّ فَقَدْ حَلَا
لَا غَرْوَ إِنَّ يَكُ مَرَّ فَهُوَ حَيَاتِي^(١)

- ٦١ -

أَخْشَوِ الْمُدَامَ وَلَا أُعْزِذُ قَطُّ أَوْ
كَفِّي تُمُدُّ لِمَا عَدَا الْكَاسَاتِ
تَذْرِي لِمَا اخْتَرْتُ الْطَّلَا؟ كَيْلَا أَرَى
يَا صَاحِ مِثْلِكَ مُولِعاً فِي ذَاتِي

- ٦٢ -

إِنَّ بَذْرِي يَلُوحُ فِي كُلِّ شَكْلِ
حَيَوَاناً طَوِراً وَطَوِراً نَبَاتاً
لَا تَخْلُهُ يَزُولُ هِيَهَاتَ فَالْمَوْصُوفُ إِنَّ يَفْنَ وَضْفُهُ يَبْقَى ذَاتاً^(٢)

- ٦٣ -

يَا عَالِماً بِجَمِيعِ أَشْرَارِ الْوَرَى
وَنَصِيرُهُمْ فِي الْعَجْزِ وَالْكُرْبَاتِ

(١) لَا غَرْوَ: لَا عَجَب.

(٢) هذه الرباعية، تشير بوضوح إلى فلسفة التناسخ لدى الخيام.

كُنْ قَابِلًا عُذْرِي إِلَيْكَ وَتَوْبَتِي
يَا قَابِلَ الْأَعْذَارِ وَالتَّوْبَاتِ

حرف الجيم

- ٦٤ -

يا زُبْدَةَ الْخِلَآنِ خُذْ نُضْجِي وَلَا
تُضِخِ مِنَ الدُّنْيَا بِهِمْ مُزْعِجِ
وَاجْلُسْ بِزَاوِيَةِ اغْتِزَالِكَ وَانْظُرْ
أَلْعَابَ دَهْرِكَ نَظْرَةَ الْمُتَفَرِّجِ

- ٦٥ -

قُمْ قَبْلَ غَارَةِ الْأَسَى مُكْرَأً
وَادْعُ بِهَا وَزْدِيَّةَ تَجْلُو الدُّجَى
فَلَسْتَ يَا هَذَا الْغَيْبِيِّ عَسْجَداً
حَتَّى تُوَارَى فِي الثَّرَى وَتُخْرِجَا

حرف الحاء

- ٦٦ -

إِنَّ ذَاكَ الْقَضَرَ الَّذِي ضَمَّ «جَمْشِيدَ» وَفِيهِ تَنَاوَلَ الْأَقْدَاخَا
وَلَدْتُ ظَبِيَّةُ الْفَلَا خَشَفَهَا فِيهِ وَأَمْسَى إِلَى ابْنِ آوَى مَرَاخَا^(١)
يَا «لَبْهَرَامَ» كَيْفَ كَانَ يَصِيدُ الْوَحْشَ مِنْ قَبْلُ غُدُوَّةً وَرَوَاخَا
فَانْظُرِ الْآنَ كَيْفَ قَدْ صَادَهُ الْقَبْرُ وَأَمْسَى لَا يَسْتَطِيعُ بَرَاخَا

- ٦٧ -

نَحْنُ يَا مُفْتِي الْوَرَى مِنْكَ أَذْرَى
لَمْ تُزِلْ عَقْلَنَا مَدَى الشُّكْرِ رَاخُ
أَنْتَ تَحْسُو دَمَ الْأَنَامِ وَنَحْسُو
دَمَ كَزَمِ فَأَيُّنَا السَّفَاخُ

- ٦٨ -

إِلَى مَ تُعَايِي لِلْمُقَدَّرِ مِخْنَةً
وَمِنْ بَاطِلِ الْأَفْكَارِ تُمَسِّي بِأَثْرَاخِ

(١) الخشف: ابن الطيبة.

فَعِشْ فِي سُرُورٍ وَأَقْضِ دَهْرَكَ بِإِلَهِنَا
فَلَمْ يَكِلُوا أَمْرَ الْقَضَا لَكَ يَا صَاحِ

- ٦٩ -

نَعَمْ أَنَا مِنْ رَاحِ الْمَجُوسِ بِنَشْوَةِ
وَصَبِّ خَلِيعٍ لَمْ أَزَلْ مُذِمِّنَ الرَّاحِ
يَرَى كُلُّ جِزْبٍ فِيَّ زَايَا وَمَذْهَبَا
وَإِنِّي لِنَفْسِي كَيْفَمَا كُنْتُ يَا صَاحِ

- ٧٠ -

دَعَى لِلصَّبُوحِ مَلِيكَ النَّهَارِ
وَلَاخَ سَنَا الْفَجْرِ فَوْقَ الشُّطُوحِ
وَنَادَى مُنَادِي الْأَلَى بَكَّرُوا
أَلَا فَاشْرَبُوا أَنَّ وَقْتُ الصَّبُوحِ

- ٧١ -

أَلْفَجْرُ لَاخَ فَقُمْ لَنَا يَا صَاحِ
وَأَمْلَأْ زُجَاجَكَ مِنْ عَقِيقِ الرَّاحِ
فَزِمَانُ أَنْسِكَ إِنْ يَفُتْ لَمْ تَلْقَهُ
وَتَظَلُّ تَنْشُدُ سَاعَةَ الْأَفْرَاحِ

- ٧٢ -

لَا تَغْرِسَنَّ الْحَشَا غَرْسَ التَّرَخِ
وَأَقْرَأْ، حَيْبَتْ، دَائِمًا سِفْرَ الْفَرَخِ

وعاقِرِ الرِّاحَ وَنَلْ أَقْصَى المُنَى
فَالْعُمُرُ مَا أَقْصَرُهُ كَمَا اتَّضَحَ

- ٧٣ -

بَادِرُ فسوف تعودُ أذراجَ الفنّا
وستتَرُكُ الجُثْمَانِ مِنْكَ الرُّوحُ
واشْرَبْ وعِشْ جَذْلاً فَلَسْتَ بِعَالِمٍ
من أَيْنَ جِئْتَ؟ وَأَيْنَ بَعْدُ تَرُوحُ؟

- ٧٤ -

لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ مِلْتُ تَنْشُكَا
فَتَيَقَّنْتُ نَفْسِي غَدًا بِنَجَاحِي
أَسْفًا فَقَدْ نُقِضَ الوُضُوءُ بِنَسْمَةٍ^(١)
وَالصَّوْمُ زَالَ بِنُصْفِ جُرْعَةٍ رَاحِ

(١) هنا يظهر اختلاف جذري في ترجمة هذا الشطر بين الصِّوَّاف والصَّافِي، فالصِّوَّاف ترجمها: «لكنَّ أسفًا لقد بطلَ ذلك الوُضُوءُ بضرطةٍ» ومن المهم الإشارة إلى أن النص الفارسي الذي أورده كل من الصراف والصافي مختلف عند هذه الكلمة بالذات، فنص الصراف كالتالي: «افسوس كه آن وضو به «گوزی» بشکست» أما نص الصافي فجاء كالتالي: «افسوس كه آن وضو به «بادي» بشکست» ولعله بسبب اختلاف النسخ التي اعتمدها كل منهما، ومع هذا كان يمكن للصافي اختيار كلمة «ريح» لأن هذا هو معنى المفردة بالفارسية، وليس نسمة. وربما تحاشاها متعمداً لأسباب ذوقية، أو رقابة ذاتية وتحايل على المفردة.

إِشْرَبِ الرِّاحَ فَهِيَ رُوحُ الرُّوحِ
بَلَسَمُ النَّفْسِ وَالْحَشَا الْمَجْرُوحِ
وَإِذَا مَا دَهَاكَ طُوفَانٌ هَمٌّ
فَانْجُ فِيهَا فِذِي سَفِينَةُ نُوحِ

حرف الخاء

- ٧٦ -

إذا العُمُرُ يَمْضِي فَلْيَرْقُ لِي أَوْ يَسُوْ
وسِيَانِ إِنَّ أَهْلِكَ بِبَغْدَادَ أَوْ «بَلْخِ»
فَقُمْ وَاخْشُهَا فَالشَّهْرُ كَمْ بَغْدَ سَلَخِهِ
إِلَى غُرَّةٍ يَمْضِي وَمِنْهَا إِلَى سَلَخِ

حرف الدال

- ٧٧ -

لا يُورِثُ الدَّهْرُ إِلَّا الهمَّ والكمداً
واليومَ إنَّ يُغَطِّ شَيْئاً يَسْتَلِينُهُ غَدَاً
مَنْ لَمْ يَجِئُوا لِهَذَا الدَّهْرِ لَوْ عَلِمُوا
ماذا نُكَايِدُ مِنْهُ مَا أَتَوْا أَبَدَاً

- ٧٨ -

إنَّ لَمْ يَكُنْ حَظُّ الفَتَى فِي دَهْرِهِ
إِلَّا الرَّدَى ومَرَارَةُ العِيشِ الرَّدِي
سَعِدَ الَّذِي لَمْ يَخِى فِيهِ لَحْظَةً
حَقّاً وَأَسْعَدُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يُوَلِّدِ

- ٧٩ -

لِثَمْتُ مَنْ جَرَّةَ الصَّهْبَاءِ مَرَّشَفَهَا
حِزْصاً لِأَسْأَلَ مِنْهَا عِيشَةَ الأَبَدِ
فَقَابِلْتُ شَفَتِي بِالْثَّمِ قَائِلَةً
سِرّاً: أَلَا اشْرَبْ فإِذَا رُحْتُ لَمْ تُعَدِ

- ٨٠ -

أَتَرَعَ كُؤُوسَكَ فَالصَّبَاحُ قَدْ انْجَلَى
رَاحاً لَهَا يَغْدُو الْعَقِيقُ حُسُوداً
وَهَلُمَّ بِالْعُودَيْنِ وَانْتَمِلِ الْهِنَا
وَقُفْ عَلَى عُودٍ وَأُخْرِقْ عُوداً

- ٨١ -

إِزْتَشِفْهَا فَذَا لَعْمَرِي الْحُلُودُ
فِيهِ تَمْتَّازُ لِلشَّبَابِ عُهُودُ
ذَا أَوَانُ الْأَزْهَارِ وَالرَّاحِ وَالصُّخْبُ نَشَاوَى فَاهْنَأْ فَهَذَا الوجودُ

- ٨٢ -

الْعِيدُ جَاءَ فَسَوْفَ يُضْلِحُ أَمْرَنَا
وَالرَّاحُ لِلْإِبْرِيْقِ سَوْفَ تَعُودُ
وَيُفُكُ عَنْ هَذِي الْحَمِيرِ لِحَامُهَا
بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ هَذَا الْعِيدُ

- ٨٣ -

لَيْسَ لِيْذَا الْعَالَمِ انْتِدَاءُ
يَبْدُو وَلَا غَايَةُ وَخَدُّ
وَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَقُولُ حَقّاً:
مَنْ أَيْنَ جِئْنَا؟ وَأَيْنَ نَعْدُو؟

- ٨٤ -

إِنْ لَمْ يُطَقْ أَحَدٌ مِنَّا ضَمَانَ غَدٍ
فَطَبَّ بِذَا الْوَقْتِ نَفْسًا وَانْتَعِشْ كِبِدًا
وَاشْرَبْ عَلَى ضَوْءِ ذَا الْبَذْرِ الْمُنِيرِ فِكْمِ
يُضِيءُ بَغْدُ وَمِنَّا لَا يَرَى أَحَدًا

- ٨٥ -

لَتُنْ جَالِسَتْ مَنْ تَهْوَاهُ عُمرًا
وَذُقْتَ جَمِيعَ لَذَاتِ الْوُجُودِ
فَسَوْفَ تُفَارِقُ الدُّنْيَا كَأَنَّ الَّذِي شَاهَدْتَ حُلْمَ فِي هُجُودِ

- ٨٦ -

لَا تَخْشَ حَادِثَةَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ عَلَيْنَا سَرْمَدًا
وَاعْنَمَ قَصِيرَ الْعُمْرِ فِي طَرَبٍ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَى أَمْسٍ وَلَا تَخْشَ الْغَدَا

- ٨٧ -

عَادَ السَّحَابُ عَلَى الْخَمَائِلِ بِأَكْبَا
فَالْعَيْشُ لَا يَضْفُو بِدُونِ الصَّرْخِدِ
هَذَا الرِّيَاضُ الْيَوْمَ مُنْتَزَعَةٌ لَنَا
فَلِمَنْ رِيَاضُ رُفَاتِنَا هِيَ فِي غَدٍ؟

أَرَى أَنَساً عَلَى الْعَبْرَاءِ قَدْ هَجَدُوا
وَمَغْشَرًا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى رَقَدُوا
وَإِنْ نَظَرْتُ لِصَخْرَاءِ الْفَنَاءِ أَرَى
قَوْماً تَوَلَّوْا وَقَوْماً بَعْدُ لَمْ يَرِدُوا

إِجْلِسْ إِلَى الرَّاحِ تَبْلُغْ مُلْكَ مَحْمُودٍ^(١)
وَأَضْغِ لِلْعُودِ تَسْمَعِ لَحْنَ دَاوُدَ
دَغْ ذِكْرَ مَا لَمْ يَجِيءْ أَوْ مَا أَتَى وَمَضَى
وَالآنَ فَاهْتَأْ فَهَذَا خَيْرٌ مَقْصُودِ

إِنَّ الْأَلَى بَلَغُوا الْكَمَالَ وَأَضْبَحُوا
مَا بَيْنَ صَخْبِهِمْ سِرَاجِ النَّادِي

(١) محمود: هو السلطان محمود سبكتكين الغزنوي «٩٧١ - ١٠٣٠» ينحدر من أصول تركية وولد في غزنة بأفغانستان الحالية، وإليها ينسب، أرسل إليه القادر بالله العباسي خلعة السلطنة، فقصده بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدي السامانية فغزا الهند ووسّع حدود مملكته لتشمل بخارى وسمرقند وصولاً إلى كوجرات وقنوج وشملت أفغانستان وما وراء النهر وسجستان وخراسان، وبعد وفاته انتقل ملكه العريض إلي السلاجقة.

عاش في عهده عدد من العلماء والشعراء، منهم: ابن سينا وألبيروني والفردوسي الذي كتب «الشاهنامه» في عهد محمود الغزنوي.

لَمْ يَكْشِفُوا خَلْكَ الدِّيَاجِي بَلْ حَكُوا
أُسْطُورَةَ ثَمَّ انْتَنُوا لِرُقَادِ

- ٩١ -

لَتُنْ سَقَانِي فِي فَضْلِ الرَّبِيعِ رَشَاءً
فِي الرَّوْضِ كَأْساً دِهَاقاً تُنْعِشُ الْكَبْدَا
وَإِنْ يَكُنْ لَمْ يَرْقُ هَذَا الْمَقَالُ فَتِي
فَالْكَلْبُ يَفْضُلُنِي إِنْ أَذْكَرَ الْخُلْدَا

- ٩٢ -

يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو لُطْفٍ وَذُو كَرَمٍ
فَفَيْمَ لَا يَدْخُلَنَّ الْمُذْنِبُ الْخُلْدَا؟
مَا الْجُودُ إِعْطَاءُ دَارِ الْخُلْدِ مُتَّقِيَا
إِنَّ الْعَطَاءَ لِأَصْحَابِ الذُّنُوبِ نَدَى

- ٩٣ -

بِجَمِيلِ الْأَمَالِ أَفْنَيْتُ عُمْرِي
دُونَ أَنْ أَبْلُغَنَّ يَوْمَ مُرَادَا
أَنَا أَخْشَى أَنْ لَا يُسَاعِدَنِي الْعَمْرُ لِأَشْفِي مِنَ الزَّمَانِ الْفَوَادَا

- ٩٤ -

يُبْتُكَ عَقْلٌ لِلْسَّعَادَةِ طَالِبٌ
مَدَى كُلِّ يَوْمٍ نُضْحَهُ وَيُرَدِّدُ

أَلَا اغْنَمِ قَصِيرَ الْعُمْرِ لَسْتَ بِنَبِيَّةٍ
تَعُودُ فَتَنْمُو بَعْدَ مَا هِيَ تُخْصَدُ

- ٩٥ -

أَلَا إِنَّ مَنْ زَانُوا الْوُجُودَ بِخَلْقِهِمْ
أَتُوا وَتَوَلَّوْا ثُمَّ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِ
فَكَمْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خَلَقٌ وَأَنْفُسٌ
تَجِيءُ لِهَذَا الْكَوْنِ مَا بَقِيَ الْفَرْدُ

- ٩٦ -

دَغْ ذِكْرَ أَمْسٍ فَهُوَ قَدْ مَرَّ وَدَغْ
ذِكْرَ غَدٍ فَإِنَّهُ مَا وَرَدَا
لَا تُغْنِ فِيمَا لَمْ يَرُدْ وَمَا مَضَى
وَاشْرَبْ لَثْلًا يَذْهَبَ الْعُمُرُ سُدَى

- ٩٧ -

لَسْتُ لِذِيرٍ صَالِحاً كَلًّا وَلَا لِمَسْجِدٍ
أَلَلُّهُ أَذْرَى بِثَرَى كَوْنٌ مِنْهُ جَسَدِي
لَا دِينَ أَوْ دُنْيَا وَلَا أَرْجُو الْجَنَانَ فِي غَدٍ
كُمُومٍ دَمِيمَةٍ أَوْ كَفَقِيرٍ مُلْحِدٍ

- ٩٨ -

لِهَلَاكِنَا تَجْرِي السَّمَاءُ وَمَا لَهَا
إِلَّا اغْتِيَالُ نُفُوسِنَا مِنْ مَقْصَدٍ

إِجْلِسْ بِزَاهِي الرَّوْضِ وَارْتَشِفِ الطَّلَا
فَالرَّوْضُ يَنْبُتُ مِنْ ثَرَانَا فِي عَدِ

- ٩٩ -

كَالْمَاءِ فِي النَّهْرِ أَوْ كَالرَّيْحِ وَشَطَا فَلَ
الْأَنْسُ مِنْ غُمُرِنَا وَلَّى وَلَمْ يُعْدِ
يَوْمَانِ مَا عِشْتُ لَا أَغْنَى بِأَمْرِهِمَا
يَوْمٌ تَوَلَّى وَيَوْمٌ بَغْدُ لَمْ يَرِدِ

- ١٠٠ -

إِنَّ ذَاكَ الْقَضَرَ الَّذِي رَاحِمَ الْأَفْقَ وَخَرَّتْ لَهُ الْمُلُوكُ سُجُودًا
هَتَفَ الْوَزْقُ فِي ذُرَاهُ يُنَادِي: ^(١)
أَيْنَ مَنْ صَيَّرُوا الْمُلُوكَ عَبِيدًا

- ١٠١ -

أَقْطَفْ وَعَاقِرْ كَأْسَهَا مَعَ شَادِنِ
كَالسَّزْوِ قَدَاً وَالزُّهُورِ خُدُودَا
فَسَيُغْتَدِي كَالْوَزْدِ مِنْ كَفِّ الرَّدَى
ثَوْبُ الْحَيَاةِ مُخَضَّباً مَقْدُودَا

(١) الورق: ذَكَرَ الْوَرَقَاءُ: الْحَمَامَةُ.

- ١٠٢ -

مَا نَفَعَ الدَّهْرَ مَجِيئِي وَلَا
يَزِيدُهُ شَأْنًا رَجِيلِي غَدًا
مَا سَمِعْتُ أَذْنَائِي مِنْ قَائِلٍ
مَا نَفَعُ ذَا الْعَيْشِ وَجَدَوِي الرَّدَى؟

- ١٠٣ -

سُرُورُ حَشَا يَفُوقُ لَدَيَّ أَجْرًا
عَلَى تَغْمِيرِ أَنْحَاءِ الْوُجُودِ
وَجَفَلِ الْحُرُّ بِالْإِخْسَانِ عَبْدًا
أَرَاهُ يَفُوقُ تَخْرِيرَ الْعَبِيدِ

- ١٠٤ -

لِلنَّجْمِ يَغْلُو زَفِيرِي كُلِّ دَاجِيَةٍ
وَسَيْلُ دَمْعِي يُمُدُّ الْبَحْرَ فِي مَدَدٍ
قَدْ قُلْتُ لِي: سَوْفَ نَخْشُو الرَّاحَ بَعْدَ غَدٍ
لَعَلَّ غُمْرِي لَا يَمْتَدُّ بِي لِغَدٍ

- ١٠٥ -

خَلَّ الْهِنَاءُ فَعُمَرْنَا نَفْسًا وَمِنْ
«جَمْشِيدَ» ذَرَّاتِ الثَّرَى وَ«قُبَادٍ»
لَيْسَ الْوُجُودُ وَغُمَرْنَا الْفَانِي سَوَى
وَهُمِ وَتَضَلَّلِ وَحُلْمِ زُقَادٍ

- ١٠٦ -

قال شيخ لموميس: أنت سكرى
كُلَّ أَنْ بِصَاحِبٍ لِكَ وَجَدُ
فأجابث: إني كما قلت لكن
أنت كما لدى النَّاسِ تبذو؟

- ١٠٧ -

دع كُلَّ قَلْبٍ لَمْ يُمَارِجْهُ الهوى
أَحْوَاهُ دَيْرٌ أَمْ حَوَاهُ مَسْجِدُ
وَيَدْفَتِرِ الْعَشَّاقِ مَنْ خُطَّ اسْمُهُ
لَمْ يَغْنِهِ خُلْدٌ وَنَارٌ تُوقَدُ

- ١٠٨ -

يا صَاحِبَ الدَّلِّ هذا الفجرُ لآخِ فَنَمُ
وَعَنِّ واشرب وأطفئ حُرْقَةَ الكَبِدِ
فَمَنْ تَرَاهُمْ هُنَا لَنْ يَلْبَثُوا أَمْدًا
وَلَنْ يَعُودَ مِنَ الْمَاضِينَ مَنْ أَحَدِ

- ١٠٩ -

المالُ إِنْ لَمْ يَغْدُ دُخْرَ أُولِي الثَّهَى
فَالفَاقِدُونَ لَهُ بِعَيْشٍ أَنْكَدِ
أَضْحَى الْبِنَفْسِجِ مُطَرِّقاً مِنْ فَقْرِهِ
وَالْوَرْدُ يَضْحَكُ لِاقْتِنَاءِ الْعَسْجِدِ

- ١١٠ -

كَانَ هَذَا الْكُوزُ مِثْلِي عَاشِقًا
وَالِهَاءُ فِي صَدْعِ ظَبِي أَغْيَدِ
وَأَرَى عُزُوتَهُ كَانَتْ يَدًا
طَوَّقَتْ حَيْدَ حَبِيبٍ أَجِيدِ

- ١١١ -

تُسَائِلُنِي مَا هَذِهِ النَّفْسُ إِنْ أَقْلُ
حَقِيقَتَهَا يَضْفُو الْكَلَامُ وَيُمْتَدُّ
هِيَ النَّفْسُ مِنْ بَخْرٍ بَدَتْ ثُمَّ إِنَّهَا
تَغِيبُ بِذَاكَ الْبَخْرِ يَا صَاحِبَ مَنْ بَعْدُ

- ١١٢ -

قَضِينَا وَلَمَّا نَقُضِ، وَاسْأَلِي، الْمُنَى
وَمِنْجَلُ ذِي الزَّرْقَاءِ لَجَّ بِنَا حَضْدًا
فَلَهْفَاهُ مَا كِدْنَا لِنَفْتَحَ طَرْفَنَا
إِلَى أَنْ فِينَا دُونَ أَنْ نُذْرِكَ الْقَضْدَا

- ١١٣ -

أَيَا خَزَافُ إِنْ تَشْعُرُ فَحَازِرُ
إِلَى مَ تَهِينُ أَنْتَ ثَرَى الْعِبَادِ

سَحَقْتُ بَنَانَ «إَفْرِيدُونَ»^(١) ظُلْمًا
وَدُسْتُ الكَفَّ مِنْ كِشْرَى «قُبَاد»

- ١١٤ -

إِلَيْكَ نُضْجِي إِذَا مَا كُنْتُ مُسْتَمِعًا
لَا تَلْبِسُنْ ثَوْبَ تَذْلِيلٍ عَلَى الْجَسَدِ
الْعُمْرُ يَفْنَى وَعُقْبَى الْمَرْءِ دَائِمَةٌ
فَلَا تَبِيعَنَّ بِفَانٍ عَيْشَةَ الْأَبَدِ

- ١١٥ -

قَدْ قِيلَ لِي «رَمَضَانُ» جَاءَ فَسَوْفَ لَا
تَسْطِيعُ رَشْفًا لَا يَنْتَهِي الْعُنُقُودُ
فَسَاخَتْسِي بِخَتَامٍ «شَغْبَانُ» الطَّلَا
عَلَّا لِتَضْرَعَنِي لِيَوْمِ الْعِيدِ

- ١١٦ -

خُذْ بِالشُّرُورِ فَكُنْ بِفِكْرِكَ فَكَّرُوا
بِالْأَمْسِ دُونَ بُلُوغِ أَذْنَى مَقْصِدِ

(١) الملك أفريدون من أحفاد جمشيد، وقد زعم بعض نشابة الفرس أن «نوحاً» هو أفريدون الذي قهر الضحّاك، وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم لأن قصته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح ولحسن سيرته وهلاك الضحّاك «النمرود» على يديه. وقيل: إنه أول من سقى الصوفي، وهو أول من نظر في علم الطب. وتذكر المصادر العربية القديمة أنه كان يقول: الأيام صحائف أعماركم فخلدوها بأحسن أعمالكم.

وَانْعَمْ فَلِإِنَّهُمْ بِأَمْسٍ قَرَّرُوا
لَكَ دُونَ أَنْ تَدْعُوهُمْ أَمْرَ الْغَدِ

- ١١٧ -

يَا مَنْ تَوَلَّدَ مِنْ «سَبْعٍ وَأَرْبَعَةٍ»^(١)
وَرَاخَ مِنْهَا يُعَانِي سَفِي مُجْتَهِدٍ
إِشْرَبَ فَكُنْ لَكَ قَدْ كَرَّرْتُ مَوْعِظَتِي:
إِنْ رُخَّتْ رُخَّتْ وَلَمْ تَزْجِفْ وَلَمْ تَعُدِ

- ١١٨ -

لَا عَيْشَ لِي بِسِوَى صَافِي الْمُدَامِ وَلَا
أَطِيقُ حَمْلًا بِدُونِ الرَّاحِ لِلْجَسَدِ
مَا أَطِيبَ الشُّكْرَ وَالسَّاقِي يُنَاوِلُنِي
كَأْسًا وَتَعَجُّزُ عَنْ أَخَذِ الْكُؤُوسِ يَدِي

(١) ثمة نزعة هرمسية في هذه الرباعية خاصة في ما يتعلق بأول الخلق، إذ تعتقد الهرمسية بأن الله خلق المواد الابتدائية التي هي كيان الكون. ثم فصل العناصر الأربعة: الماء، النار، الهواء والتراب. ثم كلّف تلك العناصر بتكوين السماوات السبع «عطارد، زهرة، جوبيتر، زحل، الشمس، القمر وهذه الكواكب تدور فتفرض في دورانها القضاء في الأرض.

حرف الرّاء

- ١١٩ -

مَا لَبِقَا هَادٍ وَإِنْ يَكُ فَالطُّلَا
وَالكَأْسُ أَفْضَلُ مُرْشِدِ الْمُتَحَيِّرِ
الرَّاحُ مُؤْنِسَتِي فَلَيْسَ بِمُسْعِدِي
مَاءُ الْحَيَاةِ وَلَا حِيَاضُ الْكَوْثَرِ

- ١٢٠ -

خُذِ الْكُوزَ وَالْأَقْدَاحَ يَا مُنِيَّةَ الْحَشَا
وُطِفَ بِهِمَا بِالرَّوْضِ فِي ضَفَّةِ النَّهْرِ
فَكُنْ قَدْ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ قَدْ شَادِنِ
كُؤُوساً وَإِنْبِرِيقاً لِصَافِيَةِ الْخَمْرِ

- ١٢١ -

وَلَكُمْ شَرِيبَتُ الرَّاحِ حَتَّى إِنْ أَغْبَ
فِي الرَّمْسِ ضَاعَ مِنَ الثَّرَابِ غَبِيرُهَا
أَوْ مَرَّ مَخْمُورٌ عَلَى قَبْرِي انْتَشَا
مِنْهَا وَأَفْقَدَهُ التُّهَى تَأْثِيرُهَا

- ١٢٢ -

علام تأسى للذنبِ يا «عَمْرُ»
ماذا تُفِيدُ الهمومُ والفكرُ
لا عفو عَمَّنْ لم يَجِنِ مَغْصِيَةً
العفو عَمَّنْ عصى فما الحذرُ

- ١٢٣ -

إلى مَ بهذا الجِزْصِ تَقْضِي مَدَى العُمْرِ
وتُصْبِحُ لِلْإثْرَاءِ والفَقْرِ في فِكْرٍ
ألا اشربْ فعُمْرٌ سَوْفَ يُعْقِبُهُ الرَّدَى
حَقِيقٌ بأنْ تَقْضِيهِ بالنَّوْمِ والشُّكْرِ

- ١٢٤ -

مُذِ ازدهرتِ بالبذرِ والزُّهرة السَّما
إلى الآنَ لم يُوجدْ أَلَدٌ مِنَ الحَمْرِ
فيا عَجَبِي من بائعِ الرَّاحِ هلْ يَرَى
أَعَزَّ مِنَ الصَّهْبَاءِ إِنْ باعها يَشْرِي

- ١٢٥ -

إِنَّ دِينِي الهِنا ورشْفُ الحُمَيَا
وابتِعادِي عن كُلِّ دِينٍ وكُفْرٍ

قُلْتُ مَاذَا يَكُونُ مَهْرُ عَرُوسِ الدَّهْرِ قَالَتْ: جَذْلَانُ قَلْبِكَ مَهْرِي

- ١٢٦ -

كَانَ يَبْدُو قَبْلِي وَقَبْلَكَ صُبْحٌ
وَدُجَى وَالسَّمَاءُ تَدُورُ لِأَمْرِ
طَائِفٍ بِرَفْقِي هَذَا الثَّرَابَ فَقَدِمَا
كَانَ إِنْسَانٌ عَيْنِ ظَبْيٍ أَغْرُ^(١)

- ١٢٧ -

إِنْ كُنْتُ قَبْلُ أَتَيْتُ الدُّنْيَا بِدُونِ اخْتِيَارٍ
وَسَوْفَ أَرْحَلُ خِثْمًا عَنْهَا غَدًا بِاضْطِرَارٍ
فَقُمْ نَدِيمِي سَرِيعًا وَاعْقِدْ نِطَاقَ الْإِرَارِ
فَسَوْفَ أَغْسِلُ هَمَّ الدُّنْيَا بِصَافِي الْعُقَارِ

- ١٢٨ -

عِشْ وَالْمُدَامَ بِضَفَّةِ النَّهْرِ
وَدَعْ الْهُمُومَ بِجَانِبِ تَجْرِي
يَوْمَانِ ذَا الْعُمُرِ الثَّمِينِ فَعِشْ
طَلَقَ الْمُحْيَا بِاسْمِ الشَّعْرِ

(١) واضح أنَّ هذا البيت من الرابعية صياغة أخرى لبيت المعري: خَفَّفَ الْوَطءَ مَا أَظُنُّ
أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ.

- ١٢٩ -

شَاهَدْتُ أَلْفِي جِرَّةً فِي مَعْمَلٍ
تَدْعُو وَلَمْ تَفْتَحْ بِنُطْقٍ فَاهَا
فَإِذَا بِإِحْدَاهَا تُنَادِي أَيْنَ مَنْ
صَنَعَ الْجِرَارَ وَبَاعَهَا وَشَرَاهَا؟

- ١٣٠ -

كَقَطْرَةٍ عَادَتْ إِلَى الْخِضَمِّ أَوْ
كَذَرَّةٍ قَدْ رَجَعَتْ إِلَى النَّوْزِ
أَتَيْتَ لِلدُّنْيَا وَعُذْتُ حَاكِياً
ذُبَابَةً بَدَتْ وَغَابَتْ أَثَرَا

- ١٣١ -

لَنْ غُمَّرَتْ صَاحِي أَلْفَ حَوْلٍ
فَسَوْفَ تَعَاثُ هَذِي الدَّارَ قَهْرًا
وَإِنْ تَكُ سَائِلًا أَوْ رَبَّ تَاجٍ
فَذَانِ غَدًا سَيَسْتَوِيَانِ قَدْرًا

- ١٣٢ -

سَعَى لِقْصُورِ الْخُلْدِ وَالْحُورِ مَعَشَرٍ
وَإِنْ فَرِيقًا بِالْجُزَافِ قَدْ اغْتَرَا
سَيَبْدُو لَهُمْ إِنْ يَنْجَلِ السُّتْرُ أَنَّهُمْ
نَاوَأَ عَنْكَ أَقْصَى النَّأْيِ فِي ذَلِكَ الْمَسَرَى

- ١٣٣ -

كُلُّ عُشْبٍ يَبْدُو بِضَفَّةِ نَهْرٍ
قَدْ نَمَا مِنْ شِفَاءِ ظَنِّي أَغْرُ
لَا تَطَأُ وَيَحْكُ الثَّبَاتُ اخْتِقَاراً
فَهُوَ نَامَ مِنْ مُزْهِرِ الْخَدِّ نَضْرٍ

- ١٣٤ -

مَا بَيْنَ أَفْقٍ لَا ظُهُورَ لِعَوْرِهِ
إِشْرَبَ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَجَّ بِجَوْرِهِ
وَاجْرَعُ بِدَوْرِكَ صَابِراً كَأْسَ الرَّدَى
فَالْكُلُّ سَوْفَ يَذُوقُهَا فِي دَوْرِهِ

- ١٣٥ -

لَأَزْتَشِفَ الْمُدَامَةَ أَيَّ وَقْتٍ
وَأَنْ يَكُ أَشْرَفَ الْأَوْقَاتِ قَدْراً
مَلَأْتُ الدُّنْ مِنْ عِنَبٍ حَلَالٍ
فَقُلْ لِلَّهِ لَا يَجْعَلُهُ خَمِراً

- ١٣٦ -

أَيَا فَلَكَا يَجْرِي بِبُؤْسِي خَلْنِي
فَلَسْتُ حَرِيّاً أَنْ تُسْومَنِي الْأَشْرَا
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى غَيْرَ حُرٍّ وَعَاقِلٍ
فَلَسْتُ كَمَا قَدْ خَلْتَنِي الْعَاقِلَ الْحُرّاً

- ١٣٧ -

أَلَا لَيْتَ الثَّوَاءَ يَكُونُ أَوْ أَنْ
يَكُونُ لَنَا انْتِهَاءٌ فِي الْمَسِيرِ
وَلَيْتَ لَنَا وَإِنْ سَلَفَتْ قُرُونٌ
رَجَاءٌ أَنْ سَنَنْبُتَ كَالزُّهُورِ

- ١٣٨ -

رَأَيْتُ فِي حَائَةِ شَيْخًا فَقُلْتُ لَهُ:
أَلَا تُخَبِّرُنَا عَمَّنْ مَضَوْا خَبَرًا
قَالَ: ازْتَشِفْهَا فَكُمْ أَمْثَالُنَا رَحَلُوا
وَلَمْ يَعُودُوا وَلَمْ نَشْهَدْ لَهُمْ أَثَرًا

- ١٣٩ -

مَرَزْتُ بِمَعْمَلِ الْخَزَافِ يَوْمًا
وَكَانَ يَجِدُّ فِي الْعَمَلِ الْخَطِيرِ
وَيَضْنَعُ لِلْجَرَارِ عُرَى تَرَاهَا
يَدُ الشَّخَاذِ أَوْ رَأْسُ الْأَمِيرِ

- ١٤٠ -

عَاطِبَنِي الرِّاحُ فَهِيَ قُوْتُ لِنَفْسِي
وَاسْقِنِيهَا وَإِنْ تَزِدْ فِي حُمَارِي
إِنَّ هَذِي الدُّنْيَا أَسَاطِيرُ وَهْمٍ
وَحَيَالٍ وَالْعُمُرُ كَالرَّيْحِ سَارِي

- ١٤١ -

رَأَيْتُ فِي السُّوقِ خَزَافاً غَدَاً دَبِياً
يَدُوسُ فِي الطُّيْنِ رَكْلاً غَيْرَ ذِي حَدَرٍ
وَالطُّيْنُ يَدْعُو لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُ: أَلَا
قَدْ كُنْتُ مِثْلَكَ فَازِفَتْ بِي وَلَا تَجُرِ

- ١٤٢ -

قِيلَ خُلِدْ غَدَاً وَحُورٌ وَكَوْنُزُ
أَنْهَرُ مِنْ طِلَاً وَشَهْدٍ وَشُكْرُ
فَعَلَى ذِكْرِهَا أَدِرْ لِي كَأْساً
إِنَّ نَقْداً مِنْ أَلْفِ دِينَ لَأَجْدُرُ

- ١٤٣ -

يَقُولُونَ: حُورٌ فِي الْعَدَاةِ وَجَنَّةُ
وَلَمَّةُ أَنْهَارٍ مِنَ الشَّهْدِ وَالْحُمُرِ
إِذَا اخْتَرَتْ حُورَاءَ هُنَا وَمُدَامَةً
فَمَا الْبَاسُ فِي ذَا وَهُوَ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ

- ١٤٤ -

كَمْ فِتْنَةٍ قَدْ مَاءً أَثَارَ مِنَ النَّرَى
إِذْ كَوَّنَ الْبَارِي نَرَايَ وَصَوَّرَا
أَنَا لَا أُطِيقُ تَرْقِيّاً عَمَّا أَنَا
فِيهِ فَطِينِي أَفْرَعُوهُ كَمَا تَرَى

- ١٤٥ -

فِيمَ وَرَوْضُ سَعْدِكَ الْيَوْمَ زَهَى
كَفُّكَ مِنْ كَأْسِ الْمُدَامِ تُضْفِرُ
إِشْرَبْ فَهَذَا الدَّهْرُ خَضَمٌ غَادِرٌ
وَنَيْلٌ مِثْلُ الْيَوْمِ سَوْفَ يَغْشُرُ

- ١٤٦ -

هَاتِ ذَوْبَ الْعَقِيقِ وَسَطَ زُجَاجٍ
هَاتِ خَيْرَ الْجَلِيسِ لِلْأَخْرَارِ
إِنَّمَا عَالَمُ الثُّرَابِ كَرِيحٍ
يَنْقُضِي مُشْرِعاً فَجئاً بِالْعُقَارِ

- ١٤٧ -

مَا تَضَنُّعُ الْأَفْلَاكُ يَوْمَ طِينَةٍ
إِلَّا وَتَكْسِرُهَا وَتُرْجِعُهَا الثَّرَى
لَوْ كَانَ يَحْتَمِلُ السَّحَابُ ثَرَى عَدَا
لِنُشُورِنَا بِدَمِ الْأَعِزَّةِ مُمَاطِرَا

- ١٤٨ -

إِذَا كُنْتَ تَسْعَى فِي الْحَيَاةِ لِمَطْعَمٍ
إِلَى مَبْشَرٍ أَوْ مَلْبَسٍ فَلَكَ الْعُذْرُ
وَفِيمَا عَدَا هَاتِيكَ فَالْسَّغْيُ ذَاهِبٌ
هَبَاءٌ فَحَاذِرٌ أَوْ يَضِيعُ بِهِ الْعُمْرُ

غَسَلَ الرَّبِيعُ بِغَيْثِهِ الصَّخْرَاءَ وَالْأَ
فْرَاحَ عَادَتْ لِلزَّمانِ فَأَزْهَرَا
إِشْرَبَ وَمُخْضَرَّ الْعِذارِ بِرَوْضَةٍ
لِتُسَرَّ مَنْ مِنْ رَمْسِهِ اخْضَرَ الثَّرَى

مَتَى اقْتَلَعْتُ كَفَّ الْمَنِيَةِ دَوْحَتِي
وَعُذْتُ لَدَى أَقْدَامِهَا أَتَعَفَّرُ
فَلَا تَضْنَعُوا طِينِي سِوَى كُوزِ قَرْقَفٍ
عَسَى يُمَثِّلِي بِالرَّاحِ يَوْمًا فَأُشَرُّ

لَمْ يَبْقَ مِنِّي فِي الدُّنْيَا سِوَى رَمَقٍ
وَلَيْسَ فِي الْيَدِ مِنْ صَخْبِي سِوَى الْكَدْرِ
لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ طِلا أَمْسٍ سِوَى قَدَحٍ
وَلَسْتُ أَغْلَمُ مَا الْبَاقِي مِنَ الْعُمُرِ

- ١٥٢ -

حَتَّى مَ ذِكْرُكَ لِلْجِنَانِ أَوْ الْجَحِيمِ الْمُسْعَرَةِ
وإِلَى مَتَى سُرُجُ الْمَسَاجِدِ أَوْ بُخُورُ الْأَذْيَرَةِ
أَنْظُرْ إِلَى لَوْحِ الْقَضَا وَاسْتَجِلْ وَاقْرَأْ أَسْطَرَّةَ
فَاللَّهُ قَدْ مَأْ كُْلَّمَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ قَدَّرَهُ

- ١٥٣ -

كُلُّ شَوْكِ يَدُوشُهُ حَيَوَانٌ
كَانَ صِدْغاً أَوْ حَاجِباً لِعَرِيرِ
وَكَذَا اللَّبْنُ فِي دُرَى كُلِّ قَضِرٍ
رَأْسُ مَلِكٍ أَوْ إِضْبِعُ لِيُوزِيرِ

- ١٥٤ -

لَا تَغْضِبَنَّ عَلَى النَّشَاوَى وَالتَّزِمِ^(١)
حُسْنَ السُّلُوكِ وَسِيرَةَ الْأَخْيَارِ
وَاشْرَبْ فَلَسْتَ بِشُرْبِهَا أَوْ تَزْكُهَا
تَرِدُ الْجِنَانَ وَأَنْتَ طَعْمَةُ نَارِ

- ١٥٥ -

أَخَافُ أَنْ لَا أَعِيشَ بَعْدُ وَلَا
أُذْرِكَ جَمْعَ الرَّفَاقِ إِنْ حَضَرُوا

(١) النشأوى: جمع نشوان.

فلنغتني لحظة نعيش بها
لعل من بعد ينفذ العمر

- ١٥٦ -

قالوا: ألا إن النشأوى في لظى
قول له عقل المفكر منكرو
إن كان من يهوى ويسكر في لظى
سترى الجنان كراحة اليد تُضفر

- ١٥٧ -

أراني من الصهباء لم أضح لحظة
وأأمل حتى إن تكن ليلة القدر
أعانيق دنأ أو أقبل أكوساً
وكفي بجيد الكوز تبقى إلى الفجر

- ١٥٨ -

وشيخ بئوم السكر مغف رأيتُه
ولم تبق فيه فطنة وشعور
حساها وأغفى وهو نشوان قائلاً
إلهي لطيف بالعباد عفور

- ١٥٩ -

قد قيل لي: قلل تعاطي الخمر
بأي عذر لم تزل في سكر

نُورُ الطَّلَا عُذْرِي وَخُذْ السَّاقِي
فَهَلْ تَرَى أَوْضَحَ مِنْ ذَا الْعُذْرِ

- ١٦٠ -

إِنَّ أَجْرَامَ ذَا الرِّوَاقي الْمُعَلَّى
حَيَّرْتُ مِنْ ذَوِي النُّهَى الْأَفْكَارَا
إِخْتَفِظْ فِي شَرِيفِ عَقْلِكَ وَأَنْظُرْ
دَوْرَ هَذِي الْمُدَبَّرَاتِ حَيَارَى

- ١٦١ -

قُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ اللَّيْبُ مُسَارِعاً
وَانْظُرْ لِذَاكَ الطُّفْلِ يُذْرِي بِالنَّارَى
فَانْصَحْهُ أَنْ يُذْرِي بِرَفْقِ عَيْنِ «بَرْوِيز»^(١) وَمُخَّ «قُبَاد» سُلْطَانِ الْوَرَى

- ١٦٢ -

لَمْ يَهْنُ فِي هَذَا الزَّمَانِ سِوَى أَفْرِءٍ
عَرَفَ الْوُجُودَ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ

(١) وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، ومعنى أبرويز بالعربية: المظفر، ويعرف بخسرو الثاني، وهو جد كسرى يزديجرد آخر ملوك الدولة الساسانية، التي انهارت على يد الجيش الإسلامي، وارتبطت فترة حكم أبرويز بالتحويلات الكبرى في المنطقة، فهو الذي هزم الروم في بلاد الشام وفي ذلك نزلت الآية من سورة الروم «الْم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ» ووصلت حدود مملكته أقصى حدود ذروتها قبل أن تنهار، على يد العرب، فقد حدثت في فترة حكمه معركة ذي قار بين العرب والفرس، وفي عهده كذلك ظهر الإسلام في الجزيرة العربية. وهو الذي أرسل له النبي محمد رسالة يدعو فيه إلى الإسلام، فمزق أبرويز الرسالة، ولما علم النبي محمد بذلك قال: اللَّهُمَّ مَزُقْ مَلِكَهُ.

أَوْ غَافِلٍ عَنْ نَفْسِهِ وَزَمَانِهِ
لَمْ يَذَرِ مَا فِي نَفْسِهِ أَوْ دَهْرِهِ

- ١٦٣ -

هَلِ الْجَامُ مَهْمَا تَمَّ صُنْعاً وَدِقَّةً
يَرَى كَسْرَهُ مَنْ كَانَ مُنْتَشِياً سُكْرًا
فَفَيْمَ بَرَى الْخَلَّاقُ سَاقاً لَطِيفَةً
وَرَأْساً وَكَفّاً تَمَّ يَكْسِرُهَا كَسْرًا؟

- ١٦٤ -

لَوْ كَانَ لِي كَاللَّهِ فِي فَلَكَ يَدٌ
لَمْ أُبْقِ لِلْأَفْلَاقِ مِنْ آثَارِ
وَخَلَقْتُ أَفْلَاكاً تَدُورُ مَكَانَهَا
وَتَسِيرُ حَسْبَ مَشِيئَةِ الْأَخْرَارِ

- ١٦٥ -

مَا أَسْرَعَ مَا يَسِيرُ رَكْبُ الْعُمَرِ
قُمْ فَاغْنِمْ لِحِظَةِ الْهِنَا وَالْبِشْرِ
دَغْ هَمَّ غَدٍ لِمَنْ يَهْمُؤُونَ بِهِ
وَاللَّيْلُ سَيُنْقِضِي فَجِئْ بِالْخُمْرِ

- ١٦٦ -

قَالُوا دَعْ الرِّاحَ سَتَلْقَى الْبَلَا
مِنْهَا وَتُلْقَى فِي لَظَى مُشْعَرَةٍ

نعم ولكن نشوتي لحظة
أحلى من الدنيا مع الآخرة

- ١٦٧ -

أوجدتني يا رب من عدم ولي
أشديت فضلاً ما له مقدار
عذري بأنني عند حكمك عاجز
ما دام يوماً من نراي غبار

- ١٦٨ -

كم جبت من وادٍ وسهل دون أن
أخطى بتخسين لبغض أموري
قد سررتني أن الحياة قد انقضت
عني وإن تك ما انقضت بسُرور

- ١٦٩ -

قد داعبت ريح الصبا الورد وقد
هاج الهزار حسنه فاستبشرا
إجلِس لَدَى الزَّهْرِ فكم على الثرى
تَنَائِرُ الْأَزْهَارُ إِذْ نَحْنُ ثَرَى^(١)

(١) وقد ورد البيت الثاني من الرباعية المذكورة بشكل آخر هذا تعريبه:
إجلِس بِظِلِّ الزَّهْرِ فَالْأَزْهَارُ كَمِ مِنَ الثَّرَى بَدَتْ وَعَادَتْ لِلثَّرَى

- ١٧٠ -

أَلَا لَيْتَ رَبِّي يَقْلِبَ الْكَوْنَ بَغْتَةً
وَيُنْشِئُهُ خَالًا لَأَنْظُرَ مَا يَجْرِي
فَلِمَا يَزِيدُ الرِّزْقُ لِي أَوْ يُمِيتُنِي
وَيَمْحُو اسْمِي الْمَسْطُورَ مِنْ دَفْتَرِ الدَّهْرِ

- ١٧١ -

هَاتِ الْمُدَامَ فِيهِ الْفُؤَادُ لَوَاعِجُ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الزُّبُنِ الْفَرَارِ
إِنْهَضْ فِيْقْظَةً عُمْرِنَا نَوْمٌ وَمَا
نَارُ الصَّبَا إِلَّا كَمَاءٍ جَارِي

- ١٧٢ -

قَالُوا سَيْشْتَدُّ الْحِسَابُ بِنَا عَدَا
وَيَضِيقُ صَدْرُ حَبِيبِنَا فِي الْمَحْشَرِ
أَيَكُونُ مِنْ حَسَنٍ سِوَى حَسَنٍ إِذْ
حَسُنْتَ عَوَاقِبُنَا فِطْبٍ وَاسْتَبْشِرِ

- ١٧٣ -

سَأَلْتُكَ: هَلْ زَادَتْ بِمُلْكِكَ طَاعَتِي
وَهَلْ أَنْقَصَتْ مِنْهُ خَطَايَايَ مِنْ قَدْرِ
فَدَغْنِي وَدَغْ نَضْرِي فَطَبْعُكَ بَانَ لِي
سَرِيعٌ لِخِذْلَانِ بَطِيءٍ عَنِ النَّضْرِ

- ١٧٤ -

أَسْلُكْ سَبِيلَ بَنِي الْحَنَاتِ وَاسْعَ إِلَى
رَاحٍ وَعُودٍ وَظَنِّي يَبْهَجُ النُّظْرَا
فِي الْكَفِّ كَأَنَّ وَفُوقَ الْمَتَنِ كُوزُ طِلَا
إِشْرَبْ حَبِيبِي الْحُمَيَا وَاتْرُكِ الْهَذْرَا

- ١٧٥ -

لَمْ يَنْمُ فِي الصَّخْرَاءِ رَوْضُ شَقَائِقِ
إِلَّا وَكَانَ دِمَاءً جَرَى لِأَمِيرِ
وَكَذَاكَ كُلُّ وَرَيْقَةٍ بِبَنْفَسِجِ
خَالٌ بَدَا زَمَنًا بِخَدِّ غَرِيرِ

- ١٧٦ -

إِنْ كُنْتَ تَفْقَهُ يَا هَذَا الْفَقِيهَ فَلِمَ
تَلْحُو فِلَاسِفَةً دَانُوا بِأَفْكَارِ
هُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ الْبَارِي وَصَنَعَتِهِ
وَأَنْتَ تَبْحَثُ عَنْ حَيْضٍ وَأَقْذَارِ

- ١٧٧ -

أَتَذَرِي لِمَاذَا يُضْبِحُ الدِّيكُ صَاحِحًا
يُرَدِّدُ لَحْنَ النَّوْحِ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ؟
يُنَادِي: لَقَدْ مَرَّتْ مِنَ الْعُمْرِ لَيْلَةٌ
وَهَا أَنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَاكَ وَلَمْ تَذَرِ

- ١٧٨ -

هَذَا الْفَضَاءُ الَّذِي فِيهِ نَسِيرُ حَكِي
فَانُوسَ سِخْرِ خَيَالِيَّ لَدَى النَّظَرِ
مِضْبَاحُهُ الشَّمْسُ وَالْفَانُوسُ عَالَمُنَا
وَنَحْنُ نَبْدُو حَيَارَى فِيهِ كَالضُّورِ

- ١٧٩ -

إِذَا لَمْ أَتْلُ وَزِدًا فَحَسْبِي شَوْكُهُ
وَإِنْ لَمْ أَتْلُ نُورًا كَفَتْ عِنْدِي النَّارُ
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ شَيْخًا بِبُرْدٍ وَتَكْيَةِ
فَحَسْبِي نَاقُوسٌ وَدَيْرٌ وَزَنَّاؤُ

- ١٨٠ -

دَخَلْتُ فِي الْحَانَ نَشْوَانًا وَكَانَ بِهِ
شَيْخٌ عَلَى مَثْنِهِ كُوزٌ وَقَدْ سَكِرَا
فَقُلْتُ: هَلَّا مِنَ اللَّهِ اغْتَرَاكَ حَيَا
قَالَ: أَحْسِبْهَا فَهُوَ يَغْفُو وَاتْرُكِ الْهَذْرَا

حرف الزاي

- ١٨١ -

عَنِ الْهَمِّ أَغْرِضْ مَا اسْتَظَعْتَ وَلَا تَدْعُ
لِمَا مَرَّ أَوْ مَا لَمْ يَرُدْ فِي الْحَشَا وَخُزَا
وَعِشْ وَازْتَشِفْ وَاهْنَأْ فَلَسْتَ بِآخِذٍ
لرُمْسِكَ مِنْ فَلْسٍ وَإِنْ تَمْتَلِكُ كُنْزَا

حرف السين

- ١٨٢ -

يا لهذا القلبِ البئسِ المُعْتَى
لم يُفِقْ من هوى الحبيبِ القاسي
مُذْ أَدَارُوا سُلَافَةَ الحُبِّ قِذْماً
مَلَأُوا مِنْ دَمِ الحُشَاشَةِ كَاسِي

- ١٨٣ -

حَتَّى مَ أَضْبِحُ فِي هَمِّ بَائِي : هَلْ
أَهْنَأُ وَأَحْزَنُ؟ أَوْ أُثْرِي وَأُبْتَسُّ؟
هَاتِ الْمُدَامَ فَإِنِّي لَسْتُ أَغْلَمُ هَلْ،
مَتَى زَفَرْتُ لِصَدْرِي، يَزْجِعُ النَّفْسُ؟

- ١٨٤ -

الرَّاحُ أَطِيبُ لِي مِنْ مُلْكِ «طُوس»^(١) وَمِنْ
سَرِيرِ كِسْرَى وَتَخْتِ الْمَلِكِ قَابُوسِ^(٢)

(١) طُوس: هي مدينة بخراسان، قرية من نيسابور، وبها قبر علي بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد. وتعد ممراً قديماً نحو الصين.

(٢) قابوس بن المنذر الثالث، ويعرف كذلك بقابوس ابن هند، ملك من ملوك العرب

وإِنَّمَا أَنْتَ السَّكِيرُ فِي سَحَرٍ
خَيْرٌ مِنَ الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى بِتَذْلِيلِ

- ١٨٥ -

رُبَّ طَيْرٍ فِي «طُوسٍ» أَلْقَى لَدَيْهِ
رَأْسَ قَابُوسَ ذِي الْعُلَى وَالْبَاسِ
وَهُوَ يَذْعُوهُ أَيُّهَا الرَّأْسُ لَهْفًا
أَيْنَ صَوْتُ الطُّبُولِ وَالْأَجْرَاسِ؟

- ١٨٦ -

أَلَا قُمْ لِنَحْشُوهَا وَنُغْمِلَ عُودَنَا
وَنُبَدِّلَ حُسْنَ الصَّيْتِ بِالْعَارِ وَالرُّجْسِ
وَدَعْنَا نَبْعَ بِالكَاسِ سَجَادَةَ الثُّقَى
وَنَكْسِرَ فَوْقَ الصَّخْرِ قَارُورَةَ الْقُدْسِ

- ١٨٧ -

إِنْ اشْتَهَزْتَ فَشَرُّ النَّاسِ أَنْتَ وَإِنْ
كُنْتَ انْزَوَيْتَ فَقَدْ عَانَيْتَ وَشَوَاسًا

للخمين، ملوك «الحيرة» غاصمة العراق في الجاهلية. تولاها بعد مقتل أخيه «عمرو ابن هند» ولطرفة بن العبد أبيات في هجائه وهجاء أخيه عمرو لن هند:
لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير
قصمت الدهر في زمي رخي كذاك الحكم يقصد أو يجوز

لَوْ كُنْتَ خَضِرًا وَإِلْيَاسًا سَعِدْتَ بِأَنْ
لَا تُغْرِفَنَّ وَأَنْ لَا تُغْرِفَ النَّاسَا

- ١٨٨ -

دَعِ كُلَّ مَفْرُوضٍ وَمَنْدُوبٍ وَمِنْ
قُوتٍ لَدَيْكَ فَأَطْعِمَنَّ النَّاسَا
لَا تُؤْذِ خَلْقَ اللَّهِ أَوْ تَغْتَبِهِمْ
وَأَنَا الضَّمِيمُ عَدَا فِهَاتِ الْكَاسَا

- ١٨٩ -

يَا خَمْرُ مَا أَخْلَاكَ وَشَطَّ زُجَاجَةٍ
تَاللَّهِ أَنْتِ عِقَالُ عَقْلِ الْحَاسِي
لَا تُمְهِلِينَ مَنْ اخْتَسَاكَ هُنَيْهَةً
حَتَّى تُبَيِّنِي كُنْهَهُ لِلنَّاسِ

- ١٩٠ -

إِذَا ارْذَأَتِ الدُّنْيَا لَدَيْكَ فَلَا تَثِقْ
بِمَا لَمْ يَثِقْ فِيهِ لَبِيبٌ وَكَيْسٌ
فَمِثْلُكَ كَمْ آتٍ إِلَيْهَا وَذَاهِبٌ
فَقُمْ وَاخْتَلِسْ خَطَا بِهَا فَسْتُخْلَسْ

- ١٩١ -

مَرَّتْ لِيَالٍ نَحْنُ لَمْ نُغْمِضْ بِهَا
طَرَفًا وَلَمْ نَشْرُكْ دِهَاقَ الْكَاسِ

فَمَنْ نَخَسْهَا قَبْلَ الصَّبَاحِ فَكَمْ لَهُ
نَفْسٌ وَنَحْنُ لَقِيَ بِلا أَنْفَاسٍ

- ١٩٢ -

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ اِشْمٍ مِنَ اللَّذَاتِ أَوْ
غَيْرِ السُّلَافَةِ مِنْ جَلِيسٍ كَيْسٍ
لَا تُلْقِ مِنْ يَدِكَ الْمُدَامَ فَمَا بَقِيَ
فِي الْكَفِّ هَذَا الْيَوْمَ غَيْرُ الْأَكْؤُسُ

حرف الشين

- ١٩٣ -

هَاتِ الْمُدَامَ فَمَا الدُّنْيَا سِوَى نَفْسٍ
يَكْفِيكَ عَيْشُكَ أَنَا مِنْهُ مُنْتَعِشًا
إِهْنَأْ بِكُلِّ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ
فَلَيْسَ يَجْرِي كَمَا يَهْوَى امْرُؤٌ وَبَشَا

حرف الضاد

- ١٩٤ -

لَوْ تَشَقَّى الطَّوْدَ لَاغْتَرَاهُ الرَّفْصُ
مَنْ يَنْتَقِصِ الرَّاحَ فِيهِ النَّقْصُ
حَتَّى مَ تَقُولُ لِي: عَنِ الرَّاحِ فُتُبُ
هَذَا رُوحٌ بِهَا يُرَبَّى الشَّخْصُ

حرف الضاد

- ١٩٥ -

أُنْظِرِ الْعُمَرَ كَيْفَ يَمْضِي حَزِيناً
فَابْتَدِرْهُ فَسَوْفَ يُودِي وَيَقْضِي
مَا رَأَيْتُ الْهِنَاءَ عُمْرِي فَلَهْفِي
لِحَيَاةٍ كَذَا تَمُرُّ وَتَمْضِي

- ١٩٦ -

إِذَا مَا أَتَيْنَا خَاشِعِينَ لِمَسْجِدٍ
فَلَمْ نَأْتِ نَقْضِي لِلصَّلَاةِ فُرُوضَهَا
وَلَكِنْ سَرَقْنَا مِنْهُ سَجَّادَةً وَمُذْ
عَرَاها الْبَلَى جِئْنَا لِكِي نَسْتَعِيزُهَا

حرف العين

- ١٩٧ -

مَا أَهْرَقَ السَّاقِي سُلَافاً فِي الثَّرَى
إِلَّا وَأَطْفَأَ نَارَ قَلْبٍ مُوَلِّعٍ
أَتَظُنُّ رَاحاً ذَلِكَ الْمَاءَ الَّذِي
يُودِي بِمَاءَةِ عِلَّةٍ فِي الْأَضْلَعِ

- ١٩٨ -

إِلَهِي وَمُجْرِي كُلِّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ
وَرَبِّ السَّمَاءِ ذَاتِ النُّجُومِ السَّوَاطِعِ
لَنْ كُنْتُ ذَا سُوءٍ فَإِنَّكَ سَيِّدِي
وَمَا هُوَ ذَنْبِي إِنْ تَكُنْ أَنْتَ صَانِعِي

- ١٩٩ -

الدَّهْرُ مِنْ غُمْرِي لَحْظَةٌ وَمَا
«جَيْحُونَ» إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ أَدْمُعِي
النَّارُ مِنْ أَخْزَانِنَا شَرَارَةٌ
وَالْحُلْدُ لَحْظَةٌ الْهِنَاءِ الْمُسْرِعِ

- ٢٠٠ -

كُنْتُ بَارِزاً فَطَرْتُ مِنْ عَالَمِ السِّرِّ لِأَعْدُو عَنِ الْحَضِيضِ رَفِيعاً
حَيْثُ إِنِّي لَمْ أَلْقَ لِلْسِّرِّ أَهْلاً
عَذْتُ مِنْ حَيْثُ قَدْ أَتَيْتُ سَرِيعاً

- ٢٠١ -

إِنْ يَهْوِ كَالْكُرَةِ الْوُجُودُ بِهَوَاةٍ
لَمْ يَغْنِنِي وَأَنَا بِشُكْرِي هَاجِعُ
بِالْأَمْسِ فِي حَانَ الْمُدَامِ رُهِنْتُ وَالْخَمَّارُ كَانَ يَقُولُ: رَهْنٌ نَافِعُ

- ٢٠٢ -

ذُ اللَّبِّ لَا يُضْبِحُ فِي هَمٍّ عَدِيمِ الْمُنْفَعَةِ
وَيَشْرَبُ الرِّاحَ تَبَاعاً فِي كُؤُوسٍ مُثْرَعَةٍ
أَلْهَمْتُ فِي الْقَلْبِ وَفِي الْكُوزِ الْمُدَامُ مُودَعَةً
بُؤْساً لِمَنْ عَافَ الطَّلَا وَاحْتَمَلَ الْهَمَّ مَعَهُ

- ٢٠٣ -

إِذَا كَانَ يَجْرِي الدَّهْرُ عَكْسَ مَرَامِنَا
فَهَلْ جِدْنَا يُجِدِي أَوْ الْفِكْرُ يَنْفَعُ
جَلَسْنَا زَمَاناً حَائِرِينَ لِأَتْنَا
إِلَى الْعَيْشِ أَبْطَانَا وَلِلْمَوْتِ نُشْرَعُ

حرف الفاء

- ٢٠٤ -

نحنُ نبيعُ التُّخْتِ والتَّاجَ بصوتِ المِعْزَفِ
ونشتري بِسُبْحَةِ الرِّياءِ كأسَ قَرْقَفِ

- ٢٠٥ -

مررتُ أمسٍ بِخَزَافٍ يُدَقُّ فِي
صُنْعِ الثَّرَى دائباً من دُونِ إِنْصَافِ
شاهدتُ إنْ لم يُشَاهِدْ غَيْرُ ذِي بَصَرٍ
ثَرَى جُدُودِي بِكَفِّي كُلِّ خَزَافِ

- ٢٠٦ -

حُسْنُ الْأُمُورِ وَقُبْحُهَا مِنْ نَحْوِنَا
وَمِنْ الْقِضَا فَرَحٌ وَحُزْنٌ مُذِنِفُ
لَا تَغُرُّ لِلْأَفْلَاكِ تِلْكَ فِائِئَهَا
أَوْهَى بِشَرْعِ الْحُبِّ مِنْكَ وَأَضْعَفُ

- ٢٠٧ -

مَنْ نَالَ فِي الْيَوْمِينَ جُرْعَةً مَاءٍ
مِنْ جَرَّةٍ مَكْسُورَةٍ وَرَغِيفًا
لَمْ يَغْتَدِ عَبْدًا لِمَنْ هُوَ مِثْلُهُ
أَوْ سَائِمًا مَنْ دُونَهُ تَكْلِيفًا؟

- ٢٠٨ -

فَمَنْ نَضَطَبِخَهَا حَمْرَةً وَزِدِيَّةً
فِي رَنَّةِ الْعُودِ وَصَوْتِ الْمِغْرَفِ
أَضْحُ فَأَيَّامُ التَّرَاوِيحِ انْقَضَتْ
وَالْيَوْمَ عِيدٌ فَلْنَسِرْ لِلْقَرْقَفِ^(١)

- ٢٠٩ -

يَا ذَهْرُ هَلْ بِالَّذِي تَأْتِيهِ تَغْتَرِفُ
أَلَمْ تَزَلْ بِزَوَايَا الظُّلَمِ تَغْتَكِفُ
تُغْطِي اللَّثِيمَ نَعِيمًا وَالكَرِيمَ عَنَّا
لَا شَكَّ إِلَّا حِمَارٌ أَنْتَ أَوْ خَرِفُ

- ٢١٠ -

عَدَا إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ الْجَزَا
قَدْرُكَ يَغْدُو حَسَبَ الْمَغْرِفَةِ

(١) القرقف: من أسماء الخمر.

فَنَلَّ صِفَاتِ حُسْنَتِ إِيَّامَا
تُخْشَرُ إِنْ مُتَّ بِشَكْلِ الصِّفَةِ

- ٢١١ -

أَلْبَحْتُ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُثْمِرْ لَنَا ثَمَرًا
فَمَا نَحَاهُ امْرُؤٌ بِالْحِكْمَةِ اتَّصَفَا
كُلُّ امْرِئٍ هَزَّ غُضُنًا مِنْهُ مُضْطَرِبًا
الْيَوْمُ كَالْأَمْسِ وَالْآتِي كَمَا سَلَفَا

- ٢١٢ -

يَدُّ لِي فِي جَامٍ وَأُخْرَى بِمُضْخَفٍ
وَطُورًا أَنَا الْجَانِي وَطُورًا أَنَا الْعَفُ
أَعِيشُ وَمَا لِي تَخْتُ ذَا الْأُفْقِ مَبْدَأُ
فَلَا مُسْلِمٌ مَخْضٌ وَلَا كَافِرٌ صِرْفُ

حرف القاف

- ٢١٣ -

تَوْضُأً إِذَا مَا كُنْتُ فِي الْحَانِ بِالطَّلَا
فَمَنْ يَفْتَضِخْ شَأْنًا فَلَا يَزُجْ أَنْ يَرْقَى
أَدِرْ لِي الْحُمَيَا إِنَّ سِتْرَ عَفَافِيَا
قَدْ انْشَقَّ حَتَّى لَا تُطِيقَ لَهُ رَتْقَا

- ٢١٤ -

إِنَّ مَنْ لَزُمُوا الْمَحَارِبَ لَيْلًا
وَالْأَلَى عَاقَرُوا كُؤُوسَ الرَّجَاحِ
غَرِقَ الْكُلُّ مَا بِهِمْ قَطُّ نَاجٍ
وَعَفُوا كُلُّهُمْ فَمَا مِنْ مُفِيقٍ

- ٢١٥ -

هَاتِهَا كَالشَّقِيقِ أَوْ كَالْعَقِيقِ
وَأَسِلْ بِالذَّمِّ فَمِ الْإِبْرِيقِ
مَا لِي الْيَوْمَ غَيْرُ كَأْسِ الْحُمَيَا
مِنْ صَدِيقٍ صَافِي الضَّمِيرِ رَفِيقِ

- ٢١٦ -

لا يَرُوقُ السُّجُودُ مِنْ دُونِ سَاقِي
وَمُدَامِ وَصَوْتِ نَائِي عِرَاقِي
لا أَرَى الْعَيْشَ مَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ
غَيْرَ نَيْلِ الشُّرُورِ بَيْنَ الرَّفَاقِ

- ٢١٧ -

مَتَى انْبَلَجَ الصُّبْحُ الْمُشْغِشُ فَلْيَكُنْ
بِكَفِّكَ لِلصَّهْبَاءِ جَامٌ مُرُوقٌ
يَقُولُونَ إِنَّ الرِّيحَ مُرٌّ مَذَاقُهَا
فَقُلْتُ إِذْنِ فَالرِّيحُ حَقٌّ مُحَقَّقُ

- ٢١٨ -

الدَّهْرُ مَا صَافَى أَمْرَاءَ كَلًّا وَكَمْ
مَنْ عَاشِقٍ أَرْدَى وَمِنْ مَغْشُوقِ
مَنْ مَاتَ لَا يَخْيِي لَعْنُكَ مَرَّةً
أُخْرَى فَبَادِرْ وَاحْسِنْ جَامَ رَحِيْقِ

- ٢١٩ -

فَكَّرْتُ فِي الدِّينِ أَقْوَامَ كَمَا
حَارَ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْقَطْعِ فَرِيْقُ
فَإِذَا الْهَاتِفُ يَدْعُوهُمْ أَيَا
بُلُهُ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ الطَّرِيْقُ

- ٢٢٠ -

زَيْنَتْ وَجَنَّةَ ذِيكَ الْمَلِيحِ لَنَا
يَا رَبِّ فِي سُنبُلٍ كَالْمِسْكِ ذِي عَبَقٍ
وَرُخْتِ تَأْمُرُ أَنْ لَا تَنْظُرَنَّ لَهُ
كَمَا تَقُولُ: «أَمِلْ كَأْساً وَلَا تُرِقِ»

- ٢٢١ -

يَخْلُو لَدَى النَّيْرُوزِ فِي الزَّهْرِ النَّدَى
وَيَرُوقُ فِي الرُّوضِ الْمُحْيَا الشَّائِقُ
الْأَمْسُ مَرَّ فَمَا يَرُوقُ حَدِيثُهُ
فَاهْنَأْ وَدَعْ أَمْساً فَيَوْمُكَ زَائِقُ

- ٢٢٢ -

مَا عِشْتَ أَسْرَ الدَّهْرِ فَاجْهَدْ وَارْتَشِفْ
كَاسَ الطَّلَا مَا دُمْتَ تَحْمِلُ طَوْقَهُ
إِنْ كَانَ أَوْلُنَا وَآخِرُنَا الثَّرَى
فَاخْسَبْ كَأَنَّكَ فِي الثَّرَى لَا فَوْقَهُ

- ٢٢٣ -

لَا أَنَا عَالِمٌ وَلَا أَنْتَ سِرُّ الدَّهْرِ أَوْ حَلَّ مُشْكِلٍ مِنْهُ دَقًّا
نَتَظَتَّى خَلْفَ السَّتَارِ فَإِنْ زَالَ فَلَا أَنْتَ وَلَا أَنَا ثُمَّ نَبْقَى

- ٢٢٤ -

بِكُرِّ الرَّبِّيعِ وَمَرِّ الشُّتَاءِ
حَيَاتُكَ تَبْلَى وَأَوْرَاقُهَا
فَلَا تَأْسَ وَاشْرَبْ فَإِنَّ الِهُمُومَ
هِيَ السُّمُّ وَالرَّاحُ تَزِيأُهَا

- ٢٢٥ -

أَنَّ الصَّبُوحَ هَلُمَّ فَافْتَحْ حَانَنَا
هَذَا «ذُكَاءً»^(١) تَهْمٌ بِالْإِشْرَاقِ
إِنْ كَانَ يُسْرِعُ لِلْفَنَاءِ زَمَانُنَا
فَهَلُمَّ فِي كَأْسٍ إِلَيَّ دِهَاقِ

- ٢٢٦ -

إِنَّ هَذَا الْكَأْسَ الظَّرِيفَةَ صُبْنَعًا
كُسِرَتْ ثُمَّ الْقَيْثُ فِي الطَّرِيقِ
لَا تَطَّأُهَا، وَنِكَ، اخْتِفَارًا فَقَدْمًا
صَنَعُوهَا مِنْ كَأْسِ رَأْسِ سَحِيقِ

(١) ذُكَاء: من أسماء الشمس.

رَأَى الصَّبَاحُ فَنُفِثَ أَرْقُ بِزُجَاجَةٍ
بَاقِي سُلَاقَةٍ لَيْلِنَا يَا سَاقِي
ثُمَّ اشْقِنِي كَأْساً وَبَادِرْ لَحْظَةً
مَنْ عُمْرِنَا سَتَزُولُ فَالْعَدُّ بَاقِي

حرف الكاف

- ٢٢٨ -

يا قَلْبُ إِنَّ يَمْنَحَكَ ذَا الدَّهْرِ الْأَسَى
وسيفُجَعْنَكَ بِأَغْتِيَالِ حَيَاتِكَ
فاغْنِمْ بِهَذَا الرَّوْضِ أَوْقَاتَ الْهِنَا
قَبْلَ امْتِزَاجِ نَبَاتِهِ بِرُفَاتِكَ

- ٢٢٩ -

لَا تَدْعِ الْهَمَّ يَعْتَرِيكَ وَلَا
يَضِقُ بِكَ الْعَيْشُ وَاطَّرَحَ كَمَدُكَ
وَلَا زِمَ الرَّوْضَ وَالْمِيَاهَ وَطَبَّ
مَنْ قَبْلُ أَنْ يَغْضُرَ الثَّرَى جَسَدُكَ

- ٢٣٠ -

أَلْقَيْتَ فِي كُلِّ مَنَهِجٍ شَرَكَا
وَقُلْتَ: مَنْ يَخْطُ خَطْوَةً هَلَكَا
بِالذَّنْبِ أَغْرَيْتَنِي وَتَنَسَّبُ لِي
ذَنْبًا وَكُلُّ الْأَحْكَامِ فِي يَدِكَ

- ٢٣١ -

قُمْ وَدَعْ هَمَّ عَالِمٍ سَوْفَ يَفْنَى
وَاعْتَنِمْ لَحْظَةً الشُّرُورِ لَدَيْكَ
إِنْ يَكُنْ فِي الزَّمَانِ أَذْنَى وَفَاءٍ
لَمْ تَصِلْ نَوْبَهُ الْهِنَاءِ إِلَيْكَ

- ٢٣٢ -

كَيْفَ يَحُومُ الْقَلْبُ يَوْمًا عَلَى
غَيْرِكَ أَوْ يَبْغِي هَوًى مَعَ هَوَاكَ
إِنَّ دُمُوعِي لَمْ تَدَعْ لَحْظَةً
عَيْنِي تَزُنُّو لِحَبِيبِ سِوَاكَ

- ٢٣٣ -

قُلْتُ: سَأَتْرُكُ الشَّرَابَ تَائِبًا
فَهُوَ دَمُ الْكَزْمِ وَلَسْتُ أَشْفِكُهُ
قَالَ لِي الْعَقْلُ: أَجِدَا قُلْتُ ذَا؟
قُلْتُ: لَقَدْ مَارَحْتُ، كَيْفَ أَتْرُكُهُ؟

- ٢٣٤ -

يَا مَنْ يُفَكِّرُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ
بِالْعَيْشِ هَلَّا خِفْتُ يَوْمَ رَدَاكَ
إِزْجِعْ لِنَفْسِكَ وَاضِحٌ وَانْظُرْ لَحْظَةً
فَعَلِ الزَّمَانِ وَصُنْعَهُ بِسِوَاكَ

أنا عَبْدُكَ الْعَاصِي فَأَيْنَ رِضَاكَ
وَلَقَدْ دَعَى قَلْبِي فَأَيْنَ سَنَاكَ
إِنْ كُنْتَ تَمْنَحُنَا الْجَنَانَ بِطَاعَةٍ
يَكُ ذَا لَنَا بَيْعاً فَأَيْنَ عَطَاكَ

حرف اللام

- ٢٣٦ -

أَصْبَحْتُ بِالشُّكْرِ وَالصَّهْبَاءِ مُفْتَتِنًا
فَفَيْمَ يُكْثِرُ لِي هَذَا الْوَرَى الْعَذْلَا
يَا لَيْتَ كُلَّ حَرَامٍ مُشَكِّرٌ لَأَرَى
فِي الْكَوْنِ كُلِّ فِتْنٍ مِنْ ذَنْبِهِ ثَمَلَا

- ٢٣٧ -

عِشْ وَابْنَةَ الْكَزْمِ فِي هِنَاءٍ
وَاشْرَبْ وَدَغَ بَاطِلَ الْخَيَالِ
فَالْبَيْتُ مَهْمَا تَكُنْ حَرَامًا
أَطْيَبُ مِنْ أُمِّهَا الْحَلَالِ

- ٢٣٨ -

أَرَى كُلَّ خِلَافٍ الْوَفَاءِ تَفَرَّقُوا
فَبَيْنَ صَرِيحٍ لِلرَّدَى وَقَتِيلٍ
شَرِبْنَا شَرَابًا وَاحِدًا غَيْرَ أَنَّهُمْ
بِهِ ثَمَلُوا مِنْ قَبْلِنَا بِقَلِيلٍ

- ٢٣٩ -

أَيَا قَلْبٍ مَا تَذِرِي بِسِرِّ أُولِي الثُّهَى
وَلَسْتُ لَذَا الرَّمْزِ الدَّقِيقِ تَرَى حَلًّا
مِنَ الرَّاحِ فَاضْنَعِ هَا هُنَا لَكَ جَنَّةٌ
فَتَمَّ جَنَانٌ هَلْ تَفُوزُ بِهَا أَوْ لَا

- ٢٤٠ -

كَسَرْتُ كُوزًا لِلطَّلَا عَنْ جَهْلٍ
إِذْ كُنْتُ نَشْوَانًا سَلِيبَ الْعَقْلِ
فَرَاخٌ يَدْعُو بِلِسَانِ الْحَالِ
مِثْلَكَ قَدْ كُنْتُ وَتَغْدُو مِثْلِي

- ٢٤١ -

لَيْسَ يَذِرِي سِرِّ الْوُجُودِ ابْنُ أُنثَى
وَبِتَكْوِينِهِ تَحَارُّ الْعُقُولُ
مَا أَرَى لِلْفَتَى سِوَى الرَّمْسِ مَثْوًى
وَهُوَ لَهْفِي حِكَايَةٌ سَتَطُولُ

- ٢٤٢ -

إِنْ مِتُّ فَانْكُثُمُوا رُفَاتِي وَاجْعَلُوا
آخِرَ أَمْرِي عِظَةً بَيْنَ الْمَلَا

وَبِالطَّلَا امزُجُوا نَرَايَ وَاضْنَعُوا
مِنْ طِينِهِ غَطَاءَ رَاقُودِ الطَّلَا^(١)

- ٢٤٣ -

ذَا يَوْمُكَ رَاقٍ وَالْهَوَاءُ اغْتَدَلَا
وَالرَّوْضُ بِوَائِكِفِ الْغُيُوثِ اغْتَسَلَا^(٢)
وَالْبُلْبُلُ بِالْبَهَارِ نَادَى جَذَلَا^(٣)
فَذَافَلَحَ مَنْ لَأَكُؤْسِ الرَّاحِ جَلَا

- ٢٤٤ -

يَا صَنَمِي قُمْ وَأَتِنِي مُعْجَلَا
وَحُلَّ فِي حُسْنِكَ لِي مَا أَشْكَلا
وَهَاتِنِي كُوزَ الْمُدَامِ قَبْلَ أَنْ
يُضْنَعَ مِنْ رُفَاتِنَا كُوزُ الطَّلَا

- ٢٤٥ -

خَيَّامُ طَبِّ إِنْ نِلْتَ نَشْوَةَ قَرْقَفٍ
وَحَبَّأَكَ وَزِدِّي الْخُدُودِ وَصَالَا

(١) الراقود: دُنْ خَزَف طَوِيل يَطْلَى دَاخِلُهُ بِالْقَارِ وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: لَا يَشْرَبُ فِي رَاقُودٍ وَلَا جِرَّةٍ. وَهُوَ مَعْرَبٌ كَمَا تَقُولُ الْمَعَاجِمُ.
(٢) واكف الغيوث: الأمطار الغزيرة.
(٣) البهائر: الغرائر وهو نبت بري ينبت أيام الربيع.

إِنْ كَانَ عَاقِبَةُ الْوُجُودِ هِيَ الْفَنَاءُ
فَافْرُضْ فَنَاءَكَ وَعِشْ سَعِيداً بَالَا

- ٢٤٦ -

إِذَا نِلْتَ رِطْلِي قَرِّقْ فَاخْسُ جَامَهَا
بِكُلِّ اجْتِمَاعٍ زَاقَ أَوْ مَحْفَلٍ حَالِي
فَمَا يَغْتَنِي بَارِي الْوُجُودِ بِشَارِبٍ
لِمِثْلِكَ أَوْ يَهْتَمُّ فِي دَقْنِ أُمِّيَالِي

- ٢٤٧ -

دَعْ الْمَاضِي وَمَا سَيَجِيءُ وَانْعَمْ
وِطْبُ نَفْساً بِكَاسَاتِ الشُّمُولِ
وَأَنْفُسَنَا مُعَارَاتٍ فَأَطْلِقْ
سَرَاحَ النَّفْسِ مِنْ قَيْدِ الْعُقُولِ

- ٢٤٨ -

أَخَذْتُ بِدَفْتَرِ الْأَيَّامِ فَالَا
فَجَاءَ نِدَاءُ ذِي ذَوْقٍ وَعَثَلِ
سَعِيدٌ مَنْ لَهُ أَلْفٌ كَبِيرٍ
يُنِيرُ وَلَيْلَةً فِي طُولِ حَوْلِ

- ٢٤٩ -

كُلَّمَا قَدْ رَأَيْتَ فِي الدَّهْرِ وَهْمٌ
وَالَّذِي قُلْتَ أَوْ سَمِعْتَ خِيَالُ

بَاطِلًا قَدْ غَدَوْتُ فِي الْأَرْضِ تَعْدُو
وَكَذَا الْأَنْزِوَاءُ فِي الدَّارِ آلُ

- ٢٥٠ -

أَعِبْتُ الطَّلَا عَمْدًا وَمِثْلِي ذُو حِجِّي
لَهُ يَغْتَدِي عِنْدَ النُّهَى شَرْبُهَا سَهْلًا
دَرَى اللَّهَ قَدَمًا بِأَرْشَافِي لِلطَّلَا
فَإِنْ أَجْتَنَّبَهَا يَنْقَلِبُ عِلْمُهُ جَهْلًا

- ٢٥١ -

يَا نَدِيمِي أَدِرْ عَقِيقَ الْحُمَا
وَأَرِحْنِي مِنْ هَمٍّ قِيلَ وَقَالَ
وَاسِعٌ فِي كُوزِهَا فَسَوْفَ تُسَوِّي
مَنْ نَرَانَا كُوزًا أَكْفُ اللَّيَالِي

- ٢٥٢ -

يَا قَلْبُ هَبْ أَتَّكَ زِلْتُ الْأَمَلَا
وَرَوْضُ أَفْرَاحِكَ بِالنَّبَاتِ حَلَا
فَلَسْتُ فِي رَوْضِ الْهَنَا سِوَى نَدَى
هَوَى لَدَى اللَّيْلِ وَفِي الصُّبْحِ عَلَا

- ٢٥٣ -

كَمْ ضَرَبْنَا فِي كُلِّ قُطْرٍ وَفَجَّ
وَادِيًا كَانَ أَوْ فَلَاةً وَسَهْلًا

لَمْ نَجِدْ مَنْ يَقُولُ مَنْ عَادَ مِنْ ذَاكَ الطَّرِيقِ الَّذِي مَضَى فِيهِ قَبْلًا

- ٢٥٤ -

أَنْظُرْ لِسُوءِ فِعَالٍ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ
وَأَنْظُرْ لِدَهْرِكَ مِنْ رِفَاقِكَ خَالِي
مَا اسْطَغَتْ فَاهُنَّ الْيَوْمَ لَا تَنْظُرُ غَدًا
أَوْ مَا تَقْضَى وَأَنْظُرْ لِلْحَالِ

- ٢٥٥ -

أَجِيلُ بِهَذَا الْكَوْنِ طَرْفِي مُدَقِّقًا
وَأُمْعِنُ فِيهِ فِكْرَةً وَتَأْمُلًا
فَسُبْحَانَ رَبِّي كُلِّ شَيْءٍ نَظَرْتُهُ
رَأَيْتُ بِهِ يَأْسِي لِعَيْنِي مُمَثَّلًا

- ٢٥٦ -

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِكُلِّ كُفٍّ عَارِفٍ
أَهْوِي عَلَى قَدَمَيْهِ غَيْرَ مُبَالٍ
أَتُرِيدُ مَعْرِفَةَ الْجَحِيمِ بِكُنْهَاتِهَا
إِنَّ الْجَحِيمَ لَصُخْبَةُ الْجُهَالِ

- ٢٥٧ -

بَادِرْ زَمَانَكَ وَاحْسُ الرَّاحَ صَافِيَةً
فَالْعُمْرُ يَوْمَانِ لَنْ نَلْقَاهُ إِلَّا كُمُلًا

تَذِرِي بِدُنْيَاكَ نَحْوَ الْعُذْمِ سَائِرَةً
فَكُنْ نَهَاراً وَلَيْلاً بِالطُّلَا ثَمِلاً

- ٢٥٨ -

قُمْ هَاتِهَا وَزِدِيَّةً مِشْكِيَّةً
وَذَا مِنْ هَذَا الْفُقُؤَادِ الْعِلَلَا
وَإِنْ تَرُمُ مُفْرَحاً يَجْلُو الْأَسَى
فَأَخْضِرِ الْعُودَ وَيَأْقُوتَ الطُّلَا

- ٢٥٩ -

أَيَا مَنْ أَتَى بِي لِلْوُجُودِ بِقِدْرَةٍ
وَرُبُّيْتُ فِي نَعْمَائِهِ أَتَدَلُّ
سَأْمَتَحِنُ الْعِضْيَانَ مَائَةً حَجَّةٍ
لَأَعْلَمَ ذَنْبِي أَمْ سَمَاحِكَ أَجْزَلُ؟

- ٢٦٠ -

إِشْرَبْ فَكُمْ سَتَنَامُ فِي قَعْرِ الثَّرَى
يَا صَاحِ دُونَ حَلِيلَةٍ وَخَلِيلِ
لَا تُفْسِدْ ذَا السَّرِّ الْخَفِيِّ لَدَى امْرِئٍ
لَنْ تَزْهُقَ الْأَزْهَارُ بَعْدَ ذُبُولِ

- ٢٦١ -

إِنْ لَمْ يَكُنْ رَبِّي قَدْ شَاءَ مَا
شِئْتُ فَهَلْ يُمَكِّنُنِي فِعْلُهُ

فَإِنْ يَكُنْ شَاءَ صَوَاباً فَمَا
شِئْتُ سِوَاهُ خَطَاءٌ كُلُّهُ

- ٢٦٢ -

أَلْيَوْمَ مَا لَكَ فِي أَمْرِ الْغَدَاةِ يَدٌ
وَلَيْسَ فِكْرُ غَدٍ إِلَّا مِنَ الْخَبَلِ
فَاغْنِمْ بَقِيَّةَ عُمْرٍ إِنْ تَكُنْ يَقْظاً
فَالْعُمْرُ يَفْنَى بِلا بُطْءٍ وَلَا مَهْلٍ

- ٢٦٣ -

لَمْ تَحْظَ يَا قَلْبِي بِغَيْرِ أَسَى وَمَا
تَنَفَّكَ تَرْزَأُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً
يَا نَفْسُ فِيمَ تَخْذَلُ جِسْمِي مَسْكناً
إِنْ كُنْتَ عَنْهُ سَتْرُ مَعِينٍ رَحِيلاً

حرف الميم

- ٢٦٤ -

يُذَقُّ ذَلِكَ الْخَزَافُ فِكْرًا
بِضْنَعِ الطِّينِ تَذْقِيقَ الْفَهِيمِ
إِلَامٌ يَشُومُهُ دَوْسًا وَلَكُمَا
يَخَالُ الطِّينَ غَيْرَ ثَرَى الْجُسُومِ؟

- ٢٦٥ -

وُجُودُ ذَا الْكَوْنِ مِنْ بَخْرِ الْخَفَاءِ بَدَا
وَسِرُّهُ لَمْ يَبْنِ يَوْمًا لَدَى الْأُمَمِ
كُلُّ امْرِئٍ قَالَ وَهْمًا عَنْ حَقِيقَتِهِ
وَالْحَقُّ مَا فَاهَ فِيهِ وَاجِدٌ بِفَمِ

- ٢٦٦ -

أَزْهَرَ الرُّوْضُ يَا نَدِيمِي فَبَادِزِ
فَسَيَغْدُو ثَرَى وَيُفْسِي عَدِيمَا

إِزْتَشِفْ وَاقْتَطِفْ فَسَوْفَ تَرَى الْوَزْدَ تُرَاباً وَالنَّبْتَ فِيهِ هَشِيمَا

- ٢٦٧ -

إِنْ تَشْرَبِ الرَّاحَ فإِشْرَبْ مَعَ ذَوِي أَدَبٍ
أَوْ ذِي جَمَالٍ صَقِيلِ الْخَدِّ مُبْتَسِمِ
وَدَعْ تَعَاطِيهَا بَيْنَ الْمَلَأِ عَلَنَاءَ
وَاشْرَبْ خَفَاءَ وَلَا تُكْثِرْ وَلَا تُدِمِ

- ٢٦٨ -

طَوَى الصُّبْحُ رَايَةَ جَيْشِ الظَّلَامِ
فَقُمْ يَا نَدِيمِي وَهَاتِ الْمُدَامِ
وَفُكِّ لَنَا نَزْجِسَ الْمُقْلَتَيْنِ
وَقُمْ فَلَسَوْفَ تُطِيلُ الْمَنَامِ

- ٢٦٩ -

حَتَّى مَ أَنْتَ أَسِيرُ
لِلْوَنِ وَالطَّغَمِ وَالشَّيْءِ
وَمُقْتَفٍ كُلِّ زِينِ
وَكُلِّ شَيْءٍ مُدَمِّمِ
فَإِنْ تَكُنْ مَاءَ عَيْنِ الْحَيَاةِ أَوْ بِئْرٍ زَمَزَمِ
سَتُودِعُ الرَّفْسَ حَتْمَا
لدى الْقَضَاءِ الْمُحْتَمِ

- ٢٧٠ -

يا نفس لا ترتجي من دهرِكَ الكرماً
ولا مِن القَلَكِ الدَّوارِ مُغتَنماً
يزِيدُ داؤكَ إِنْ داوَيْتَهُ أَلْماً
فأَغْرِضِي عن دَوَاهِ وَأَحْمَلِي السَّقَمَا

- ٢٧١ -

سنفنى وهذا الكونُ سوف يدومُ
وتذهبُ أَسْمَاءُ لَنَا ورُسُومُ
كما لم نَكُنْ والكونُ كانَ مُنظَّمًا
سنفنى ويبقى بغدٌ وهو نظيمُ

- ٢٧٢ -

بدا الصُّبْحُ وأنشَقَّ جِيبُ الظَّلامِ
فَقُمْ ودعِ الهَمَّ واخسُ المُدَامِ
فكم من صَبَاحٍ سَيَبْدُو لَنَا
ونحنُ نِيَامُ بِبَطْنِ الرُّغَامِ^(١)

- ٢٧٣ -

خُذْ نَصِيباً من دَوْرِ دَهْرِكَ واجلِسْ
فوقَ عَرْشِ الشُّرُورِ واخسُ الجَامَا

(١) الرغام: التراب.

غَنِي اللّهُ عَنْ ذُنُوبٍ وَطَاعَاتٍ فَأَذْرِكْ مِنَ الزَّمَانِ الْمَرَامَا

- ٢٧٤ -

عَطَاءُ الدُّنْ يَغْدِلُ أَلْفَ نَفْسٍ
وَتَغْدِلُ مُلْكُ ذِي الدُّنْيَا الْمُدَامُ
أَرَى مِنْدِيلَ مَسْحِ الرِّاحِ عِنْدِي
لَهُ فَوْقَ الطَّيَالِسَةِ اخْتِرَامُ^(١)

- ٢٧٥ -

حَقِيقَةُ الْكَوْنِ لَيْسَتْ عِنْدَ نَاطِرٍ
سِوَى مَجَازٍ فَفَيْمَ الْهَمِّ وَالْأَلَمِ
فَجَارٍ دَهْرَكَ وَاخْضَعِ لِلْقَضَاءِ فَلَنْ
تُطِيقَ تَبْدِيلَ مَا قَدْ خَطَّهُ الْقَلَمُ

- ٢٧٦ -

تَسَاقَطْنَا كَطِيرٍ فِي شِبَاكِ
تُعَانِي مِنْ أَذَى الدَّهْرِ اهْتِضَامَا
وَنُخْبِطُ فِي فِضَاءٍ لَيْسَ يَبْدُو
لَهُ حَدٌّ وَلَمْ نَبْلُغْ مَرَامَا

(١) الطيالة: جمع طيلسان: كلمة معربة عن الفارسية، وهو وشاح يُلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، وعادة ما يلبسه رجال الدين والمشايخ.

- ٢٧٧ -

أَنْتَ أَبْدَغْتَنِي مِنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ كَمَا قَدْ نَسَجْتَ أَلْيَافَ جِسْمِي
كُلُّ شَرٍّ مِنِّي يَلُوحُ وَخَيْرٌ
أَنْتَ قَدَّرْتَهُ فَمَا هُوَ جُرْمِي؟

- ٢٧٨ -

ثُوبٌ قُدْسِي خَلَعْتُهُ فَوْقَ دَنْ
وَتِيَّمَمْتُ فِي ثَرَى الْحَانِ حَرَمًا
فَعَسَانِي أَلْقَى لَدَى الْحَانِ غُمْرًا
ضَاعَ مِنِّي بَيْنَ الْمَدَارِسِ قَدَمًا

- ٢٧٩ -

ثَقُلُّ الرَّاحِ تَكْبُرُ الْوَرَى
وَهِيَ تَحُلُّ مُشْكَلاتِ الْعَالَمِ
لَوْ ذَاقَ إِبْلِيسُ الْمُدَامَ مَرَّةً
أَتَى بِالْأَلْفِي سَجْدَةً لَأَدَمِ

- ٢٨٠ -

تَارِكَ الرَّاحِ لَا تَذُمَّ الشُّكَارَى
إِنْ أَوْفَّقْتُ أَثْبَ وَيُمَحِّي الْأَثَامَ
بِاجْتِنَابِ الطَّلَا افْتَخَرْتُ وَتَأْتِي
بِذُنُوبٍ لَهَا الْمُدَامُ غُلَامَ

- ٢٨١ -

نُورُ البَصِيرَةِ نَحْنُ فِي عَيْنِ الْحَجَى
وَكَذَلِكَ نَحْنُ الْقَضْدُ مِنْ ذَا الْعَالَمِ
هَذَا الْوُجُودُ قَدْ اسْتَدَارَ كَخَاتَمِ
النَّقْشِ نَحْنُ بِفَضْلِ ذَاكَ الْخَاتَمِ

- ٢٨٢ -

تَحْوُكُ لِي يَا دَهْرُ جِلْبَابَ الْأَسَى
كَمَا تَشْتُقُّ لِي رِذَا التَّنْعُمِ
تُعِيدُ لِي رِيحَ الصَّبَا نَاراً كَمَا
تُصَيِّرُ الْمَاءَ تُرَاباً فِي فَمِي

- ٢٨٣ -

إِذَا لَمْ نَكُنْ فِي الدَّهْرِ نَبْقَى فَعِيشُنَا
بِذَوْنِ الْحُمَا وَالْحَبِيبِ ذَمِيمِ
إِلَى مَا أَهْتَمَامِي فِي قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
وَسَيِّئَانَ بَغْدِي حَدِثٍ وَقَدِيمِ

- ٢٨٤ -

دَعَا الْوَرْدُ إِنِّي يُوسُفُ الرَّوْضِ فَأَنْظَرُوا
كَيَاقُوتَةٍ بِالتَّبْرِ مَمْلُوءَةٍ فَمِي
فَقُلْتُ: أَبْنُ لِي مِنْ عِلَامَاتِ يُوسُفَ
فَقَالَ: انْظُرْ نُوبِي الْمُخَضَّبَ بِالدَّمِ

- ٢٨٥ -

حَلَّ فَكَّرِي فِي الْكَوْنِ كُلِّ مُعَمَّى
مِنْ حَضِيضِ الثَّرَى لِأَوْجِ الثُّجُومِ
قَدْ تَبَيَّنَتْ كُلَّ مَكْرٍ وَمِرٍّ
فِيهِ إِلَّا سِرَّ الرَّدَى الْمَحْتُومِ

- ٢٨٦ -

أَنَا لَسْتُ أَقْنَطُ مِنْ خَالِقِ
رَحِيمٍ لِعِبَاءِ ذُنُوبِي الْجِسَامِ
إِذَا الْيَوْمُ مَتَّ صَرِيحَ الطَّلَا
سَيَغْفُو غَدًا عَنْ رَمِيمِ الْعِظَامِ

- ٢٨٧ -

لِحُكْمِ الْقَضَا وَكُلِّ أُمُورِكَ مَا اخْتَوَى
كَيْأَنَّكَ أَغْصَابًا وَجِلْدًا وَأَغْظَمًا
دَعِ الْمَنْ مِنْ خَلٍّ وَإِنْ يَكُ حَاتِمًا
وَلِلْخُضْمِ لَا تَخْضَعِ وَإِنْ يَكُ رُسْتَمًا

- ٢٨٨ -

إِنَّ الْأُولَى أَضْحَوْا أَسَارَى عَقْلِهِمْ
ذَهَبُوا بِحَشْرَةٍ فَاقِدِ مُتَنَدِّمٍ
إِشْرَبْ وَغَذْ كَالْأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُمْ
صَارُوا زَبِيبًا فِي أَوَانِ الْحِضْرِمِ

- ٢٨٩ -

رَبِّي افْتَحْ لِي بَابَ رِزْقٍ وَأَزْسِلْ
لِي قُوَّتِي مِنْ دُونِ مَنْ الْأَنْسَامِ
وَأَدِمْ نَشْوَةَ الطُّلَا لِي حَتَّى
تُذْهِلَنِي مَا عِشْتُ عَنْ آلَامِي

- ٢٩٠ -

إِنِّي وَإِنْ ذُقْتُ الْغَرَامَ وَقَلَّ لِي
مِنْ مُبْهِمِ الْأَسْرَارِ مَا لَمْ يُفْهِمِ
فَالْيَوْمَ حِينَ فَتَحْتُ عَيْنَ بَصِيرَتِي
أَضْبَحْتُ أَغْلَمَ أَتَنِي لِمَ أَغْلَمِ

- ٢٩١ -

بَادِرِ الْيَوْمَ إِذْ تُطِيقُ نَوَالًا
وَأَزِلْ عَنْ حِشَا الرِّفَاقِ الْهُمُومَا
إِنَّ مُلْكَ الْحَمَالِ لَيْسَ بِبَاقٍ
فَسَتَلْقَاهُ بَغْتَةً مَغْدُومَا

- ٢٩٢ -

إِنْ تَكُنْ يَا نَدِيمُ نَارًا بِصُخْرِ
فَسِيَجْرِي إِلَيْكَ جَارِي الْحِمَامِ
غَنِّ فَالْكُونُ مِنْ ثَرَى وَهَوَاءٍ
كُلُّ أَنْفَاسِنَا فَجِيءَ بِالْمُدَامِ

- ٢٩٣ -

إِنَّ ظَبِيًّا بِهِ اسْتَهَامَ فُرَادِي
عَادَ صَبًّا بِشَادِنِ مُسْتَهَامَا
كَيْفَ أَزْجُو مِنْ بَعْدُ بُزْءًا لِدَائِي
وَطَبِيبِي أَضْحَى يُعَانِي السَّقَامَا

- ٢٩٤ -

إِنْ رَأَيْتِ السَّاقِي لَجْدَوَاهُ أَهْلًا
عَمَّنِي فِي فَوَاضِلِ الْإِنْعَامِ
وَإِذَا لَمْ أَكُنْ بِأَهْلٍ سَقَانِي
فَوْقَ قُدْرِي بِعَادَةِ الْإِكْرَامِ

- ٢٩٥ -

أَيَا فَلَكَا يُرَبِّي كُلَّ نَذْلٍ
وَلَيْسَ يَدُورُ حَسْبَ رِضَا الْكَرِيمِ
كَفَى بِكَ شِيْمَةً أَنْ رُخْتَ تَهْوِي
بِذِي شَرَفٍ وَتَسْمُو بِاللَّئِيمِ

- ٢٩٦ -

أَلَأَفْقُ كَأْسٌ فَوْقَنَا مَقْلُوبَةٌ
كَمْ تَخْتَهَا خُدَيْعَ اللَّيْبِ الْأَخْزَمُ
أَنْظُرْ وَدَادَ الْكَأْسِ مَعَ كُوزِ الطَّلَا
شَفَةٌ عَلَى شَفَةٍ وَبَيْنَهُمَا دَمٌ

- ٢٩٧ -

سِرُّ الْحَيَاةِ لَوْ أَنَّكَ يَبْدُو لَنَا
لَبَدَا لَنَا سِرُّ الْمَمَاتِ الْمُبْهِمِ
لَمْ تَعْلَمْ وَأَنْتَ حَيٌّ سِرَّهَا
فَعَدَا إِذَا مُتَ مَاذَا تَعْلَمْ؟

- ٢٩٨ -

حَلَقْتُ بِالْفِكْرِ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ لَأَرَى الْجِنَانَ وَالنَّارَ وَالْأَلْوَاخَ وَالْقَلَمَا
فَصَاحَ دَاعِي الْجَحَى فَيْكَ الْجِنَانُ زَهَتْ
وَالنَّارُ شَبَّتْ وَفَيْكَ اللَّوْحُ قَدْ رُقِمَا

- ٢٩٩ -

إِنَّ الَّذِينَ تَرَحَّلُوا مِنْ قَبْلِنَا
نَزَلُوا بِأَجْدَاثِ الْغُرُورِ وَنَامُوا
إِشْرَبَ وَخُذْ هَذِي الْحَقِيقَةَ مِنْ فَمِي
كُلُّ الَّذِي قَالُوا لَنَا أَوْهَامُ

- ٣٠٠ -

لَمْ تَقُلْ لِي مَا قُلْتَ إِلَّا لِحَقْدِي
زَاعِمًا أَنَّنِي بِلَا إِسْلَامٍ
أَنَا أَقْرَزْتُ بِالَّذِي قُلْتَ لَكِنْ
أَنْتَ أَهْلٌ لِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ؟

- ٣٠١ -

يا مَنْ غَدَوْتُ «لِجُوكَانَ» الْقَضَا كُرَةً^(١)
سِرَّ كَيْفَ شَاءَ وَلَا تَنْبَسُ بِبِنْتٍ فَمِ
فَمَنْ رَمَى بِكَ فِي الْمِيدَانِ مُضْطَرِباً
أَذْرَى وَأَغْلَمَ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَدَمِ

- ٣٠٢ -

إِلَى مَ وَأَنْتَ لِلدُّنْيَا حَزِينٌ
وَطَرْفُكَ دَامِعٌ وَالْقَلْبُ دَامِي
فَعِشْ جَذْلَانْ وَارْتَشِفِ الْحُمَا
وَنَلْ أَقْصَى الْهَنَا قَبْلَ الْحَمَامِ

- ٣٠٣ -

إِنَّ الْقَضَاءَ لِأَمْرٍ لَا يُرَدُّ وَمَا
نَصِيبُ ذِي الْهَمِّ إِلَّا الشَّقْمُ وَالْأَلَمُ
إِنْ تَقْضِ عُمْرَكَ مَهْمُومَ الْفُؤَادِ فَلَنْ
تَزِيدَ شَيْئاً عَلَى مَا خَطَّهُ الْقَلَمُ

- ٣٠٤ -

لِي نَقْدًا سَاقٍ وَعُودٌ وَرَوْضٌ
وَلَكَ الْوَعْدُ فِي عَدِّ الْتَّعِيمِ
دَغْ حَدِيثَ الْجَنَانِ وَالنَّارِ مَنْ جَاءَ مِنَ الْخُلْدِ أَوْ مَضَى لِلْجَحِيمِ؟

(١) الجوكان: كلمة فارسية، وهو بالعربية: المحجن، أي الصولجان الذي تضرب به الكرة في لعبة «الكرة والصولجان»

حرف النون

- ٣٠٥ -

فَلَكُ الشُّهُبِ قَالَ لِي أَفْتَغْزُو
لِي حُكْمَ الْقَضَاءِ فِي الْأَكْوَانِ
لَوْ غَدَا لِي فِي السَّيْرِ أَذْنَى اخْتِيَارِ
لَمْ تَجِدْنِي أَذُورُ كَالْحَيْرَانِ

- ٣٠٦ -

أَحْسَنُ مِنْ زُهْدِ الْفَتَى عَنْ رِيَاءِ
رَشَفُ الْحُمَيَّا وَاقْتِفَاءُ الْجِسَانِ
إِنْ كَانَ أَهْلُ الْحُبِّ وَالرَّاحِ فِي
لَظَى فَلَنْ تَلْقَى امْرَأً فِي الْجِنَانِ

- ٣٠٧ -

إِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ سِرَّ الدُّنَى
فَفِيمَ وَحْتًا هَذَا الْعَنَا
إِذَا الدَّهْرُ لَمْ يَجْرِ حَسَبَ الْمَرَامِ
فَعِشْ مَا حَيَّيْتُ حَلِيفَ الْهَنَا

- ٣٠٨ -

إِنْ لَمْ أُطْغِكَ إِلَهِي فِي الْحَيَاةِ وَلَمْ
أُطَهِّرِ النَّفْسَ مِنْ أَذْرَانِ عِضْيَانِ
فَلَيْسَتْ النَّفْسُ مِنْ جَذْوَاكَ قَانِطَةً
إِذْ لَمْ أَقْلُ قَطُّ: إِنَّ الْوَاحِدَ اثْنَانِ

- ٣٠٩ -

كَمْ فِي الْمَدَارِسِ وَالصَّوَامِعِ أَنْفُسٌ
تَزْجُو الْجَنَانَ وَتَخْتَشِي النَّيْرَانَ
لَكِنَّ مَنْ عَرَفَ إِلَاهَهُ وَسِرَّهُ
لَمْ يُشْغَلَنَّ بِذِي الْأُمُورِ جَنَانًا

- ٣١٠ -

أَرَى أَجْدَائِنَا تُبْنَى بِلَيْنٍ
غَدًا يَا صَاحِبِ إِنْ تَرِدِ الْمَمُوتَا
وَيُضْنَعُ مِنْ تَرَانَا بَعْدُ لَيْنٌ
بِهِ تُبْنَى قُبُورُ الْآخِرِينَا

- ٣١١ -

صَيَادُ ذَا الدَّهْرِ أَلْقَى الْحَبَّ فِي شَرِكِ
فَصَادَ صَيْدًا وَقَدْ سَمَّاهُ إِنْسَانًا
فَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ مِنْهُ قَدْ نَشَأَ
وَرَاخَ يَنْغَرُزُ لِهَذَا الْخَلْقِ عِضْيَانًا

- ٣١٢ -

لَا تُؤْمَلُ مَا فَوْقَ سِتِّينَ حَوْلًا
لَكَ غُمْرًا وَلَا زِمَ الشُّكْرَ وَاهْنًا
وَالزِّمَ الدَّنَّ وَالْكُؤُوسَ مُدَامًا
قَبْلَ أَنْ يَضْنَعُوا رُفَاتَكَ دَنَّا

- ٣١٣ -

زَمَنُ الْوَرْدِ ذَا وَضِئَّةٍ نَهْرٍ
وَرِيَاضٍ وَبِضْعٍ حُورٍ حَسَانٍ
عَاطِنِي الْكَأْسَ فَالْتَّشَاوَى صَبَاحًا
حُرُّوْا مِنْ مَسَاجِدٍ وَجَنَانٍ

- ٣١٤ -

عَقِيقُكَ الرَّاحُ وَالْكَاسَاتُ مَغْدَنُهُ
وَالرَّاحُ رُوحٌ مِنَ الْجَامِ اضْطَفَّتْ بَدَنًا
وَإِنَّ كَأْسَ رُجَاجٍ بِالطَّلَا ضَجَّكَتْ
دَمَعٌ دَمَ الْقَلْبِ فِي أَثْنَائِهِ كَمْنَا

- ٣١٥ -

قَدْ كَانَ يَذْرِي اللَّهَ كُلَّ فِعَالِنَا
مِنْ يَوْمِ صَوْرٍ طِينِنَا وَبِرَانَا
لَمْ نَزْكِبْ ذَنْبًا بِدُونِ قَضَائِهِ
فَإِذَنْ لِمَاذَا نَدْخُلُ النَّيْرَانَا؟

- ٣١٦ -

إِنْ تَرُمْ أَنْ تَنَالَ عُمْرًا صَحِيحًا
وَفُؤَادًا لَا يَخْمِلُ الْأُخْرَانَا
فَازْتَشِفْ صَافِي الطَّلَا كُلَّ آنٍ
لِتَنَالَ الشُّرُورَ أَنَا فَآتَا

- ٣١٧ -

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمُ الْيَقِينِ بِمُمْكِنٍ
لَنَا وَانْقِضَاءُ الْعُمْرِ بِالشَّكِّ خُسْرَانُ
فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَشْرَكَ الرَّاحَ لَحْظَةً
وَسِيَانِ حِينَ الْجَهْلِ صَاحٍ وَنُشْوَانُ

- ٣١٨ -

عَسِّلُونِي بِالرَّاحِ بَعْدَ الْمُنُونِ
وَاذْكُرُوها وَالْكَأْسُ فِي تَلْقِينِي
وَلَدَى الْحَشْرِ إِنَّ أَرْدُتُمْ لِقَائِي
مَنْ ثَرَى بَابِ حَائَةِ فَاظْلُبُونِي

- ٣١٩ -

نَفْسٌ بَيْنَ كُفْرِنَا وَالْدِّينِ
نَفْسٌ بَيْنَ شَكَّنَا وَالْيَقِينِ
مَا أَرَى حَاصِلَ الْحَيَاةِ سِوَاهُ
فَاقْضِهِ بِالشُّرُورِ قَبْلَ الْمُنُونِ

- ٣٢٠ -

البُلْبُلُ قَدْ شَدَا عَلَى الْأَغْصَانِ
فَاشْرَبَ صَهْبَاءَهَا مَعَ الثُّدَمَانِ
وَالوَرْدُ زَهَا فُكْمٌ وَبَادِرٌ عَجَلًا
يَوْمَيْنِ مِنَ الْهَنَاءِ فِي الْبُسْتَانِ

- ٣٢١ -

إِذَا كَانَ عَذْلًا قِسْمَةُ الرُّزْقِ فِي الْوَرَى
فَلَنْ يَجِدُوا فِيهِ مَزِيدًا وَنُقْصَانًا
فَلَا تَكُ فِي فِكْرِ لِمَا لَمْ يَكُنْ وَعِشْ
لَعَمْرُكَ حُرَّ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ مَا كَانَا

- ٣٢٢ -

كَسَرْتَ يَا رَبِّ إِبْرِيْقَ الْمُدَامِ كَمَا
سَدَدْتَ لِي بَابَ عَيْشِي حَيْثُمَا كَانَا
أَنَا شَرِبْتُ وَتُبِدِي أَنْتَ عَزْبَدَةٌ
لَيْتَ الثَّرَى بِفِي، هَلْ كُنْتَ نَشْوَانَا^(١)؟

(١) ترجم كلٌّ من الصراف والزهاوي كلمة «مستي»: سكران، وهو الصحيح، والصابي النجفي هنا يخفف الكلمة مرة أخرى مُتَقَصِّدًا وليس عن خطأ.

- ٣٢٣ -

لَوْ كُنْتُ رَبَّ اخْتِيَارَ مَا أَتَيْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ أَزْتَحِلْ عَنْهَا وَلَمْ أَبِنْ
مَا كَانَ أَشْعَدَّنِي لَوْ لَمْ أَجِيءْ أَبَدًا
لِلدَّهْرِ يَوْمًا وَلَمْ أَزْهَلْ وَلَمْ أَكُنْ

- ٣٢٤ -

الدَّهْرُ يَا حَيَّامُ يَبْرَأُ مِنْ فَتَى
يُمْسِي مِنَ الْأَيَّامِ فِي أَشْجَانِ
إِشْرَبْ عَلَى نَعْمِ زُجَاجَةٍ قَرْقَفِ
قَبْلَ انْكِسَارِ زُجَاجَةِ الْأُبْدَانِ

- ٣٢٥ -

حَتَّى مَ فِي هَمٍّ لِمَا يَأْتِي وَهَلْ
يُجْنِي جَمِيعُ الْحَازِمِينَ سِوَى الْعَنَّا
الْهَمُّ لَيْسَ بِزَائِدٍ أَوْ مُنْقِصٍ
فِي الرِّزْقِ فَالْتَزِمِ الْمَسْرَّةَ وَالْهَنَّا

- ٣٢٦ -

عِشْ هَنِئًا فَالدَّهْرُ لَيْسَ بِفَانٍ
وَسَتَبْقَى التُّجُومُ ذَاتَ اقْتِرَانٍ
وَسَيُعْذُو ثَرَاكَ لِإِنَّا فُيُوبُنِي
فِي قُصُورٍ لِلنَّاسِ أَوْ إِيوَانٍ

- ٣٢٧ -

لَسْتُ أَذْرِي هَلِ الْإِلَٰهَ بِرَائِي
لِجَنَّانِ الْأُخْرَىٰ أَوِ النَّيِّرَانِ
لِي، نَقُودًا: سَاقٍ وَرَوْضٍ وَرَاحٍ
وَلَكَّ الْوَعْدُ فِي غَدٍ بِالْجَنَّانِ

- ٣٢٨ -

هَذَا رُكْنُ الْإِيمَانِ ذَنْبِي وَأَنْسَى
ذَنْبَ مَنْ رَاحَ يَغْبِذُ الْأَوْثَانَا
أَنَا أَخْشَى ذَنْبِي مَتَى وَزُنُوهُ
يَوْمَ خَشِرَ أَنْ يَكْسِرَ الْمِيزَانَا

- ٣٢٩ -

إِذَا مَا جَاءَنَا رَمَضَانُ يُلْقَى
بِهِ الْقَيْدُ الثَّقِيلُ عَلَى حِجَانَا
فَاغْفِلْ يَا إِلَهِي النَّاسَ حَتَّى
يَحْأَلُوا أَنَّ شَوَالًا أَتَانَا

- ٣٣٠ -

حَلَّ السَّمَاءُ ثَوْرًا وَثَوْرٌ غَدَا
يَخْتَمِلُ الْأَرْضَ بِقَرْنَيْنِ
أَنْظُرْ بِعَيْنِ الْعَقْلِ كَيْمَا تَرَى
قَطِيعَ حَمِيرٍ بَيْنَ ثَوْرَيْنِ

- ٣٣١ -

سَاطُوِينُ صَاحِ أَغْلَامِ النُّفَاقِ غَدَاً
وَأَقْصَدَنَّ بِشَيْبِي الرِّيحِ وَالْحَانَا
بَلَغْتُ سَبْعِينَ حَوْلًا كَامِلًا فَمَتَى
أَلْقَى الْهِنَاءَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُ الْآنَا؟

- ٣٣٢ -

ضَمَّ جِسْمُ الزُّجَاجِ رُوحًا فَحَاكَى
بِاسْمِينَا يُحِيطُ فِي أَرْجَوَانِ
لَا لَعْمَرِي فَالْجَامُ جَامِدُ مَاءٍ
ضَمَّ فِي الْقَلْبِ سَائِلَ النُّيرَانِ

- ٣٣٣ -

قَدْ أَضْبَحَ الْحَانُ بِنَا عَامِرًا
وَكَمْ نَقْضْنَا مِنْ مَتَابٍ لَنَا
مَا يُضْنَعُ الْعَفْوُ بِلا مَائِمٍ؟
الْعَفْوُ يَزْدَانُ بِأَثَامِنَا

- ٣٣٤ -

إِنَّ مَنْ أَدْرَكُوا الْمَنَاصِبَ ذَاقُوا
جُرْعَ الْهَمِّ وَالْأَسَى الْوَانَا
وَعَجِيبُ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ يَهْوَى
حِرْصُهُمْ لَا يَرَوْنَهُ إِنْسَانَا

- ٣٣٥ -

حَتَّى مَ صَوْمُكَ وَالصَّلَاةُ تَنَشُّكَأ
فَدَعَ الْمَسَاجِدَ وَأَقْضَدَنَّ الْحَائَا
وَأَشْرَبَ فَسَوْفَ تَرَى رُفَائِكَ تَارَةً
كُوزاً وَأُخْرَى أَكْوَؤُساً وَدِنَائَا

- ٣٣٦ -

أَتَمَّنَّى دِيوَانَ شِعْرِ وَنِصْفَا
مَنْ رَغِيفٍ وَكُوزَ صَهْبَاءِ حَانِ
وَجُلُوساً مَعَ الْحَبِيبِ بِقَفْرِ
ذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُلْكٍ ذِي سُلْطَانِ

- ٣٣٧ -

حِينَ جُودُ الْإِلَهِ فَاضَ بِرَانِي
وَبَدَزَسِ الْغَرَامَ قِذْماً حَبَانِي
وَلَقَدْ صَاغَ مِنْ قُرَاضَةٍ قَلْبِي^(١)
بَعْدَ هَذَا مِفْتَاحَ كُنْزِ الْمَعَانِي

- ٣٣٨ -

حَتَّى مَ أَبْنِي عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ لَقَدْ
سَأَمْتُ دِيراً وَغُبَّاداً لَأَوْثَانِ

(١) القراضة: ما سقط بالقرض، ومنه قراضة الذهب.

مَنْ قَالَ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ؟ وَمَنْ
أَتَى مِنَ الْخُلْدِ؟ أَوْ وَلَّى لِنِيرَانٍ؟

- ٣٣٩ -

حَتَّى مَ تُضْبِحُ لِلْأَطْمَاعِ حِلْفَ عَنَا
خَيْرَانَ تَغْدُو بِهَذَا الْكَوْنِ مُفْتَتِنَا
مَضُوءًا، وَنَمْضِي وَكَمْ يَأْتُونَ بَعْدُ وَكَمْ
يَمْضُونَ مِنْ دُونِ أَنْ يَخْطَى امْرُؤٌ بِمُنَى

- ٣٤٠ -

كُنْ حِمَارًا فِي مَغْشَرِ جُهَلَاءٍ
أَيَقْنُوا أَنَّهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
فَهُمْ يَحْسَبُونَ لِلْجَهْلِ مَنْ لَيْسَ حِمَارًا خَلَوْا مِنَ الْإِيمَانِ

- ٣٤١ -

مَنْ بَرَى أَكْثُوسَ الرُّؤُوسِ وَأَبْدَى
عِنْدَ تَكْوِينِهَا أَذَقَ الْفَنُونَ
كَبَّ كَأْسًا مِنْ فَوْقِ مَائِدَةِ الْكَوْنِ دِهَاقًا قَدْ أُثْرِعَتْ بِالْجُنُونِ

- ٣٤٢ -

أَسْفًا لِقَلْبٍ لَيْسَ يُذَكِّيهِ الْهَوَى
شَغَفًا وَلَيْسَ يَهِيمُ قَطُّ بِشَادِنِ
لَا يَوْمَ أَضْيَعُ قَطُّ مِنْ يَوْمِ امْرِئٍ
يَقْضِيهِ دُونَ غَرَامِ ظَنِّي فَاتِنِ

لَوْ اِذْ تَكَبَّتْ خَطَايَا النَّاسِ كُلِّهِمْ
لَكُنْتُ اَزْجُو لِدَنْبِي مِنْكَ غُفْرَانًا
قَدْ قُلْتَ إِنَّكَ يَوْمَ الْعَجْزِ تَنْصُرُنِي
لَا عَجْزَ اَعْظَمُ لِي مِنْ عَجْزِي الْآنَا

حرف الهاء

- ٣٤٤ -

إِلَى مَ أَشَاكَ عَلَى الْفَنَانِيَةِ
أَنَالَ امْرُؤٌ عَيْشَةً بَاقِيَةً؟
هِيَ النَّفْسُ عَارِيَةٌ تُسْتَرَدُّ
فَعِشْ مَعَهَا عَيْشَةَ الْعَارِيَةِ

- ٣٤٥ -

إِنْ كَانَتْ الْأَفْلَاكُ ضِدَّ دَوِي الْبَصَائِرِ جَارِيَةٍ
إِنْ شِئْتَ قُلْ هِيَ سَبْعَةٌ أَوْ شِئْتَ غَدَّ ثَمَانِيَةٍ
وَإِذَا رَحَلْتَ غَدًا وَخَلَّفْتَ الْأَمَانِي بَاقِيَةٍ
فَلْيَاكُلَنَّكَ نَمْلُ قَبْرِكَ أَوْ ذِئَابُ الْبَادِيَةِ

- ٣٤٦ -

إِذَا مَا صَحَوْتُ عَدِمْتُ الْهَنَاءَ
وَمَهْمًا سَكِرْتُ فَقِدْتُ التُّهَى
وَلَكِنَّ بَيْنَهُمَا حَالَةً
هِيَ الْعَيْشُ وَالْقَلْبُ رِقٌّ لَهَا

حرف الياء والألف المقصورة

- ٣٤٧ -

مُنْذُ مَيَّزْتُ بَيْنَ كَفِّي وَرِجْلِي
غَلَّ هَذَا الدَّهْرُ الدَّيْئِي يَدَيَا
أَسْفَا يَحْسِبُونَ فِي الْحَشْرِ عُمرَا
مَرَّ بِي دُونَ شَادِنٍ وَحَمِيَا

- ٣٤٨ -

أَيُّهَا النَّفْسُ لَوْ نَفَضْتَ غُبَارَ الْجِسْمِ أَضْحَى فَوْقَ السَّمَاءِ لَكَ مَاوَى
لَكَ عَرْشٌ فَوْقَ السَّمَاءِ فَعَيْبٌ
أَنْ تَجِيئَنِي وَتَزْتَضِي الْأَرْضَ مَثْوَى

- ٣٤٩ -

مِنْ الْعَارِ أَنْ تَسْعَى لِتَخْصِيلِ شُهْرَةٍ
وَأَنْ تَشْتَكِي مِنْ جُورِ ذَا الْفَلَكَ الْبَلَوَى
لَنْ تَغْدُ مِنْ عَطْرِ الْحَمِيَا بِنَشْوَةٍ
يَكُنْ لَكَ خَيْرًا مِنْ غُرُورِكَ بِالتَّقْوَى

- ٣٥٠ -

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لِذَنْبِي فِي شَقَا
فَلَسْتُ بِائِسًا كَكُفَّارِ الْوَرَى
أَزْجُو وَإِنْ مِتُّ بِشُكْرِي سَحْرًا
رَاحًا وَظَبْيًا فِي جَنَانٍ أَوْ لَظَى

- ٣٥١ -

دَغَّ عَنْكَ دَرَسَ الْعُلُومِ أَجْمَعِهَا
وَاشْفَ بِأَصْدَاغِ شَادِنٍ سَقَمَكَ
وَاهْرِقْ بِكَاسِ دَمِ الزُّجَاجِ وَطَبْ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَهْرَقَ الزَّمَانُ دَمَكَ^(١)

(١) هذه الرباعية الأخيرة، كان ينبغي أن يكون مكانها بين الرباعيات المترجمة على حرف الميم، فحدث سهو، ووضعها الصافي النجفي في آخر الرباعيات استدراكاً. كما أشار في آخر ترجمته للرباعيات.

الفهرس

خيمة في الأبدية ومرصدٌ مُحترق: دراسة في رباعيات الخيام	
وترجماتها المتعددة	٥
رباعيات الخيام: ترجمة أحمد الصراف	٤٣
رباعيات الخيام: ترجمة الزهاوي	٩٧
القسم الأول: في الخمرة	٩٩
القسم الثاني: في الكوز	١٢٤
القسم الثالث: في التذمر	١٢٧
القسم الرابع: في العظة والأخلاق	١٤٢
القسم الخامس: في الحكمة والشك	١٥٥
القسم السادس: في العشق	١٦٤
القسم السابع: في ما خاطب به الله	١٦٦
القسم الثامن: في مطالب شتى	١٧٢

١٧٥	رباعيَّات الخِيَّام: ترجمة أحمد الصافي النجفي
١٧٧	حرف الألف
١٨٢	حرف الباء
١٩٠	حرف التاء
١٩٦	حرف الجيم
١٩٧	حرف الحاء
٢٠١	حرف الخاء
٢٠٢	حرف الدَّال
٢١٤	حرف الرَّاء
٢٣١	حرف الزَّاي
٢٣٢	حرف السِّين
٢٣٦	حرف الشِّين
٢٣٧	حرف الصَّاد
٢٣٨	حرف الضَّاد
٢٣٩	حرف العين
٢٤١	حرف الفاء
٢٤٤	حرف القاف

٢٤٩	حرف الكاف
٢٥٢	حرف اللّام
٢٦٠	حرف الميم
٢٧١	حرف النّون
٢٨٢	حرف الهاء
٢٨٣	حرف الياء والألف المقصورة

هذا الكتاب

نَحْنُ خَلَعْنَا رِداءَ الزُّهْدِ عَلَى دَنِّ الْخَمْرِ
وَتِيَمَّمْنَا بِتَرابِ الْحاناتِ
لَعَلَّنَا نَجِدُ فِي أَبوابِها
ذَلِكَ الْعَمَرُ الَّذِي أَضَعْنَاهُ فِي الْمَدارسِ

من ترجمة أحمد الصراف

يَا مُفْتِي الْبَلَدِ نَحْنُ أَتَقَى مِنْكَ
وَمَعَ كُلِّ سُكْرانٍ هَذَا أَصْحَى مِنْكَ
أَنْتَ تَشْرَبُ دَمَ النَّاسِ وَنَحْنُ نَشْرَبُ دَمَ الْكُرومِ
فَقُلْ مُنْصَفًّا: أَيُّنَا أَفْثَكُ؟
الصياغة الموزونة:

أَيُّهَا الْمُفْتِي نَحْنُ أَتَقَى وَأَصْحَى
مِنْكَ لَا تَقْسُو مِثْلَما أَنْتَ تَقْسُو
أَنْتَ تَحْسُو دَمَ الْأَنامِ وَإِنَّا
لِدَمِ الْكَرَمِ وَهُوَ فِي الْجِمامِ نَحْسُو

من ترجمة الزهاوي

يَدُّ لِي فِي جِامٍ وَأُخْرَى بِمُضْخَفٍ
وَطَوْرًا أَنَا الْجاني وَطَوْرًا أَنَا الْعَفُ
أَعِيشْ وَمَا لِي تَحْتَ ذَا الْأَفْقِ مَبْدَأُ
فَلا مُسْلِمٌ مَخْضٌ وَلَا كَافِرٌ صِرْفُ

من ترجمة أحمد الصافي النجفي

ISBN 978-9833350413



9

789933 350413

